العلاقة بين

الفقه والدعوة

تأليف

مفيد خالد عيد أحمد عيد

مكتبة دار البيان

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

«شكر وتقدير»

أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان
إلى جميع أساتذتي في كلية الدعوة
بالمدينة المنورة، على كل ما بذلوه من
علم وجهد ونصيحة لي ولزملائي في مرحلة الماجستير
وأخص بالذكر فضيلة الشيخ/ الدكتور علي بن سعيد الغامدي
ـ المشرف على البحث ـ لاعتنائه بمتابعة هذا البحث من مهده
ولتوجيهاته الكريمة، وأسأل الله ـ عزّ وجلّ ـ أن
تبقى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
نبراساً للدين والعلم إلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها
،،، آمين.

مفيد خالد عيد أحمد عيد

المقـدّمَة

- أهمية البحث وأسباب اختياره.
- تحديد مشكلة البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.

المقـــدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ، أمّا بعد، ، ،

ما أحوج الأمّة في هذه الأعصار المتأخرة أن يشمِّر فقهاؤها وعلماؤها عن سواعدهم ليخوضوا مضمار الدعوة، الميدان الذي اكتظّ بالدعاة من الشباب، وأن يقف هؤلاء الشيوخ إلى جنب أبنائهم ليشدوا من أزرهم ويجنِّبوهم العثرات وليكونوا عوناً لهم على تحقيق مرضاة الله ـ تعالىٰ ـ.

إنّ مجرد النقد لأخطاء العمل الدعوي لا يغني ولا يسمن من جوع إلا إن صدر ممن يثق الدعاة فيهم، ممن تحملوا مسؤولياتهم الدعوية، وسخَّروا أنفسهم وعلومهم لخدمة المصالح الدعوية، وكم نقد للدعوة صدر ممن لا يشعر بآلام الدعاة ومعاناتهم ومحنتهم أضرّ بالدعوة وبمصالحها.

وما أحوج الدعاة إلى الجلوس على موائد الفقه والفقهاء واتخاذ الزاد لدعوتهم، فإن كانت الأمة بحاجة ماسة إلى الفقيه الداعية فإنّ الداعية الجاهل خطره عظيم وضرره جسيم، والدعوة لن تحقّق أهدافها بحال من الأحوال، ولن

تقوى أصولها وتصلب جذوعها وتؤتي ثمارها بمعزل عن الفقهاء والعلماء المتفانين في خدمة قضاياها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ويخطىء كثيراً من يظن أن من عرف مسائل الفقه الفرعية أصبح داعية، بل لا يتحقق ذلك إلا بتحقيق قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾، فلا يتمّ الفقه إلا بالدعوة، والفقه في الدين أعمّ من معرفة المسائل، بل يشمل فهم أصل رسالة الإسلام وموضوعها وأهدافها ومقاصدها وكيفية تبليغها ونشرها وأداء أمانتها والدفاع عنها وحراستها وإقامة شرائعها على كافة المستويات.

وما زال الناس يتحدثون عن أثر الفقه على الداعية، وأن نجاح الداعية مرتبط بتفقهه وتبصره بأبواب الفقه المختلفة، علاوة على فهمه لمناهج الدعوة وأساليبها المختلفة، وكذلك المتفقّه لا ينجح في تحقيق مهمته بمجرد تقليب أبواب الفقه ومعالجة أصوله وفروعه واستنابط مسائله، بل إنه بحاجة إلى معرفة أحوال الأمة، فيعدّ لهم بفقهه وعلمه الدواء الذي يشفي أسقامهم ويقربهم من خالقهم، فيصبغ فقهه بالصبغة الدعوية.

فأردت في هذا البحث أن أناقش مدى قوّة الوشائج بين الفقه والدعوة واستحالة الفصل بينهما، ومدى حاجة الأمة الماسة إلى تلاحم الفقهاء والشباب الدعاة اليوم لتؤتي الجهود الفقهية والدعوية ثمارها في تحقيق مرضاة الله ـ تعالى ـ.

فأدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ، آمين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ ـ زرت كثيراً من المراكز الدعوية في أوربا والبلاد العربية، فوجدت

الشباب المثقف هم القائمون على الدعوة فيها، وأمّا العلماء والمتخصّصون فقل أن تجدهم، وكنت أتساءل كثيراً عن سبب ذلك، مع الحاجة الماسّة والملحّة إليهم في هذا الميدان، وكنت أسمع من الفتاوي الفقهية والدعوية من الشباب ما يندى له الجبين، مما جعلني أوصي بالاتصال هاتفياً بالعلماء في بيوتهم أو استقدامهم على نفقة المركز في المناسبات، بل تشكيل زيارات دورية للعلماء في مقارهم بمواعيد مسبقة، يقوم بها الشباب القائمون على الدعوة. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في إبراز أهمية التفاعل الفقهي الدعوي في العمل الإسلامي.

٢ ــ تفشي ظاهرة التصدي للفتوى من قبل غير المتخصصين.

٣ ــ تسرّع الشباب في الإقبال على التصنيف والتحقيق في مجال العلوم الشرعية دون تأهلهم لذلك.

تحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة:

تظهر مشكلة البحث بطرح الأسئلة التالية:

١ ــ هل يصح أن يكون الفقيه غير داعية، أو أن يكون الداعية غير فقيه؟

٢ ــ هل دعوة الفقيه تقتصر على الإخبار عن الحكم الشرعي؟ وما قدر الكفاية في دعوة العلماء والفقهاء؟

٣ ــ ما صلة الدعوة بالعلوم الشرعية الأخرى لا سيما الفقه؟

٤ ــ ما مدى الحاجة إلى التفاعل الفقهي الدعوي؟

٥ ــ ما أثر المشرب الدعوي على فهم النصوص؟

٦ ــ ما أثر الممارسة الدعوية على الفقيه؟

٧ ــ كثيراً ما يجد الداعية نفسه في ميدان الدعوة أمام فقيه أعلم منه بمراحل، فهل ينبغي للداعية أن يدعو أمام من هو أعلم منه وأفقه؟ وهل الفقهاء

والعلماء بحاجة إلى الاستماع للدعاة والتفاعل مع دعوتهم والتأثر بمن دونهم في العلم؟

٨ ــ ما أثر التفقّه على الداعية؟ وما مدى حاجة الداعية إلى التفقّه؟

٩ ــ هل الدعوة تدعم الفقه الإسلامي؟ وكيف؟

كما سألتزم ـ إن شاء الله تعالى ـ بما يلي:

١ ــ عدم التعرض لتفاصيل الأحكام الفقهية المتعلقة بالدعوة إلا بقدر الحاجة.

٢ ــ عدم الاقتصار في البحث على المعنى الاصطلاحي المتأخر للفقه القاصر على (العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلّتها التفصيلية)[1]، بل ما يشمل الفقه في الدين.

٣ ــ الاقتصار في العلاقة بين الفقه والدعوة على التفاعل والتأثر بينهما، وحاجة كل منهما إلى الآخر.

منهج البحث:

سأنهج في بحثي هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ:

١ ــ الاعتماد على الكتاب والسنة وما بني عليهما كأساس للدراسة.

٢ ــ الدراسة التأصيلية التحليلية في بيان علاقة الفقه بالدعوة.

٣ ــ التزام التحقيق والواقعية في بيان علاقة الفقه بالدعوة، من خلال معرفة:

أ ــ كيف تفقه السلف؟ وكيف تحركوا بفقههم؟ وكيف أدركوا أنّ الدعوة والفقه أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؟

---

(١) محمد أبو زهرة «أصول الفقه»، ص ٤، القاهرة ـ مصر، دار الفكر العربي.

ب ــ هل تفقه السلف بفقه الواقع؟ وما أدلة ذلك من سيرتهم ومواقفهم وفتاويهم؟

٤ ــ عزو الآيات إلى موضعها في كتاب الله ـ تعالى ـ.

٥ ــ تخريج الأحاديث الواردة في البحث من المصادر المعتبرة عند المحدثين وعلى طريقتهم.

٦ ــ عزو كلام الفقهاء والمفسرين وغيرهم إلى أهله في كتبهم.

٧ ــ الاستفادة من برامج الحاسب الآلي في جمع المعلومات وتصنيفها وتخريج الآيات والأحاديث.

الدراسات السابقة:

١ ــ «مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة»[١]، للشيخ محمد الغزالي:

يقع الكتاب في مجلد ضخم يحتوي على ٥١٩ صفحة، جعل الباحث الكتاب في خمسة وعشرين بنداً، بعد أن قدم لبحثه عرّف الدعوة والحاجة إليها، وتكلم عن السنن العامة في دعوة الرسل وكيف انتشر الإسلام، وعن حملة الدعوة وصفاتهم، ووسائل الدعوة وموضوعات الكتابة المعاصرة، ثم تعرض للهدامين ومقاومتهم، وختم بحثه بالزاد الذي ينبغي على الداعية اتخاذه في دعوته.

تكلم الباحث تحت عنوان (أمة ورسالة) عن حال الأمة قائلاً: (إنّ الأمّة الإسلامية صاحبة الرسالة وحاملة الدعوة ووريثة وحي يجب أن تبلغه بالعلم وأن تظهره بالعمل، بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته، وضعف أخذها

---

(١) محمد الغزالي «مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة»، ط ٤، مصر ـ القاهرة، دار الكتب الحديثة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

به، ووفاؤها له على اختلاف الليل والنهار، واطرد هذا التفريط...) ثم يذكر الشيخ أثر ضعف الدعوة على التعليم فيقول: (ففي حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ونبتت خلالها أشواك كثيرة، وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات.... والعلم الإسلامي اليوم متوار في المعاهد الخاصة، بعدما عزل عن الحياة العامة، وساء تقويمه، وقل التعويل عليه. وفي حقل التشريع ساد القحط كل ناحية وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة، وأن يضبطها باسم الله في مجراهـا العنيد، ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها)[1].

هذه الصورة الحزينة التي عكسها الباحث تجعلنا ندرك مدى حاجة الفقه الإسلامي إلى دعاة يقيمون دعائمه في المجتمع المسلم.

ثم تكلم الشيخ تحت عنوان (من صفات الداعية) عن حاجة الداعية إلى دقة الفهم للدين والدنيا، وخطر قصور الدعاة على الأمّة والدين، فيقول: (وليعلم الداعية أنّ أسوأ شيء يواجهه في ميدان العمل، أن يتحدث إلى قوم حديثاً ينبىء عن قصور فكره أو عدم فهمه، إن كل ما يبنيه سينهار فوق رأسه، وسيجد مستمعوه أنهم أعرف منه بالحياة، وأنهم ـ بالتالي ـ أبصر بما يصنعون للسير في دروبها، بعيداً عن توجيهات هذا الواعظ المسكين)[2].

إلا أن طبيعة مؤلف الشيخ الغزالي لا تتسم بالدراسة العلمية، فالبحث خالٍ من ذكر قائمة للمراجع، ولا يذكر في الحاشية الكتب التي نقل منها، بل كما يقول: (ولسنا فيما نذكره مقيدين بترتيب ما، بل نثبت ما عَنَّ لنا كيفما اتفق)[3]. ومع أنه حريص على عزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله ـ تعالى ـ، إلا أنه لا يخرج الأحاديث والآثار. والكتاب ممتع يعكس جهود

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩.
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥.
(٣) المرجع السابق ص ٢١٩.

داعية مجرب حريص على مصالح الأمّة، إلا أنه يسرد الكلام سرداً بعاطفة جياشه، وينتقل من فكرة إلى أخرى دون مقدّمات أو ترتيب.

٢ ـ «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»[١]، للدكتور يوسف القرضاوي:

هذا البحث طبع اثنتي عشرة طبعة، طبعته مجلة الأمّة ثلاث طبعات في نحو مائة وعشرين ألف نسخة، وطبعته دار الشروق في القاهرة، ودار الثقافة في قطر، ومؤسسة الرسالة في بيروت، ودار البعث في الجزائر، ودار المعرفة في المغرب، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن وترجمه إلى الإنجليزية، كما تُرجم إلى الأردية والماليزية والتركية وغيرها من اللغات، وما زالت طبعاته تنفذ من الأسواق، وقد جعله الباحث في ٢٢٨ صفحة.

بعد أن قدم الباحث لبحثه قسم بحثه إلى أربعة فصول، في الفصل الأول عرف التطرف وعيوبه وشرح مظاهره وبين وسطيّة الدعوة الإسلامية، وفي الفصل الثاني بدأ ببحث أسباب التطرف ودواعي إعراض الشباب عن العلماء، وفي الفصل الثالث وضع سبل العلاج للتطرف، ودعا العلماء والحكام إلى معاملة الشباب الدعاة بروح الأبوّة والأخوّة، وحذّر من التطرف في تصوير التطرف، وفي الفصل الرابع توجه إلى شباب الإسلام بالنصائح الأبوية، ودعاهم إلى احترام تخصص العلماء والأخذ عن أهل الورع، والاعتدال والتيسير وعدم التعسير، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومعايشة الجماهير وإحسان الظن بهم.

وتحت عنوان (ضعف البصيرة بحقيقة هذا الدين) يقول: (ولا ريب أن

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوي «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، ط ٢، القاهرة ـ المنصورة، دار الصحوة ـ دار الوفاء، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

من الأسباب الأساسية لهذا الغلو، هو ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وقلة البضاعة في فقهه، والتعمق في معرفة أسراره، والوصول إلى فهم مقاصده، واستشفاف روحه، ولا أعني بهذا السبب الجهل المطلق بالدين، فهذا في العادة لا يفضي إلى غلو وتطرف، بل إلى نقيضة، وهو الانحلال والتسيُّب، إنما أعني به نصف العلم، الذي يظن صاحبه به أنه دخل في زمرة العالمين)[1].

وتحت عنوان (التباس المفاهيم) يقول: (وقد أدّى هذا الغبش في فهم الإسلام وعدم وضوح الرؤية لأصول شريعته، ومقاصد رسالته، إلى التباس كثير من المفاهيم الإسلامية واضطرابها في أذهان الشباب، أو فهمهما على غير وجهها)[2].

وتحت عنوان (لماذا أعرض الشباب عن العلماء؟) يقول: (وهنا نجد من الإنصاف أن نقول: إن بعض الشباب إنما اعتمدوا على الكتب، لفقدانهم الثقة بأكثر المحترفين من رجال العلم... ووجدوا الأموات أوثق وآمن من الأحياء، فلجؤوا إلى كتبهم يأخذون عنها دون وسيط... ثم يقول: لا ينبغي أن نحمل الكل ذنب البعض، وأن نأخذ المحسنين بتقصير المسيئين، فمن العلماء من رفض الباطل، ومن تصدّى للظلم، ومن أبى الانحناء للطاغوت، وصبر على البلاء، ورضي بالسجن والتنكيل، بل رحب بالشهادة في سبيل الله، ولم يقبل المساومة على دينه، أو التهاون في شأن عقيدته)[3].

وتحت عنوان (عاملوهم بروح الأبوّة) يقول: (ينبغي أن لا يكون موقفنا منهم موقف ممثلي الاتهام كل همنا أن نبرز مساوئهم، ونضخم سلبياتهم، ونشكك في نواياهم، ونطعن في أعمالهم... إنما قبل كل شيء

---

(١) المرجع السابق ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ ـ ٩٣.

أن نعاملهم بروح الأبوّة الحانية... يجب أن نقف موقف المحامي عنهم... فإذا لم نحسن أن نقف موقف الدفاع، لسبب أو لآخر، فلنقف موقف العادل، الذي لا يدين إلا ببيِّنة.. وأشهد لقد خالطت هؤلاء الشباب في أكثر من بلد إسلامي، وعرفت الكثير منهم عن كثب، فلم أرَ منهم إلاّ قوّة في دين، وصلابة في يقين، وصدقاً في قول، وإخلاصاً في عمل، وحباً للحق، وكراهية للباطل... لمست من هؤلاء الشباب إسلاماً جديداً حياً غير إسلامنا التقليدي الميت، وإيماناً متدفقاً غير إيماننا الموروث البارد، وإرادة صلبة في فعل الخير غير إرادتنا المخدرة)[1]. ومن نصائحه للشباب يقول: (من المعاني الكبيرة التي يجب على شبابنا أن يحسنوا التفقه فيها: أن يعرفوا ما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز، وأن منطقة ما يجوز فيه الخلاف أوسع بكثير مما لا يجوز، وأهم من هذا كله أن يتعلموا أدب الخلاف[2] وهو أدب ورثناه من أئمتنا وعلمائنا الأعلام، علينا أن نتعلم منهم كيف تتسع صدورنا لمن يخالفنا في فروع الدين)[3].

البحث يمس أعماق القارىء لأنه يدور في فلك الواقع، ويعالج قضاياه، وهو بحث علمي بحق، فهو لا يحلِّق في فضاء الفكر المجرد، أو مشاكل الأزمان الغابرة التي لم يعد لها وجود. عزا الباحث الآيات إلى مواضعها في كتاب الله، وخرَّج الأحاديث، وكان عزوه لمعظم النصوص المنقولة ضمن المتن. إلا أن المؤلف تحت عنوان (فقه الجزئيات) ينكر بعض الأمور على المتدينين فيقول: (فمن السنن الغير تشريعية ـ فيما أرى ـ

(١) انظر المرجع السابق ص ١٣٥ ـ ١٣٨.
(٢) للمؤلف رسالة في هذا الباب «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» دراسة في فقه الاختلاف في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
(٣) المرجع السابق ص ١٦١.

الأكل باليد دون استعمال أداة كالملعقة ونحوها، فقد كانت هذه هي عادة العرب وطريقتهم...)[1] وفيه نظر، ويقول: (ومن ذلك موضوع الثوب القصير الذي تشبث به كثير من الشباب المتدين، وأصروا على لبسه، وإن جر عليهم متاعب جمة، كأنما هو من شعائر الإسلام، أو من فرائضه اللازمة..)[2] وهذا العرض فيه نظر، كما لم يتعرض الباحث إلى حاجة المتفقه لممارسة الدعوة وأثرها عليه، حيث إنّ البحث في تطرف الشباب المتدين، كما لم يجعل الباحث قائمة بمراجع بحثه.

٣ ـ «ثقافة الداعية»[3] للدكتور يوسف القرضاوي:

جاء البحث في ١٥٢ صفحة، جعله الباحث في ستة بنود، يقول الباحث في المقدمة: (ولقد تبين لي أنّ الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي:

١ ـ الثقافة الإسلامية.

٢ ـ الثقافة التاريخية.

٣ ـ الثقافة الأدبية واللغوية.

٤ ـ الثقافة الإنسانية.

٥ ـ الثقافة العلمية.

٦ ـ الثقافة الواقعية[4].

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦.

(٣) يوسف القرضاوي، «ثقافة الداعية»، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

(٤) المرجع السابق ص ٨.

وعلى هذا الأساس قسم الباحث بحثه، يقول الباحث في المقدمة: (فالداعية وحده هو - في غالب الأمر - الإدارة والتوجيه والمنهج والكتاب والمعلم، وعليه وحده يقع عبء هذا كله. وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد المتكامل أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق. . . .)[1].

وتحت عنوان (الفقه) يقول الباحث: (ولا بد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية، بحيث يعرف أهم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والآداب، وما لم يعرفه أو يستحضره يكون قادراً على مراجعة حكمه في مصادره ومظانه الموثقة، وذلك مهم للداعية من عدة نواحٍ، ليستطيع أن يجيب السائلين عن الحلال والحرام وشئون العبادة والأسرة ونحوها، مما يكثر الناس السؤال عنه، ويلجؤون عادة إلى الدعاة، يلتمسون منهم الفتوى في ذلك، فمن لم يكن متضلعاً في الفقه سكت أو تهرب، وفي ذلك إضعاف لموقفه وتأثيره، أو أفتى بغير علم، وهذه هي الطامّة. . . .)[2] ويقول: (ويحسن بالداعية أن يتعرف على المذاهب الأخرى، وبخاصة التي يتبعها بعض من يدعوهم، فإن كان مالكياً وهو في بيئة حنبلية، أو كان حنبلياً أو شافعياً وهو في بيئة حنفية، أو العكس، فينبغي أن يلم بأهم ما يتميز به مذهب البلد عن مذهبه، حتى لا ينكر على الناس ما لا يجوز أن ينكر)[3].

وتحت عنوان (علم أصول الفقه) يقول الباحث: (نجد مسائل كثيرة بعضها اتفقوا عليه وبعضها اختلفوا فيه. . . ولا بدّ للداعية أن يعرف الراجح والمرجوح ليأخذ بالراجح، ويعذر الآخذين بالمرجوح، أو يقنعهم إذا استطاع)[4].

---

(١) المرجع السابق ص ٦.
(٢) المرجع السابق ص ٨٠.
(٣) المرجع السابق ص ٨٢.
(٤) المرجع السابق ص ٩١.

البحث مقصور على عناصر الثقافات التي يحتاجها الداعية، مع بيان خصائص هذه الثقافات وحاجة الداعية إليها، كما أنّ الباحث لم يضع قائمة بمراجع بحثه.

٤ ـ «الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية»[1] لفتحي يكن:

جعل الباحث بحثه في ١١٥ صفحة، بعد أن قدم لبحثه شرح معنى الاستيعاب في بحثه بقوله: (الاستيعاب قدرة الدعاة على اجتذاب الناس وربحهم على اختلاف عقولهم وأمزجتهم وطبقاتهم وثقافاتهم)[2]، قسم الباحث بحثه إلى بندين:

* الاستيعاب الخارجي: استيعاب من هم خارج الدعوة.

* الاستيعاب الداخلي: استيعاب من هم داخل الدعوة.

وقسم الاستيعاب الداخلي إلى قسمين:

أ ـ الاستيعاب العقائدي والتربوي.

ب ـ الاستيعاب الحركي.

جعل الباحث الفقه في دين الله أول بنود الاستيعاب الخارجي، يقول: (هل يمكن أن يكون الداعية داعية إلى الله بصدق وعلى هدى إن لم يكن على فقه في دين الله؟ وهل يمكن أن يستوعب الداعية الناس في الإسلام إن كان جاهلاً لمبادىء الإسلام وأصوله وقواعده وأحكامه وتشريعاته وحلاله وحرامه؟ إن اجتذاب الناس إلى الإسلام أولاً هو الأساس، وهو الطريق الصحيح، حيث يجعلهم مسلمين مرتبطين بالإسلام متشبّثين به... ولقد

---

(١) فتحي يكن، «الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية»، ط ١١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

ابتلي الإسلام اليوم بدعاة يدعون الناس إلى تنظيماتهم بدل أن يدعوهم إلى الإسلام، ويبينون لهم محاسن تنظيماتهم ومزاياها بدل أن يبينوا محاسن الإسلام ومزاياه، وهذا ما جعل ارتباط الفرد بالدعوة ارتباطاً حزبياً وليس ارتباطاً عقائدياً، بل جعله في بعض الأحيان ارتباطاً شخصياً وليس مبدئياً، وهذا بالتالي جعل ميدان الدعوة الإسلامية غاصّاً بالتنظيمات والأحزاب والفرق والحركات. إن معظم ذلك مرده إلى الجهل بحقيقة هذا الدين، وبالتالي إلى عدم الالتزام بأحكامه وقواعده، والنتيجة كما نرى وكما أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن ينتزعه بقبض العلماء، حتى إذا لم يَبْقَ عالم قط، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1]. إنّ الداعية معرض أن يُستفتى ويسأل عن أمور كثيرة، فهل يجيب برأيه أم بالإسلام؟ فإن كان جاهلاً بدين الله، فهل تنعقد له الإمامة على المسلمين، ويكون له الأثر فيهم؟... إن الفقه في دين الله والمعرفة العامة تمكنان الداعية من مخاطبة الناس على قدر عقولهم، بعد معرفته لعقولهم، ومن ملامسة قلوبهم، بعد معرفة ما يخالجها وما يساورها... ومن الفقه في الدين التزود بالثقافات والمعارف المختلفة والتي من شأنها أن تساعد الداعية على اجتذاب كل الناس على مختلف ثقافاتهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب كيف يقبض العلم ١/ ١٩٤)، وأيضاً في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس ١٣/ ٢٨٢)، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب العلم ـ باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/ ٢٠٥٨)، والترمذي في سننه (أبواب العلم ـ باب ما جاء في ذهاب العلم ٤/ ١٣٩)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب اجتناب الرأي والقياس ١/ ٢٠)، والدارمي في سننه (المقدمة ـ باب اجتناب الرأي والقياس ١/ ٢٠)، والدارمي في سننه (المقدمة ـ باب في ذهاب العلم ١/ ٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢ ـ ١٩٠ ـ ٢٠٣).

وميولهم، وبخاصة في عصر تعددت فيه الاتجاهات وكثرت الفلسفات وغدا التأثير في الناس واجتذابهم ليس بالأمر السهل...)[1]، وبعد بيان أهمية الفقه في دين الله للداعية لاستيعاب الناس، بين الباحث أهمية استيعاب الشباب المنتظمين في الدعوة بقوله: (في هذه المرحلة يتعين على الحركة أن تقوم بصياغة الوافدين إليها صياغة نوعية جيدة، تنقيهم من كل الرواسب الماضية، وتغسل أدمغتهم وعقولهم مما ران عليها أو علق بها من معطيات غير إسلامية... وتصحح عقيدتهم، وتقَوِّم سلوكهم وأخلاقهم، وتُهَذِّب أحاسيسهم ومشاعرهم...)[2].

البحث يحمل الطابع الحركي النشط، ويقدم تأصيلاً لاستيعاب الدعوة للجمهور، واستيعاب علماء الدعوة للناشئة من الدعاة، إلا أن البحث مختصر للغاية، حيث إن الباحث لم يستوعب أهمية الفقه في الدين للداعية، كما لم يُفَصِّل كيفية استيعاب الشباب الدعاة في خدمة المصالح الدعوية. عزا الباحث جميع الآيات إلى مواضعها في كتاب الله ـ تعالى ـ، وخرَّج كثيراً من الأحاديث التي أوردها، إلا أنه لم يورد قائمة بمراجع البحث.

٥ ـ «أصول الدعوة»[3]، للدكتور عبد الكريم زيدان:

بعد أن قدَّم الباحث لبحثه، قسمه إلى أربعة أبواب وخاتمة:

الباب الأول: موضوع الدعوة.

الباب الثاني: الداعي.

الباب الثالث: المدعو.

---

(١) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية لفتحي يكن ص ١٧ ـ ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) عبد الكريم زيدان «أصول الدعوة»، ط ٣، بيروت ـ عمان، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة البشائر، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.

الباب الرابع: وسائل الدعوة وأساليبها.

تكلم الباحث تحت عنوان (نظام الإفتاء) عن وظيفة العلماء الدعوية فقال: (أما قيام العلماء بواجب التعليم والتبليغ فهذا مما افترضه الإسلام على أهل العلم، فعليهم تعليم الناس ما يحتاجونه من أمور دينهم بالقدر الذي يأمر به الإسلام ويحتاجه الناس، ويزداد هذا الوجوب على العلماء ويتأكد كلما فشا الجهل في الناس واندرست معالم الشريعة وظهرت البدع. فإذا قصر العلماء في واجب التعليم والتبليغ أثموا وحوسبوا على تقصيرهم حساباً عسيراً، لأن تقصيرهم في هذا الواجب يعتبر من كتمان العلم الذي ائتمنوا عليه وأمروا بنشره وتبليغه للناس. فإذا قام العلماء بواجب التبليغ وجب وعلى الناس أن يقبلوا عليهم وأن يسمعوا منهم ويتعلموا ما يقولون ويعملوا بما يتعلمون، فإذا لم يفعلوا أثموا وحوسبوا لقيام الحجة عليهم بتبليغ العلماء لهم أحكام الدين. وبالرغم من تبليغ العلماء أحكام الدين ابتداء، فقد يبقى البعض جاهلاً بأحكام الإسلام، وقد يقصر العلماء بواجب التبليغ، فيفشو الجهل، ويكثر عدد الجاهلين)[1].

وتحت عنوان (الفهم الدقيق) يتحدث الباحث عن أهمية الفقه للداعية قائلاً: (العلم قبل العمل، قال ـ تعالى ـ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فقدَّم العلمَ على العمل، والواقع أن تقديم العلم على أي عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد ليقصده ويعمل للوصول إليه. وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضرورياً، فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله، لأن ما يقوم به من الدين، ومنسوب إلى رب العالمين. فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وبشرعية ما يقوله وما يفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع فيه

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرمه... فعلى الداعي المسلم أن يحرص أن يكون دائماً من المتفقهين في الدين، العلماء بأحكامه، المعلمين للناس الخير... ومن العلم العزيز النادر الذي يغفل عنه الكثيرون مع دلالة القرآن عليه وتصريحه به والدعوة إليه، علم طريق الآخرة الذي يهيج القلب ويزعجه ويدفعه إلى سلوكه، ويشعر صاحبه بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد لا يرجع بعده إلى دنياه، ولا ينفع فيه زاد صاحبه بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد لا يرجع بعده إلى دنياه، ولا ينفع فيه زاد إلا التقوى... إن هذا العلم هو الذي قلَّ وجوده بين الناس وبين طلاب العلم، وبدونه لا يعتبر العالم عالماً وإن حفظ الشروح والمتون والأحكام... إن هذا العلم هو لب العلم وغايته، وكل مسلم محتاج إليه، والعالم أشد حاجة إليه، والداعي أحوج من الجميع إليه)[1].

لم يتعرض الباحث للعلاقة بين الفقه والدعوة إلا كموضوع جانبي في معرض حديثه عن نظام الإفتاء وعدة الداعي والتربية والتعليم. عزا الباحث الآيات إلى مواضعها في كتاب الله ـ تعالى ـ، وخرَّج الأحاديث، وعزا النقول إلى أصحابها، إلا أنه لم يضع قائمة بمراجع البحث.

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

التمهيد

١ ـ الدعوة والفقه لغة واصطلاحاً.

٢ ـ أهمية الدعوة والفقه من الكتاب والسنّة.

٣ ـ التعريف بالفقيه الداعية.

٤ ـ صلة الدعوة بالعلوم الشرعية الأخرى.

التمهيد

١ ــ الدعوة والفقه لغة واصطلاحاً:

الدعوة في اللغة[1]:

الدَّعْوَةُ اسم مرة بمعنى الطلب، يقال: دعا بالشيء دَعْواً، وَدعْوَةً، ودُعَاءً، وَدَعْوَى: طلب إحضاره. ودعاه: رغب إليه وابتهل، ويقال: دعا الله: رجا منه الخير، ودعا لفلان: طلب له الخير، ودعا على فلان: طلب له الشر، ودعاه واستدعاه: صاح به وناداه أو استعان به، ودعاه إلى الشيء: حثّه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثّه على اعتقاده وساقه إليه، ودعاه إلى الأمير: ساقه إليه. ويقال: دعاني إلى الإحسانِ إليكَ إحسانُكَ إلَيَّ. وتقول للمرأة: أنت تَدْعِينَ وتَدْعُوِينَ وتَدْعين ـ بإشمام العين الضمة ـ، وللجماعة أنْتُنَّ تَدْعُونَ، مثل الرجال سواء. والدعاء واحد أَدْعِيَة، وأصله دَعَاوٌ، لأنه من دَعَوْتُ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت. قال الكفوي[2]: (الدعاء

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/١١٩)، الصحاح (٦/٢٣٣٦ ـ ٢٣٣٨)، الفائق في غريب الحديث (١/٤٢٦ ـ ٤٢٧)، غريب الحديث لابن الجوزي (١/٣٣٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٢٠ ـ ١٢٢)، مختار الصحاح ص ٢٠٦، لسان العرب المحيط (١/٩٨٦)، المصباح المنير ص ١٩٤ ـ ١٩٦، القاموس المحيط (٤/٣٢٨)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/٦٠٠ ـ ٦٠٣)، تاج العروس (١٠/١٣٦)، الكليات (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤)، المعجم الوسيط (١/٢٨٦).

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي القاضي (١٠٢٨ هـ ـ =

الرغبة إلى الله والعبادة نحو: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، والاستعانة نحو ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]، والسؤال نحو: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والقول نحو: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، والنداء نحو: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الإسراء: ١٥٢]، والتسمية نحو: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، والدعاء للقريب والنداء للبعيد، والداعي: المضطر فله الإجابة، والسائل: المختار فله المثوبة). والأُدْعِيَة مثلُ الأُحْجِيَة، والمُدْعَاةُ: المُحَاجَاةُ، يقال: بينهم أُدْعِيَة يَتَدَاعُونَ بها، وهي مثل الأُغلوطات، وحتى اللغز في الشعر أُدْعِيَة. ويقال: ما دعاه إلى أن يفعل كذا؟ أي ما اضطره ودفعه؟ ودعت ثيابه: أخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها، ودعا الولدَ زيداً وبزيد: سماه به، ودعاه لفلان: نسبه إليه، ودعا الميت: ندبه، ويقال لكل من مات: دُعِيَ فأجاب. ودعىٰ القوم دعاء، ودعوة، ومَدْعَاة: طلبهم ليأكلوا عنده، قال الأزهري: الدِّعْوَةُ ــ بالكسر ــ ادّعاء الولد الدَّعِيِّ إلى غير أبيه، أما الدَّعْوَةُ ـ بالفتح ـ في الطعام. قال الجوهري: هذا أكثر كلام العرب إلا عَدِيَّ الرِّباب[1]، فإنهم يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام. وقولهم: هو مِنِّي دعوة رجل: أي قدر ما بيني وبينه ذاك، ولهم الدعوة على غيرهم: أي يبدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليه: أي تجمعوا وتألبوا، وتداعى البنيان: تصدع، وتداعوا بالألقاب: دعا بعضهم بعضاً بذلك، والدَّعَّاءَةُ السبابة أو الأنملة التي يدعى بها. ودعوى فلان كذا: أي قوله، وادَّعَى

= ١٠٩٤ هـ)، لولا كتابه الكليات لطوي أبو البقاء مع علمه وفضله في زوايا المهملين، ولد أبو البقاء في كفا بالقرم، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وعين قاضياً في الأستانة. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٨٣)، معجم المؤلفين (٣/ ٣١).

(١) بطن من الرِّباب من العدنانية. معجم قبائل العرب (٢/ ٧٦٤).

الشيء، يَدَّعِيهِ، ادِّعَاءً: يطلبه لنفسه، والاسم الدَّعْوَى، قال ابن فارس[1]: (الدعوة المرة، وبعض العرب يؤنثها بالألف، فيقول: الدَّعْوَى، فمن دعائهم: اللهم أشركنا في دعوى المسلمين. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَنٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠]. وجمع دعوى دَعَاوِي ودَعَاوَى، بكسر الواو وفتحها، وقال بعضهم: الفتح أولى.

قال الكفوي: (الدعوى في اللغة: قول يقصد به إيجاب حق على غيره). والدُّعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ، والجمع دعاة وداعون، مثل قاض وقضاة وقاضون. ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ داعي الله، قال ـ تعالى ـ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦]، أي داعياً إلى توحيد الله وما يقرِّب منه.

قال في التهذيب: المؤذن داعي الله، والنبي ﷺ داعي الأمّة إلى توحيد الله وطاعته. قال الله ـ عزّ وجلّ ـ مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٣١]، وفي الحديث: «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة»[2]، أراد بالدعوة الأذان، جعله فيهم تفضيلاً

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي القزويني، من أعيان أهل العلم، وأفراد الدهر، يجمع بين إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء، من أئمة في وقته، له كتب بديعة، وتلامذة كثيرة، منهم بديع الزمان الهمذاني. توفي بالري سنة ٣٩٥ هـ: انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٢٧)، وفيات الأعيان (١/ ٣٥ ـ ٣٦)، البداية والنهاية (١١/ ٥٣٥)، طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣)، بغية الوعاة (١/ ٣٥٢)، شذرات الذهب (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، الديباج المذهب ص ٣٦ ـ ٣٧، معجم الأدباء (٤/ ٨٠ ـ ٩٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٥)، والطبراني في معجمه الكبير (١٧/ ٢٩٨)، من حديث عتبة بن عبد السلمي ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً. رمز له السيوطي بالحسن في =

لمؤذنه بلال رضي الله عنه ـ. وفي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: «فإني أدعوك بدعاية الإسلام»[1]، أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية: «فإني أدعوك بداعية الإسلام»[2]، وهي مصدر بمعنى الدعوة، كالعافية والعاقبة.

الدعوة في الاصطلاح:

تكلم العلماء في تعريف الدعوة إلى الله والدعوة الإسلامية كل حسب نظرته ومفهومه لحقيقتها. فتناولت التعاريف طبيعة وموضوع الدعوة ومهامها وأهدافها وأساليبها ووسائلها، فكانت التعاريف أقرب إلى التعريف بالوصف منها إلى التعريف بالحدّ الذي يخرج به محترزات التعريف. وسبب ذلك أنّ الدعوة أقرب إلى التطبيق العملي منها إلى التدوين العلمي، علاوة على أنّ الدعوة شديدة الاتصال بجميع فروع العلوم الشرعية، فهي جزء من التطبيق العملي لكل منها. إلا أنّ إبراز معالم الدعوة علمياً نال حظاً وافراً من جهود العلماء. فقال شيخ الإسلام ابن تيمية[3] ـ رحمه الله ـ: (الدعوة إلى الله هي

= الجامع الصغير (٢/ ١٣)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٤/ ١٩٢). ويفسر معنى «الدعوة في الحبشة» حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد، يعني اليمن». رواه الترمذي في سننه (كتاب المناقب ـ باب في فضل اليمن ٥/ ٧٢٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦٤)، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ١٨٧)، وقال الهيثمي: رواه الترمذي وأحمد، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٤/ ١٩٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الوحي ـ باب ١/ ٣١)، وفي (كتاب الجهاد ـ باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ٦/ ١١٠)، وفي (كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران ٨/ ٢١٥)، ومسلم في صحيحه في (كتاب الجهاد والسير ـ باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في (كتاب الجهاد والسير ـ باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٧).

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبي البركات =

الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)[1]، وقال في موضع آخر: (وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله الأمر به. وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه. ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة والظاهرة)[2].

وقال آدم عبد الله الألوري عن الدعوة: (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تجمعهم، وهي أيضاً: ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو من معصية كادت تحدق بهم)[3].

وقال البهي الخولي: (هي نقل الأمة من محيط إلى محيط، تلك هي

= عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، الملقب بابن تيمية، ولد في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ في مدينة حران، ثم هاجر مع أسرته إلى دمشق بسبب الغزو التتري لمدينة حران، والأرجح أنه لم يكن عربياً بل كردياً، نشأ في بيت علم، فكان مجداً مجتهداً، ولم يترك باباً من أبواب العلم إلا وطرقه، ظلت الأحقاد تلاحق ابن تيمية حتى زج به في السجن بقلعة دمشق، فمنع عن الكتابة، وضيق عليه الخناق، حتى قبض الله النفس الزكية في العشرين من شوال سنة ٧٢٨ هـ. انظر: فوات الوفيات (١/ ٣٥ ـ ٤٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥)، النجوم الزاهر (٩/ ٢٧١).

(١) مجموع الفتاوي (١٥/ ١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوي (١٥/ ١٦٤).

(٣) تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم ص ١٧، ومال إلى هذا القول محمد خير رمضان في كتاب (الدعوة الإسلامية، مفهومها وحاجة المجتمعات إليها) ص ١٢.

مهمة الداعية، فيما يندرج مجمل منهاجه ومفصله، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته)[1].

وقال محمد الراوي: (هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات)[2].

وقال الدكتور رؤوف شلبي: (الدعوة الإسلامية حركة إحياء للنظام الإلهي، الذي أنزله الله ـ عزّ وجلّ ـ على نبيّه الخاتم ﷺ)[3]، وقال في موضع آخر: (الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي)[4].

وقال محمد الخضر حسين في الدعوة: (حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)[5].

وقال أبو بكر ذكري: (هي قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة)[6].

وقال الدكتور أحمد غَلْوَش عن الدعوة الإسلامية: (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)[7].

وقال محمد أمين حسن: (الدعوة إلى الله تبليغ الناس جميعاً دعوة

---

(١) تذكرة الدعاة ص ٣٥.
(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ١٢.
(٣) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها ص ٣٢.
(٤) المرجع السابق ص ٣٨.
(٥) الدعوة إلى الإصلاح ص ١٧، ووافقه علي محفوظ في كتابه (هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة) ص ١٤.
(٦) الدعوة إلى الإسلام ص ٨.
(٧) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ١٠.

الإسلام، وهدايتهم قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم)[1].

وقال عنها محمد الغزالي: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، لِيُبَصَّرُوا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[2].

وقال الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: (أرى أن تعرف الدعوة الإسلامية بأنها تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في حياتهم)[3].

من مجموع ما سبق يتبين لنا أنّ الدعوة: (عملية شاملة لتطبيق شرع الله في حياة الناس على المستويات كافة وفي جميع المجالات، وفق المناهج والأساليب والوسائل المشروعة).

أما موضوع الدعوة فهو دين الله ـ الإسلام ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ـ جلّ ذكره ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الفقه في اللغة:[4]:

الفقه لغة العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته

---

(١) خصائص الدعوة الإسلامية ص ١٧.
(٢) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة ص ١٧.
(٣) المدخل إلى علم الدعوة ص ١٧.
(٤) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٤٠٤)، الصحاح (٦/ ٢٢٤٣)، الفائق في غريب الحديث (٣/ ١٣٤)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٢٠٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٦٥)، لسان العرب المحيط (٢/ ١١٢٠)، المصباح المنير ص ٤٧٩، القاموس المحيط (٤/ ١٨٩)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ٢١٠)، تاج العروس (٩/ ٤٠٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٩٨).

وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم. يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين، أي فهماً فيه، قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، أي ليكونوا علماء به، ودَعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس[١] ـ رضي الله عنهما ـ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٢]، أي فهِّمه. والفقه في الأصل: الفهم، واشتقاقه من الشَّقِّ والفَتْح، قال الزمخشري[٣]: (والفقيه العالم الذي يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها، ويفتح ما استغلق منها).

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم بالقرآن، فكان يسمى البحر، والحبر، لسعة علمه. مات سنة ٦٨ هـ بالطائف. التقريب (١/ ٤٢٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الوضوء ـ باب وضع الماء عند الخلاء ١/ ٢٤٤) بلفظ «اللهم فقهه في الدين»، ومسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ٤/ ١٩٢٧) بلفظ «اللهم فقهه»، ورواه أحمد في مسنده كاملاً (١/ ٢٦٦، ٣٢٨، ٣٣٥) وكذلك ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٩/ ٩٨)، والطبراني في معجمه الكبير (١٠/ ٣٢٠)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٥)، فزيادة «وعلمه التأويل» ليست في الصحيحين وإنما هي من رواية عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما، ورواه الطبراني كاملاً في معجمه الكبير (١١/ ١١٠) من طريق هاشم بن القاسم حدثنا ورقاء بن عمرو بن دينار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ به.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن محمد بن أحمد الزمخشري، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً به. ولد سنة ٤٩٧ هـ، ورد بغداد غير مرة، وجاور مكة. أصابه خراج في رجله فقطعها، وصنع عوضها رجلاً من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال فيظن من يراه أنه أعرج. وله من التصانيف: الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث والمفصل في النحو. مات يوم عرفة سنة ٥٣٨ هـ. انظر: إنباه الرواة (٣/ ٢٦٥)، معجم البلدان (٤/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٧٤)، وفيات الأعيان (٢/ ٨١ ـ ٨٤)، النجوم الزاهرة (٥/ ٢٧٤)، بغية الوعاة (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٤، شذرات الذهب (٤/ ١١٨ ـ ١٢١)، معجم الأدباء (١٩/ ١٢٦ ـ ١٣٥)، معجم المؤلفين (١٢/ ١٨٦).

وفَقِهَ ـ بكسر القاف ـ فِقْهاً بمعنى علم علماً، يقال: فَقِهَ عنِّي كلامي، ويَفْقَهُهُ، أي فَهِمَهُ.

قال الأزهري[1]: (قال لي رجل من كلاب وهو يصف لي شيئاً، فلما فرغ من كلامه قال: أفَقِهْتَ؟ يريد أفهمت). ويقال للشاهد: كيف فقاهتك لما أشهدناك؟ ولا يقال لغيره، أو يقال فيما ذكر الزمخشري. وفَقُهَ ـ بضم القاف ـ يفقه إذا صار فقيهاً عالماً. قال الأزهري: (أما فَقُهَ ـ بضم القاف ـ فإنما يستعمل في النعوت، يقال: رجل فقيه، وقد فَقُهَ فقاهة إذا صار فقيهاً وساد الفقهاء). وقال ابن سِيده[2]: (وقد فَقُهَ فَقَاهَة وهو فقيه من قوم فُقَهَاء، والأنثى فقيهة من نسوة فَقَائِه). وحكى اللحياني[3]: (نسوة فُقَهاء)، وهي نادرة، ونظيرها نسوة فقراء. وقال بعضهم: فَقُهَ الرجل فَقْهاً وفِقْهاً. قال

---

(١) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري اللغوي الأديب الهروي الشافعي (٢٨٢ هـ ـ ٣٧٠ هـ): إمام عالم باللغة العربية والفقه والرواية، ورد بغداد وأسرته القرامطة، فبقي فيهم داهراً طويلاً، وكان رأساً في اللغة، وله من التصانيف: التهذيب في اللغة، وتفسير ألفاظ مختصر المزني، والتقريب في التفسير وغير ذلك. وكان عارفاً بالحديث، عالي الإسناد، ثخين الورع. انظر: إنباه الرواة (٤/ ١٧٧ ـ ١٨١)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٦)، بغية الوعاة (١/ ١٩)، شذرات الذهب (٣/ ٧٢ ـ ٧٣).

(٢) علي بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي، أبو الحسن الضرير، أعلم أهل زمانه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، صنف المحيط الأعظم في اللغة والمخصص، توفي سنة ٤٥٨ هـ، عن نحو ستين سنة. انظر: إنباه الرواة (٢/ ٢٢٥)، وفيات الأعيان (١/ ٣٤٢)، لسان الميزان (٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، بغية الوعاة (٢/ ١٤٣)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، الديباج المذهب (٢٠٤ ـ ٢٠٥)، معجم الأدباء (١٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٥).

(٣) أبو الحسن علي بن المبارك اللِّحياني، من نبي لحيان بن هذيل بن مدركة، وقيل سمي به لعظم لحيته، أخذ عن الكسائي والأصمعي وأبي زيد، وأخذ عنه القاسم بن سلام، وله النوادر المشهورة. انظر: بغية الوعاة (٢/ ١٨٥).

الفيومي[1]: (وفَقِهَ فِقْهاً من باب تعب إذا عَلِمَ، وفَقُهَ ـ بالضم ـ مثله، وقيل بالضم إذا صار الفقه له سجية). وقال أبو زيد[2]: (رجل فَقُهٌ ـ بضم القاف وكسرها ـ وامرأة فَقُهَةٌ بالضم). وورد في الأثر أن سلمان ـ رضي الله عنه ـ نزل على نَبَطِيَّةٍ بالعراق، فقال لها: هل هنا مكان نظيف أصلي فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت، فقال سلمان: فَقِهَتْ)، أي فَهِمَتْ وفطِنت للحق والمعنى الذي أرادت، وقال شمر[3]: (معناه أنها فَقِهَتْ هذا المعنى

(١) أحمد بن محمد بن علي المصري الفيومي ثم الحموي، اشتغل ومهر وتميز في العربية عند أبي حيان، ثم قطن حماة، وكان فاضلاً عارفاً بالفقه واللغة، صنف المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة (١/ ٣١٤)، بغية الوعاة (١/ ٣٨٩).

(٢) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، الإمام النحوي المشهور صاحب التصانيف الأدبية واللغوية، روى له أبو داود والترمذي. جده ثابت بن قيس رضي الله عنه. قال أبو زيد: كلما قال سيبويه: «أخبرني الثقة»، فأنا أخبرته. توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٥ ـ ٦)، تاريخ بغداد (٩/ ٧٧ ـ ٨٠)، إنباه الرواة (٢/ ٣٠)، طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٠٥)، وفيات الأعيان (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٣٤٩ ـ ٣٥١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣ ـ ٥)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢١٠)، بغية الوعاة (٢/ ٥٨٢)، شذرات الذهب (٢/ ٣٤ ـ ٣٥)، معجم الأدباء (١١/ ٢١٢ ـ ٢١٧).

(٣) شَمِر أبو عمرو بن حَمْدَوَيْه الهروي اللغوي، أديب فاضل، إليه الرحلة في هذا الفن، ألف كتاباً كبيراً في اللغات، أسسه على حروف المعجم، أشبعه وجوده، إلا أنه طوله في الشواهد والشعر والروايات الجمة عن أئمة العرب وغيرهم من المحدثين، وأودعه من تفسير القرآن بالروايات عن المفسرين، ومن تفسير غريب الحديث أشياء لم يسبقه إلى أمثالها أحد تقدمه، ولا أدرك شأوه فيه من بعده. ولما اكتمل الكتاب ضنَّ به في حياته، ولم ينسخه طلابه، فلم يبارك له فيما فعله، حتى مضى لسبيله، وكانت نهاية الكتاب أن غرق في ماء النهروان. قال الأزهري: «ورأيت أنا من أول ذلك الكتاب تفاريق أجزاء بخط محمد بن قسورة، فتصفحت أبوابها، فرأيتها في غاية الكمال، والله يغفر لأبي عمرو زلته. والضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه». توفي شَمِر سنة ٢٥٥ هـ. انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٢)، إنباه الرواة (٢/ ٧٧)، بغية الوعاة (٢/ ٤)، كشف الظنون ص ١٤١٠، معجم الأدباء (١١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

الذي خَاطَبَتْهُ، ولو قال فَقُهَتْ كان معناه صارت فَقِيهَةً)، أما في الرواية التي ذكرها ابن الأثير[1]: (فقال: فَقِهْتُ) أي فهمتُ وفطنتُ للحق والمعنى الذي أرادت. وقال ابن شُمَيْل: (أعجبني فقاهته أي فقهه).

ورجل فقيه: أي عالم بشيء فهو فقيه فيه، ومن ذلك قولهم فلان ما يفقه وما ينقه[2]، معناه لا يعلم ولا يفهم. وفقيه العرب عالم العرب. وتَفَقَّهَ: تعاطى الفقه.

قال في البحر المحيط: (وفاقهه باحثه في العلـم، فَفَقَهَهُ ـ كَنَصَرَهُ ـ غلبه فيه). والفقه الفطنة. وفي المثل: خير الفقه ما حاضَرْتَ به، وشَرُّ الرأيِ الدَّبَرِيُّ[3]. وقال عيسى بن عمر[4]: (قال لي أعرابي: شهدت عليك بالفقه،

---

(١) أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلي الشافعي، مجد الدين ابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤ هـ، بجزيرة ابن عمر ـ بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام ـ، اختار مجد الدين الحديث والفقه، بينما آثر أخوه عز الدين التاريخ والأنساب، ومال أخوه ضياء الدين إلى الكتابة والبيان. توفي المجد ابن الأثير سنة ٦٠٦ هـ. انظر: إنباه الرواة (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩١)، النجوم الزاهرة (٦/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، شذرات الذهب (٥/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٢) يقال نَقِهَ الكلام نَقَهاً، ونَقَهَهُ ـ بالفتح ـ نَقْهاً، أي فمهه، والاستنقاه الاستفهام. وانْقِهْ لي سمعك، أرعينه. الصحاح (٦/ ٢٢٥٣).

(٣) الدَّبَرِيّ بوزن الطَّبَرِيّ وهو الذي يسنح أخيراً عند فوت الحاجة، مأخوذ من دبر الشيء، وهو آخره. يقال: فلان لا يصلي الصلاة إلادبريا ـ بفتحتين ـ أي في آخر وقتها، والمحدثون يقولون: دُبْرِياً، بوزن قُمْرِيّ. انظر: كتاب الأمثال ص ٢١٤، لسان العرب (١/ ٩٤٤)، مختار الصحاح ص ١٩٧.

(٤) عيسى بن عمر البصري الثقفي المقرىء النحوي، من قراء أهل البصرة ونحاتها، له في النحو نيف وسبعون تصنيفاً، قال يحيى بن معين: عيسى بن عمر بصري ثقة. توفي سنة ١٤٩ هـ. انظر: إنباه الرواة (٢/ ٣٧٤)، طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٦١٣)، وفيات الأعيان (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، الوافي بالوفيات (٣/ ٦٤٣ ـ ٦٤٥)، طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢١٢ ـ ٢١٥)، النجوم الزاهر (٢/ ١١)، بغية الوعاة (٢/ ٢٣٧)، شذرات الذهب (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، معجم الأدباء (١٦/ ١٤٦ ـ ١٥٠).

أي بالفطنة). وفحل فقيه: طَبٌّ بالضِّرابِ[1] حاذَقٌ بذوات الضَّبَع[2] وذوات الحمل. والمُسْتَفْقِهَة صاحبة النائحة التي تجاوبها قولها، لأنها تتلقفه وتتفهمه فتجيبها عنه. ويتعدى بالألف فيقال: أفقهتك الشيء، وفي التهذيب: (أفْقَهْتُهُ أي بيَّنت له تَعَلُّمَ الفقه). وفي لسان العرب: (فَقَّهَهُ وأفْقَهَهُ: عَلَّمَهُ).

الفقه في الاصطلاح:

عرف الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ الفقه بأنه (معرفة النفس ما لها وما عليها)[3]، وعرفه الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ بأنه (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية)[4].

قال الفيومي: (الفقه على لسان حملة الشرع علم خاص). وقال ابن الأثير: (وجعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصاً بعلم الفروع منها).

قال الإمام الرازي[5]: (وفي اصطلاح العلماء الفقه عبارة عن العلم

---

(١) الطُّبّ بضم الطاء وفتحها لغتان في الطب، وكل حاذق بعمله عند العرب طبيب، وفحلٌ طبٌّ: ماهر حاذق بالضراب، يعرف اللاقح من الحائل، والضَّبْعَة من المبسورة (إذا ضربت الناقة على غير ضَبَعَةٍ. لسان العرب ١/ ٢١١)، ويعرف نقص الولد في الرحم، ويكرف ثم يعود ويضرب. انظر لسان العرب (٢/ ٥٦٥).

(٢) الضَّبَع: بالتحريك، والضبعة: شدة شهوة الفحلِ الناقةَ، وضبِعت الناقة، بالكسر، اشتهت الفحل، واستعملت الضبعة في النساء. انظر لسان العرب (٢/ ٥١٠).

(٣) التوضيح لمتن التنقيح (١/ ١٠).

(٤) شرح جمع الجوامع (١/ ٣٢)، شرح الأسنوي (١/ ٢٤)، المدخل إلى مذهب أحمد ص ٥٨.

(٥) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الشافعي المذهب، أشعري متكلم ومفسر وأصولي متفلسف، ولد سنة ٥٤٤ هـ بالريّ، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وكان ذا ثروة ومماليك واحترام لدى الملوك، توفي بهراة سنة ٦٠٦ هـ، من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن وشرح الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي. انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ٢٤٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٧٩)، البداية والنهاية (١٣/ ٥٥ ـ ٥٦)، شذرات الذهب (٥/ ٢١).

بالأحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها، بحيث لا يعلم كونها من الدين بالضرورة. فإن قلتَ: الفقه من باب الظنون، فكيف جعلته علماً؟ قلتُ: المجتهد إذا غلب على ظنّه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدّى إليه ظنّه، فالحكم معلوم قطعاً، والظن واقع في طريقه.

وقولنا: العلم بالأحكام، احتراز عن العلم بالذوات، والصفات الحقيقية. وقولنا: الشرعية، احتراز عن العلم بالأحكام العقلية، كالتماثل والاختلاف والعلم بقبح الظلم وحسن الصدق ـ عند من يقول بكونهما عقليين. وقولنا: العملية، احتراز عن العلم بكون الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة. فإن كل ذلك أحكام شرعية، مع أن العلم بها ليس من الفقه، لأن العلم بها ليس علماً بكيفية العمل. وقولنا: المستدل على أعيانها، احتراز عما للمقلد من العلوم الكثيرة المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية، لأنه إذا علم أن المفتي أفتى بهذا الحكم، علم أن ما أفتى به هو حكم الله ـ تعالى ـ في حقه، فهذان العلمان يستلزمان العلم بأن حكم الله ـ تعالى ـ في حقه ذلك، مع أن تلك العلوم لا تسمى فقهاً، لما لم يكن مستدلاً على أعيانها. وقولنا: بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة احتراز عن العلم بوجوب الصلاة والصوم، فإذن ذلك لا يسمى فقهاً، لأن العلم الضروري حاصل بكونهما من دين محمد ﷺ)[1]. انتهى كلام الرازي.

ويعرفه علماء أصول الفقه بأنه: «العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية»[2].

وموضوع الفقه: هو أعمال المكلفين من حيث مطالبتهم بها، إما فعلاً كالصلاة، أو تركاً كالغصب، أو تخييراً كالأكل[3].

(١) المحصول في علم أصول الفقه (١/ ١٠).
(٢) أصول الفقه لأبي زهرة ص ٤.
(٣) الفقه الإسلامي وأدلته (١/ ١٧).

والمستعرض لنصوص الكتاب والسنّة يجد أن كلمة الفقه لا ترد فيهما إلا بمعنيين:

الأول: الفهم:

قال ـ تعالى ـ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١]، وقال تعالى ـ: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٧ ـ ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفقهه كل أحد، لم يكن يسرده سرداً»[1].

والثاني: فقه الدين عامة:

قال ـ تعالى ـ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2]، وقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ـ:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٨٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب فرض الخمس ـ باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**فأن لله خمسه وللرسول**﴾ [الأنفال: ٤١] ٦/ ٢١٧)، وأيضاً في (كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ١٣/ ٢٩٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ٣/ ١٥٢٤)، وأيضاً في (كتاب الزكاة ـ باب النهي عن المسألة ٢/ ٧١٨ ـ ٧١٩)، والدارمي في سننه (المقدمة ـ باب الاقتداء بالعلماء ١/ ٦٥)، ومالك في الموطأ (كتاب القدر ـ باب جامع ما جاء في أهل القدر ٢/ ٩٠١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠١). كما روي هذا الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، رواه الترمذي في =

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1].

فمصطلح الفقه له مدلوله الخاص عند علماء الفقه وأصوله، ولا مشاحة في الاصطلاح، إلا أن عموم مدلولات الكتاب والسنّة لا يخصصها هذا الاصطلاح، بل تبقى النصوص على عمومها. والسؤال الذي يطرح نفسه، هل من حصل له علم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، يحصل له فقه في الدين بالضرورة؟

الحق أنّ هذا لا يحصل بالضرورة، حيث إن الفقه في الدين بحسب مدلولات الكتاب والسنّة أعم من معرفة المسائل الفقهية، بل يشمل فهم أصل رسالة الإسلام وموضوعها وأهدافها ومقاصدها وكيفية تبليغها ونشرها وأداء أمانتها والدفاع عنها وحراستها وإقامة شرائعها على كافة المستويات.

ولا يشترط أن يكون الرجل فقيهاً ـ بحسب المعنى الاصطلاحي ـ عالماً بتفاصيل الأحكام الفقهية ليكون لديه فقه في الدين، كما أنّ الدارس لأقسام الفقه الدراسية لا يشترط أن يحصل له بذلك فقه في الدين، فكم من دارس للفقه بهذا المعنى لا فقه له بالمعنى القرآني والنبوي، ففي الحديث عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[2].

= سننه (كتاب العلم ـ باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين ٥/ ٢٨)، والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ٢/ ٢٠٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠٦)، كما روي الحديث ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، رواه ابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٤).

(١) سبق تخريجه ص ٣٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه (كتاب العلم ـ باب فضل نشر العلم ٤/ ٦٨)، والترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٤)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب من بلغ علماً ١/ ٨٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٨٣)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٢/ ٣٥)، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع =

والسلف يسمون الطاعة والتقوى والخشية فقهاً، ويسمون من اتصف بذلك فقيهاً، بل ورد ذلك أيضاً في السنة، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من فقه الرجل رفقه في معيشته»[1].

وعن عمار ـ رضي الله عنه ـ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة[2] من فقهه»[3].

وكتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي موسى الأشعري[4] ـ رضي الله عنه ـ: (إن الفقه ليس بكثرة السرد، وسعة الهدر، وكثرة الرواية، وإنما الفقه خشية الله ـ عزّ وجلّ ـ)[5]. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية)[6].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: (إن من فقه المرء ممشاه ومدخله ومجلسه)[7]، وعنه ـ أيضاً ـ أنه قال: (من فقه الرجل إقباله على

= الصغير (٢/ ١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٨) وفي صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٧)وفي صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٤٤ ـ ٤٥).

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، ووكيع في الزهد ص ٤٦٥، وهناد في الزهد موقوفاً (٢/ ٦٥٤).

(٢) المئنة: العلامة. لسان العرب (٣/ ٤٢٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٤)، والدارمي في سننه (كتاب الصلاة ـ باب في قصر الخطب ١/ ٣٠٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٣).

(٤) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أمّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة ٥٠ هـ. تقريب التهذيب (١/ ٤٤١).

(٥) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٤.

(٦) رواه أحمد في الزهد ص ٢٣١.

(٧) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، وذكره ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٨.

حاجته حتى يقبل على صلاته)[1]، لأنه إن قضى حاجته تفرّغ قلبه للعبادة ولم ينشغل بغيرها.

وعن الحسن البصري[2] ـ رحمه الله ـ قال: (إنا لنجالس الرجل فنرى أن به عياً وما به عي وإنه لفقيه مسلم).

قال وكيع[3]: (أسكتته الخشية)[4]، ولا يُقصد أن يكون متماوتاً، بل متخشعاً ساكناً لله، وهذا من الحكمة، وكما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وعن الحسن ـ أيضاً ـ قال: (الفقيه المجتهد في العبادة، الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، الدائب على العبادة، المتمسك بالسنّة)[5].

وقال وهب من منبه[6]: (الفقيه العفيف المتمسك بالسنّة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان)[7].

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً (كتاب الأذان ـ باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة ٢/١٥٩)، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٢/٢٨٣)، ورواه ابن المبارك في الزهد ص ٤٠٢ رواية ١١٤٢.

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حُدثوا وخُطبوا بالبصرة، مات سنة ١١٠ هـ، وقد قارب التسعين. تقريب التهذيب (١/١٦٥).

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرُؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، مات في آخر سنة ٢٩٦ هـ، أوفي أول سنة ٢٩٧ هـ، وله سبعون سنة. تقريب التهذيب (٢/٣٣١).

(٤) رواه أحمد في الزهد ص ٣٧١، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٩.

(٥) رواه أحمد في الزهد ص ٣٧٩، وأبو نعيم في الحلية (٢/١٤٧)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٥.

(٦) وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبناوي، ثقة، مات سنة مائة وبضع عشرة. تقريب التهذيب (٢/٣٣٩).

(٧) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٧.

وعن مجاهد[1] قال: (إنما الفقيه من يخاف الله ـ عزّ وجلّ ـ)[2].

وعن الفضيل بن عياض[3] يقول: (إنما الفقيه الذي أنطقته الخشية، وأسكتته الخشية، إن قال قال بالكتاب والسنّة وإن سكت سكت بالكتاب والسنة، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلى عالمه)[4].

ويقول أحمد بن قدامة المقدسي[5] ـ رحمه الله ـ:

(واعلم أنه قد بدلت ألفاظ وحرفت، ونقلت إلى معانٍ لم يرها السلف الصالح، ومن ذلك: الفقه، فإنهم تصرفوا فيه بالتخصيص، فخصّوه بمعرفة الفروع وعللها، ولقد كان اسم الفقه ـ في العصر الأول ـ منطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدّة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب. ولذلك قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لهم».

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المخزومي، مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير والعلم، مات سنة ١٠١ هـ، وله ٨٣ سنة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩).

(٢) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله ١/ ٧٦)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٣.

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، الإمام القدوة، ولد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، قال النسائي: ثقة مأمون، وقال الدارقطني: ثقة. وهو من أقران سفيان بن عيينة في المولد، لكنه مات قبله بسنوات. انظر: التاريخ الكبير (٧/ ٧٤٠)، الجرح والتعديل (٧/ ٧٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)، شذرات الذهب (١/ ٣٦١).

(٤) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٨.

(٥) شمس الدين أبو محمد أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، ولد سنة ٦٥١ هـ، قاضي القضاة، وشيخ الحنابلة، كان فقيهاً فاضلاً، توفي سنة ٦٨٩ هـ، وعمره ٣٨ سنة، ودفن بمنزله بجبل قاسيون، بدمشق. انظر: طبقات الحنابلة (٤/ ٣٢٢).

إن إطلاقهم اسم الفقه على علم الآخرة أكثر، لأنه لم يكن متناولاً للفتاوى، ولكن كان متناولاً لذلك بطرق العموم والشمول، فثار من هذا التخصيص تلبيس، بعث الناس على التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة، والإعراض عن علم المعاملة للآخرة)[1].

٢ ــ أهمية الدعوة والفقه من الكتاب والسنّة:

أ ــ أهمية الدعوة من الكتاب:

١ ــ قال ـ تعالى ـ ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧]، ثم قال ـ سبحانه ـ بعد ذلك: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]، قال القرطبي[2] ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: (فجعل الله ـ تعالى ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام)[3].

٢ ــ والدعوة وظيفة كل رسول أرسله الله إلى الناس، فكان الرسول

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٨.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، المفسر، جمع كتاباً كبيراً في تفسير القرآن سماه «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان»، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداوودي ص ٢١٣، شذرات الذهب (٥/ ٣٢٥)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص ٣١٧، الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٧)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٤٠).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٤٧).

منهم يلقى ما يلقى من والتكذيب والأذى فيصبر في سبيل دعوته ورسالته التي أرسله الله من أجلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود: ٩١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [هود: ٥٣ ـ ٥٥]، ولولا عظم أهمية الدعوة وشدّة الضرورة إليها لما رضي الله لصفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين الصبر على الأذى والتكذيب في سبيل تحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها.

٣ ـ والنبي ﷺ الداعي الأول لهذه الأمة، قد أمره الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالدعوة إلى دينه، فكرس حياته ﷺ كلها لخدمة الدعوة ولتحقيق مصالحها، فأمر الخلق بكل ما أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه، فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر[1].

قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

(١) انظر مجموع الفتاوي (١٥/ ١٦١).

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧]، وقال ـ تعالى ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧]. بل ربما حصرت بعض الآيات وظيفة الرسول ﷺ بالدعوة والبلاغ، فقال ـ تعالى ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [المائدة: ٩٩].

٤ ــ وقد جعل الله الخيرية في هذه الأمة لحيثية الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٥ ــ ومدح الله ـ عزّ وجلّ ـ الدعوة إليه وجعلها أحسن ما نطق به العبد، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

٦ ــ كما جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ الدعوة إليه إحياء للمدعوين ونجاة لهم، فحثهم على الاستجابة لها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر: ٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

٧ ـ وجعل الإعراض عن الدعوة إلى الاحتكام إلى الله ورسوله من النفاق وفساد القلوب والريبة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١ ﴾ [النور: ٤٨ ـ ٥١].

٨ ـ ودعا الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى تفرغ أقوام من هذه الأمّة للدعوة إلى دينه، على أحد تفسيري قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، بجعل «من» تبعيضية. وعلى التفسير الآخر، بجعل «من» بيانية، هي دعوة من الله ـ عزّ وجلّ ـ لهذه الأمة أن تكون أمة داعية إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٩ ـ وجعل الله ـ عزّ وجلّ ـ للإستجابة للدعوة ثمرات في الدنيا والآخرة، وللإعراض عنها عواقب وخيمة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ ﴾ [هود: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢ ﴾ [هود: ٥٠ ـ ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٣٢ ﴾ [الأحقاق: ٣١، ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوي) ص ٨٤.

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح: ١ ـ ٤].

١٠ ـ وأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن قيام الدعاة بواجب الإصلاح في مجتمعهم سبب لمنع العذاب، قال ـ جلّ ذكره ـ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

ب ـ أهمية الدعوة من السنة:

١ ـ بين النبي ﷺ عظم أجر الدعوة إلى الهدى، وعظم وزر الدعوة إلى الضلالة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[1].

٢ ـ وحثّ النبي ﷺ أصحابه على الصبر وتحمل الأذى في سبيل دعوة الإسلام مهما كانت النتائج والعواقب في الدنيا، ووعدهم في مقابل ذلك بالنصر المبين، فعن خباب ـ رضي الله عنه ـ قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة، متوسداً بردة له، فقلنا: يا رسول الله، ادع الله ـ تبارك

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب العلم ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/ ٢٠٦٠)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب لزوم السنة ٥/ ١٦)، والترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتُّبِعَ أو إلى ضلالة ٥/ ٤٣)، وابن ماجة في سننه(المقدمة ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١/ ٧٥)، والدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١/ ١٠٧).

وتعالى ـ لنا واستنصره. قال: فاحمرّ لونه أو تغير، فقال: «لقد كان من قبلكم يحفر له حفرة، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق، ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب، ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله ـ تبارك وتعالى ـ هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ـ تعالى ـ والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون»[1]، مع أن الصحابة لم يطلبوا إلا الدعاء والاستنصار بالله ـ عزّ وجل ـ من النبي ﷺ إلا أنه تغير وجهه، لأنه رأى أصحابه يستعجلون ما قدره الله ـ عزّ وجلّ ـ من نصره هذا الدين ليخفف عنهم العذاب، وهدف الداعية لا بدّ أنْ يكون طلب النصرة لإعلاء كلمة التوحيد وتمكين الدين، لا لمجرد تخفيف العذاب، لا سيما الصحابة الذين تحملوا واجبهم كاملاً في الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ؛ فكان هذا توجيهاً كريماً من النبي ﷺ لأصحابه في مهد الدعوة، بأن لا يجزعوا لما يصيبهم في سبيل الدعوة إلى الله، وأن يظل استنصارهم بالله لنصرة دعوته ورسالته في كل وقت وحين، ووعدهم النبي ﷺ بالنصر والأمان بتحملهم عناء الدعوة، دون الحاجة إلى الاستعجال.

٣ ــ ولعظم أهمية الدعوة أمر النبي ﷺ أن يبلغ المسلم من أمر هذا الدين ما يقدر على تبليغه مهما قلَّ، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنّ النبي ﷺ قال: «بلّغوا عني ولو آية»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٩)، وباب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٧/ ١٦٥)، وأيضاً في (كتاب الإكراه ـ باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ١٢/ ٣١٥)، وأبو داود في سننه (كتاب الجهاد ـ باب في الأسير يكره على الكفر ٣/ ١٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب الزينة ـ باب لبس البرود ٥/ ٤٨٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٠٩، ١١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/ ٤٩٦).

٤ ــ وبين النبي ﷺ عظم مثوبة الداعية الذي يهدي الله أقواماً على يديه وإن قلَّ عددهم، فعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ﷺ قال لعلي ـ رضي الله ـ عنه: «فوالله لأن يُهدىٰ بك رجلٌ واحد خير لك من حمر النعم»[1].

٥ ــ ولأهمية الدعوة لم تقتصر دعوة النبي ﷺ على الأفراد، بل باشر ﷺ دعوة الملوك والحكام من مهد الرسالة، فأرسل الرسل وكتب الكتب يدعو قيصر الروم وكسرى الفرس، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بُصْرَى[2] ليدفعه إلى قيصر» وفي كتابه ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[3] ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد ـ باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ٦/ ١١١)، وأيضاً في (كتاب الجهاد ـ باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤) وأيضاً في (كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ٧/ ٧٠)، وأيضاً في (كتاب المغازي ـ باب غزوة ذات القرد ٧/ ٤٧٦)، ومسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ٤/ ١٨٧٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٨ ـ ٣٣٣).

(٢) بصرى بالشام، وهي من أعمال دمشق، وينسب إليها، فيقال: بصروي. معجم البلدان (١/ ٤٤١).

(٣) الأريس: الأكّار أو الحرَّاث، وأرَسَ يَأرَس أرْساً، إذا صار أرِيسا، وأرّس يؤرس تأريساً، وإنما قال النبي ﷺ ذلك لأن الحرائين كانوا في الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليه إثمهم، فكان أهل السواد أهل فلاحة وإثارة للأرض، وأهل الروم أهل أثاث وصنعة، فكانوا يقولون للمجوسي: أريسيّ، وكانت العرب تسميهم الفلاحين. =

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]»[١]. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى خرقه»[٢].

٦ ـ ويثني النبي ﷺ على الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنته، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»[٣]، وفي رواية قيل: يا رسول الله، مَنْ الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[٤]، وفي رواية قال: «هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنّتي»[٥].

= فأعلمه النبي ﷺ وإن كانوا أهل كتاب فإن عليهم من الإثم ـ إن لم يؤمنوا ـ مثل إثم المجوس وفلاحي السواد الذين لا كتاب لهم. انظر لسان العرب (١/ ٤٦).

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد ـ باب دعوة اليهود والنصارى ٦/ ١٠٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب بدأ الإسلام غريباً (١/ ١٣١)، وابن ماجة في سننه (كتاب الفتن ـ باب بدأ الإسلام غريباً ٢/ ١٣٢٠)، والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب «إن الإسلام بدأ غريباً» ٢/ ٢٢٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٧ ـ ٢٢٢).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في المسند (٤/ ٧٣)، عن عبد الرحمن بن سنة ـ رضي الله عنه ـ، ورواه عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٩٨)، والبيهقي في كتاب الزهد الكبير ص ١٤٦، والطبراني في الأوسط (١/ ١٠٤)، وقال الهيثمي: رواه عبد الله والطبراني وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك، ورواه الطبراني في الثلاثة عن سهل بن سعد الساعدي ورجاله رجال الصحيح، غير بكر بن سليم، وهو ثقة، ورواه الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف وقد وثق. مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٨).

(٥) رواه الترمذي في سننه (كتاب الإيمان ـ باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ٥/ ١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود ـ =

ج ـ أهمية الفقه من الكتاب:

١ ـ أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ بالتفقّه في الدين، ولو بترك بعض المؤمنين الجهاد في سبيل الله لهذا الغرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

٢ ـ وذم الله ـ تبارك وتعالى ـ الذين لا يفقهون بقوله: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨].

٣ ـ وجعل الله ـ تبارك وتعالى عدم الفقه عقوبة إلاهية على الكافرين المعرضين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المنافقون: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف: ٥٧].

٤ ـ وجعل الله ـ تبارك وتعالى ـ عدم الفقه صفة للمنافقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون: ٧]، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة: ٨٧]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١].

= رضي الله عنه ـ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير (١٧/١٦)، والبزار كما في كشف الأستار (٤/٩٩)، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (١/٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣١).

٥ ــ وجعل الله ـ تبارك وتعالى ـ عدم الفقه صفة لأهل النار وشبههم بالأنعام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٦ ــ وجعل الله الغلبة للمؤمنين مع قلة عددهم، والهزيمة للكفار مع كثرة عددهم، وعلل ذلك بعدم فقه الكفار، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: ٦٥].

٦ ــ وجعل الله تقليب الأدلة والبراهين والآيات وتصريفها ليؤمن الناس ويفقهوا الحق، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥]، بل خصّ المؤمنين بالذكر وبصفة الفقه في قوله ـ تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨]، لأنهم المنتفعون بآيات الله دون غيرهم ممن لم يفقه.

د ــ أهمية الفقه من السنّة:

١ ــ دعاء النبي ﷺ بالفقه لخاصة أصحابه، فقال في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما ـ: «اللهمّ فقّهه في الدين وعلمه التأويل»[١].

٢ ــ وفضّل النبي ﷺ طلب العلم على التنفل بالصلاة، فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم ـ عمل به أو لم يعمل ـ خير من أن تصلي ألف ركعة»[٢].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٢.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩)، قال=

٣ ـ ووصف النبي ﷺ المؤمن الفقيه بالأرض الخصبة، التي تنتفع بالغيث وتنفع الآخرين بالكلأ والعشب، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ[1] والعشب[2] الكثير، وكان منها أجادب[3] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان[4]، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وَعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[5].

٤ ـ كما جعل النبي ﷺ الفقه شرطاً لأحسن المسلمين إسلاماً، فقال ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[6]، وفي

= المنذري: إسناده حسن. انظر الترغيب والترهيب (١/ ٩٧ ـ ٩٨)، (٢/ ٣٥٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ص ١٦، قلت: ومداره على عبد الله بن زياد البحراني، وهو مستور، التقريب (١/ ٤١٦)، وعلي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف أيضاً، التقريب (٢/ ٣٧)، وأشار محمد فؤاد عبد الباقي إلى أن له شواهد.

(١) الكلأ العشب رطباً كان أو يابساً. النهاية (٤/ ١٩٤).

(٢) العشب الكلأ ما دام رطباً. النهاية (٣/ ٢٣٨).

(٣) الأجادب صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً. النهاية (١/ ٢٤٢).

(٤) قيعان جمع قاع، وهي المستوي من الأرض الذي لا ينبت. انظر: المصباح المنير (٢/ ٥١٩)، النهاية (٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب فضل من علم وعلم ١/ ١٧٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ به من الهدى والعلم ٤/ ١٧٨٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٩).

(٦) رواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء ـ باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٦٥] ٦/ ٣٨٧، وباب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ [البقرة: ١٣٣] ٦/ ٤١٤، وباب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات =

رواية: «خياركم في الإسلام أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا»[1].

٥ ـ وبين النبي ﷺ أثر الفقه في مواجهة الشيطان ومكائده، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»[2].

= للسائلين﴾ [يوسف: ٧] ٦/ ٤١٧)، وأيضاً في (كتاب المناقب ـ باب قول الله ـ عز وجل ـ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ٦/ ٥٢٥)، وأيضاً في (كتاب التفسير ـ تفسير سورة يوسف، باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ [يوسف: ٧] ٨/ ٣٦٢)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب فضائل يوسف ـ عليه السلام ـ ٤/ ٨٤٦)، وأيضاً في (كتاب فضائل الصحابة ـ باب خيار الناس ٤/ ١٩٥٨)، والدارمي في سننه (مقدمة ـ باب الاقتداء بالعلماء ١/ ٦٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠ ـ ٣٩١ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٨ ـ ٤٨٥ ـ ٤٩٨ ـ ٥٢٥).

(١) رواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٩ ـ ٤٨١).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٤٨)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب فضل العلماء ١/ ٨١)، والطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٧٨)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٤)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم. ورمز له السيوطي بالضعف في الجامع الصغير (٢/ ٧٧)، ونسبه الألباني للوضع في ضعيف سنن الترمذي ص ٣١٩، وضعيف سنن ابن ماجة ص ١٦. وفيه روح بن جناح، قال ابن حجر: ضعيف اتهمه ابن حبان، التقريب (١/ ٢٥٣). وقال المناوي: أورده ابن الجوزي في العلل، وقال: لا يصح، والمتهم به روح بن جناح، قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما لم يسمعه، من ليس متجراً في صناعة الحديث يشهد له بالوضع. وقال العراقي: ضعيف جداً. انظر: العلل المتناهية (١/ ٣٤)، فيض القدير (٤/ ٤٤٣). ورواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الدارقطني في سننه (كتاب البيوع ٣/ ٧٩)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٤ ـ ٢٦)، وقال الدارقطني: والأول هو المحفوظ (عن روح عن مجاهد عن ابن عباس). نقله عنه الخطيب البغدادي، وضعف السيوطي حديث ابن عباس في الجامع الصغير (٢/ ٧٧). وقال العجلوني: وسند حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ضعيف أيضاً، لكن يتقوى أحدهما بالآخر. كشف الخفاء (٢/ ١٨٨).

٦ ــ ونفى النبي ﷺ النفاق عمّن له فقه في الدين، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمت، ولا فقه في الدين»[١].

٧ ــ وأخبر النبي ﷺ عن فضل العلماء وطلب العلم في الدنيا والآخرة، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٢]، وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه الترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٥٠)، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب، ولا نعرف هذا الحديث من حديث عوف إلا من حديث هذا الشيخ خلف بن أيوب العامري، ولم أر أحداً يروي عنه غير أبي كريب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو؟). وقال ابن حجر: (خلف بن أيوب العامري، أبو سعيد البلخي، فقيه من أهل الرأي، ضعفه يحيى بن معين، ورمي بالإرجاء). وذكره ابن حبان في الثقات وقال: (كان مرجئاً غالياً، أستحب مجانبة حديثه لتعصبه). أخرج له الترمذي حديثاً واحداً، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وأطال ترجمته، وقال: (زاهدهم تفقه بأبي يوسف وابن أبي ليلى، ضعفه يحيى بن معين). وقال الخليلي: (صدوق مشهور، كان يوصف بالستر والصلاح والزهد، وكان فقيهاً على رأي الكوفيين). قال العقيلي عن أحمد: (حدث عن عوف وقيس بمناكير وكان مرجئاً). توفي سنة ٢٠٥ هـ. انظر: الثقات (٨/ ٢٢٧)، الضعفاء الكبير (٢/ ٢٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤٧)، التقريب (١/ ٢٢٥). الحديث رمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣٤٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه (كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم ٤/ ٥٧)، والترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٤٨)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب فضل العلماء ٢/ ٨١)، وأحمد في مسنده =

«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»(١).

٨ ـ وندب النبي ﷺ للغبطة في العلم والفقه، وإن كانت في أصلها مباحة فيما هو مشروع، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(٢).

= (٥/١٩٦). وقال الترمذي: (ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس عندي بمتصل، هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، ورأى محمد بن إسماعيل هذا أصح). قلت: وهذا سند أبي داود وابن ماجة، ورواه أحمد بمثل سند الترمذي المنقطع. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٤)، وفي صحيح سنن الترمذي (١/ ٣٤٢)، وفي صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٤٣).

(١) رواه الترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٥٠)، والطبراني في معجمه الكبير (٨/ ٢٧٨)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ٧٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه القاسم أبو عبد الرحمن، وثقه البخاري وضعفه أحمد، مجمع الزوائد (١/ ١٢٤ ـ ١٢٥). وقال المناوي: قال الترمذي: غريب، وفي نسخة: حسن صحيح، فيض القدر (٤/ ٤٣٣)، وذكر العجلوني عن الترمذي التحسين، وقال: نقل النجم عن الترمذي أنه صحيح، كشف الخفاء (٢/ ١١١). والحديث فيه سلمة بن رجاء، قال ابن حجر: صدوق يغرب، وقال الذهبي: لينه ابن معين، وقال أبو زرعة: صدوق، انظر: تقريب التهذيب (١/ ٣١٦)، الكاشف (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦). وفيه أيضاً الوليد بن جميل الفلسطيني، قال الذهبي: لينه أبو زرعة، وقال ابن حجر: صدوق يخطىء، انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٢)، الكاشف (٣/ ٢٠٩)، قال سمير طه المجذوب: تحسين الترمذي للحديث في بعض نسخه لطرق الحديث وشواهده. انظر: المعجم الوجيز ص ٢٣٥. صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب الاغتباط في العلم والحكمة =

٣ ــ التعريف بالفقيه والداعية:

التعريف بالداعية:

الداعي[١] هو القائم بالدعوة، واسم فاعل من دعا يدعو، والداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة، فيقال عمّن عرف بالدعوة «داعية»، كما يُطلق على الدعوة داعية، جاء في الحديث «فإني أدعوك بداعية الإسلام»[٢].

والداعية هو المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل[٣].

والداعي الأول هو النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦]، وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة،

= ١/ ١٦٥)، وأيضاً في (كتاب الزكاة ـ باب إنفاق المال في حقه ٣/ ٢٧٦)، وأيضاً في (كتاب الأحكام ـ باب أجر من قضى بالحكمة ١٣/ ١٢٠)، ومسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ١/ ٥٥٩)، والمراد بالحسد الغبطة وهو أن يتمنى مثله، دون زوال النعمة عن المحسود. انظر المصباح المنير (١/ ١٣٥).

(١) انظر ص ٢٧ في تعريف الداعي.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة ص٤٠.

وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس[1].

والأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، والآيات التي تأمر النبي ﷺ بالدعوة يدخل فيها المسلمون جميعاً، لأن الأصل في خطاب الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استثني، فالمكلف بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ كل مسلم ومسلمة، ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب، لأنه واجب على الجميع كل بحسبه، وإنما يكلف أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام وأحكامه ومعانيه الدقيقة[2].

مراتب الدعاة:

ولا شك أنّ الدعاة مراتب كما أنّ الفقهاء مراتب، فإذا كانت مراتب الفقهاء بحسب قدرتهم على الاجتهاد والاستنباط، فإن مراتب الدعاة أعمّ من ذلك وأشمل، فالعلم جانب من الجوانب التي يُقَوَّمُ على أساسها الداعية، لكنها ليست كل الجوانب. ويمكن تقسيم الدعاة على ثلاث مراتب:

١ ـ **داعي منكسر للدعوة:** وهو من كرّس حياته وجهده وجلَّ وقته لخدمة الدعوة ومصالحها، بحيث أصبحت الدعوة شغله الشاغل.

٢ ـ **داعي ملتزم بالدعوة:** وهو من يلتزم ـ غالباً ـ بما يجب عليه تجاه الدعوة، دون الوقوع في محظور إهمالها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتصام ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٩/١٣).

(٢) انظر: أصول الدعوة ص ٣٠٨ ـ ٣١٠، والحكمة في الدعوة إلى الله ص ١١٩.

٣ ــ داعي غير ملتزم بالدعوة: وهو من لا يلتزم بما يجب عليه تجاه الدعوة، إلا أنه يدعو إلى الله حسبما تيسر له ذلك، دون تقديم مصالحها في أولوياته.

ونحن عندما نُعَرِّف الداعية، فإنما نعرف بالداعية المنكسر للدعوة الذي تحمل مسؤوليات جساماً من مسؤوليات هذا الدين، لأن الداعية ـ الذي نتحدث عنه ـ هو من سخر حياته ووقته وجهده ونفسه وما يملك في سبيل تبليغ هذا الدين، ولم يألُ جهداً في خدمة الدعوة ومقاصدها وأهدافها ومصالحها. ولا نتكلم عمن كانت الدعوة شيئاً هامشياً في حياته، لا يبذل لها إلا ما فضل من وقته وجهده، حسبما اتفقت الظروف، دون خطة مدروسة أو عناية جمة، والتي ربما لا تعدم خيراً. كما لا نتكلم عمّن يدعو إلى الله لغرض دنيوي، ومصلحة مادية عاجلة، فأفرزته الظروف وطبيعة المهنة كداعية في الساحة، ولكن الداعية الذي نحن بصدده من يتفاعل مع الأمة وتتفاعل معه، والذي يساهم في بناء صرح الإسلام العظيم، ونشر مبادئه الحقة، طلباً لرضوان الله وثوابه، بانياً دعوته على الفهم الدقيق، وعلى العلم قبل العمل، وتدبر معاني كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ وسنة نبيّه محمد ﷺ، قال ـ تعالى ـ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، مع التمكن من العقيدة الصحيحة المدعمة بالأدلة الشرعية، والإيمان العميق والتعلق بالآخرة والتجافي عن دار الغرور، والتحلي بالحكمة والحلم والصبر والتوكل على الله، وخوفه ورجائه ومحبته، والاستعانة به، والصدق معه في الأقوال والأفعال، والإخلاص له، وكل ما مدحه الشارع من الفضائل، والابتعاد عن كل ما ذمّه الشارع من القبائح.

يقول أحمد بن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ:

قال بعض السلف: (لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما

فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه ينهى عنه)[1]. وهذه صفات المسلم القدوة، والتي ينبغي أن يكون عليها كل من اعتنق هذا الدين، وليست خاصة برجل الدين المتخصص ـ كما في الديانات الأخرى ـ.

فمصالح الدعوة وتحقيق أهدافها كان الشغل الشاغل لسلف هذه الأمّة من الصحابة والتابعين، يتقربون إلى بارئهم بالقيام بأعبائها والتحلي بأخلاق الدعاة إلى الله وصفاتهم، كأي عبادة أخرى مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، لا يرى أحد منهم أنّ الدعوة من اختصاص أقوام بعينهم لا تتعداهم.

التعريف بالفقيه:

فقيه على وزن فعيل بمعنى فاعل، وفقيه صيغة مبالغة من الفقه، والفقيه هو العالم بأحكام الشريعة، الذي حصلت له ملكة يقتدر بها على استنباط الأحكام من أدلتها، وإطلاق كلمة فقيه أو مفتي أخيراً على متفقهة المذاهب من التجوز. والفتاوى الصادرة في زماننا هي مجرد نقل كلام المجتهد ليأخذ به المستفتي، وليست هي بفتوى حقيقة[2].

طبقات الفقهاء:

يقسم علماء أصول الفقه الفقهاء إلى سبع مراتب، منها أربع يعدون من المجتهدين، والباقون يعدون من المقلدين، ولا يرتفعون إلى درجة الاجتهاد، ولا بدّ من معرفة درجة الفقيه ومرتبته في الرواية والدراية، لمعرفة حال المفتي ومدى الوثوق بفتواه. وهذه المراتب السبع[3] تقسم الفقهاء

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٢٩.

(٢) انظر الفقه الإسلامي وأدلته (١/ ٢٨).

(٣) انظر: الرد على من أخلد إلى الأرض ص ٣٩ ـ ٤٠، حاشية ابن عابدين (١/ ٧١)، مالك لأبي زهرة ص ٤٤٠ ـ ٤٥٠، أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص ٣٦٨ ـ ٣٧٢، أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٦٥ ـ ٣٧٥، الفقه الإسلامي وأدلته (١/ ٤٦ ـ ٤٨).

بحسب قدرتهم على استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[1].

١ ـ المجتهد المستقل:

وهو الذي يستخرج الأحكام من الكتاب والسنّة، ويسلك كل سبل الاستدلال التي يراها، وليس تابعاً فيها لأحد، فيرسم المنهج لنفسه، ويفرع عليها الفروع التي يرتئيها، ومن هؤلاء الفقهاء الصحابة أجمعون، وكثير من فقهاء التابعين، والفقهاء المجتهدون، ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي[2] والليث بن سعد[3] وسفيان الثوري[4] ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ.

٢ ـ المجتهد المنتسب:

وهو من وجدت فيه شروط الاجتهاد، لكنه لم يضع لنفسه منهجاً مستقلاً بل سلك طريق إمام من المجتهدين المستقلين، فهو قادر على استخراج الأحكام من الأدلّة على مقتضى القواعد التي قرّرها الإمام، وإن خالفه في بعض الفروع، إلا أنه يقلده في الأصول، وينتهي إلى نتائج ـ مشابهة في الجملة ـ لما وصل إليه الإمام.

---

(١) جعل ابن عابدين المراتب سبع، وسأكتفي بذكر ست منها، لتشابه مرتبتين، كما فعل الزحيلي في الفقه الإسلامي وأدلته، ويقول أبو زهرة: (ولكي تكون الأقسام متميزة متداخلة يجب حذف طبقة من هذه الطبقات). أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٧٢.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، الفقيه، ثقة جليل، مات سنة ١٥٧ هـ. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٣).

(٣) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة، ثبت، فقيه، إمام مشهور، مات في شعبان سنة ١٧٥ هـ. تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨).

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١ هـ، وله أربع وستون سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣١١).

ولم يخل عصر من القرون الأولى التي تلت عصر الأئمة من هذا الصنف الذي يتقيد بالمنهاج في الجملة، ولا يتقيد بالفروع.

وهؤلاء صاروا إلى ما صاروا إليه لا تقليداً للأئمة، بل لأنهم وجدوا طريقة الإمام في الاجتهاد والقياس أفضل الطرق، ولم يكن لهم بد من الاجتهاد فسلكوا طريقه، وطلبوا معرفة الأحكام بطريقته. ودعوى انتفاء التقليد عنهم جميعاً ـ بإطلاق ـ لا تستقيم، ولا تتلائم مع حالهم.

ومن المجتهدين المنتسبين أبو يوسف[1] ومحمد بن الحسن الشيباني[2] وأسد بن الفرات[3] والمزني[4]. . . . .

---

(١) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بحير بن معاوية الأنصاري، صاحب أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ ولد سنة ١١٣ هـ بالكوفة، وكتب العلم عن طائفة من التابعين، مات سنة ١٨٢ هـ. انظر: التاريخ الكبير (٨/ ٣٩٧)، الانتقاء لابن عبد البر ص ١٧٢، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢ ـ ٢٦٢)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٧٨ ـ ٣٩٠)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٩٧)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠١).

(٢) محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبد الله الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، توفي سنة ١٨٩ هـ بالري. انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٢٧)، المجروحين لابن حبان (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ٥١٣)، شذرات الذهب (١/ ٣٢١).

(٣) القاضي الأمير المجاهد أبو عبد الله أسد بن الفرات الحراني ثم المغربي، ولد سنة ١٤٤ هـ بحران، روى عن مالك وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وغلب عليه علم الرأي، وكتب علم أبي حنيفة، توفي سنة ٢١٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٨٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٥)، العبر (١/ ٣٦٤)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

(٤) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي. ولد سنة موت الليث بن سعد سنة ١٧٥ هـ، ومات سنة ٢٦٤ هـ. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٢٠٤)، وفيات الأعيان (١/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢)، شذرات الذهب (٢/ ١٤٨).

والبـويطـي[1] والأثـرم[2] ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ.

٣ ــ المجتهد في المذهب:

وهو من يتبع المجتهد المستقل في الأصول والفروع التي انتهى إليها، وعمله في استنباط أحكام المسائل التي لا رواية فيها عن الإمام، وعمله في الاجتهاد هو تحقيق المناط، أي تطبيق العلل الفقهية التي استخرجها سابقوه فيما لم يعرض له السابقون من المسائل. وهؤلاء يسمون أصحاب الوجوه، لأنهم يخرجون ما لم ينص عليه على أقوال الإمام، ويسمى ذلك وجهاً في المذهب أو قولاً فيه، وليس لهم أن يجتهدوا في مسائل قد نصّ عليها في المذهب إلا في دائرة معينة، وهي التي يكون استنباط السابقين فيها مبنياً على اعتبارات لا وجود لها في عرف المتأخرين، بحيث لو رأى السابقون ما يرى الحاضرون لأعرضوا عمّا قالوا.

وهؤلاء عملهم في الحقيقة يتكون من عنصرين:

١ ــ استخلاص القواعد التي كان يلتزمها الأئمة السابقون، وجميع الضوابط الفقهية التي تتكون من علل الأقيسة التي استخرجها أولئك الأئمة الأعلام.

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق أقرانه. مات في قيده مسجوناً بالعراق سنة ٢٣١ هـ. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٥)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠٣)، وفيات الأعيان (٧/ ٦١ ـ ٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩)، شذرات الذهب (٢/ ٧١ ـ ٧٢).

(٢) أحمد بن محمد بن هانىء الطائي الإسكافي، أبو بكر الأثرم، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وكان حافظاً للحديث، عارفاً بالمسند، يقول الأثرم: كنت أحفظ ـ يعني الفقه والاختلاف ـ فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت كل ذلك، توفي سنة ٢٦٠ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ١١٠)، المنهج الأحمد (١/ ٢١٨).

٢ ـ استنباط الأحكام التي لم ينص عليها بالبناء على تلك القواعد.

وهذه الطبقة هي التي حررت الفقه المذهبي، ووضعت أسس الترجيح، والمقايسة بين الآراء، لتصحيح بعضها، وإضعاف البعض الآخر، وهي التي ميّزت الكيان الفقهي لكل مذهب.

ومنهم الطحاوي(١) والسرخسي(٢) والبزدوي(٣) وابن أبي زيد القيرواني(٤) والشيرازي(٥) وأبو يعلى(٦) ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ.

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، صاح التصانيف، ولد سنة ٢٣٩ هـ، من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مات سنة ٣٢١ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٧١ ـ ٧٢)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٠٨ ـ ٨١١)، العبر (٢/ ١١)، الوافي بالوفيات (٨/ ٩ ـ ١٠). شذرات الذهب (٢/ ٢٨٨).

(٢) شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل أحمد بن أبي بكر السَّرَخْسِي، شمس الأئمة، فقيه أصولي، مناظر، كتب المبسوط في حبسه، توفي سنة ٤٩٠ هـ. انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩).

(٣) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوي، أبو الحسن، فقيه وأصولي ومحدث ومفسر، ولد سنة ٤٠٠ هـ، وتوفي سنة ٤٨٢ هـ. انظر: معجم المؤلفين (٧/ ١٩٢).

(٤) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي، أبو محمد، ولد سنة ٣١٠ هـ، فقيه ومفسر. توفي سنة ٣٨٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٢١١)، الديباج المذهب ص ١٣٦ ـ ١٣٨، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٠)، وشذرات الذهب (٣/ ١٣١)، معجم المؤلفين (٦/ ٧٣).

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي، ولد سنة ٣٩٣ هـ في فيروزآباد قرب شيراز، قال الماوردي: ما رأيت كأبي إسحاق، لو رآه الشافعي لتجمل به. توفي سنة ٤٧٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٩)، طبقات الشافعية (٣/ ٨٨)، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٩).

(٦) أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي أبو يعلى الموصلي، ولد سنة ٢١٠ هـ، وتوفي سنة ٣٠٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٧٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، شذرات الذهب (٢/ ٢٥٠)، معجم المؤلفين (٢/ ١٧).

٤ ـ المجتهد المرجح:

لا يستنبط أحكام الفروع التي لم يُعْرَفْ حُكْمُهَا، ولكنه يرجح بين الأقوال والروايات، بوسائل الترجيح التي ضبطتها له الطبقة السابقة، ومنهم المرغيناني[(١)] وخليل[(٢)] والنووي[(٣)] والمرداوي[(٤)] ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ.

٥ ـ مجتهد الفتيا:

وهو من يحفظ المذهب وينقله ويفهمه في الواضحات والمشكلات، ويميز بين الأقوى والقوي والضعيف، والراجح والمرجوح، فيكون حجة في العلم بترجيحات السابقين، لكنه لا يقرّر الأدلة ولا يحرر الأقيسة، كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين، كابن عابدين[(٥)] ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني الحنفي، برهان الدين، أبو الحسن، فقيه وفرضي ومحدث وحافظ ومفسر، صاحب الهداية. توفي سنة ٥٩٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٣٢)، الأعلام للزركلي (٥/ ٧٣)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٤٥).

(٢) خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي، ضياء الدين أبو المودة، أقام بالقاهرة، وجاور بمكة، توفي سنة ٧٦٧ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٨٦)، النجوم الزاهرة (١١/ ٩٢)، الديباج المذهب ص ١١٥ ـ ١١٦، معجم المؤلفين (٤/ ١١٣).

(٣) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي الشافعي، محي الدين أبو زكريا، فقيه ومحدث وحافظ ولغوي. انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ٢٥٠)، النجوم الزاهرة (٧/ ٦٧٦)، شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦)، ومعجم المؤلفين (١٣/ ٢٠٢).

(٤) علي بن سليمان بن أحمد بن محمد السعدي الصالحي الحنبلي المرداوي، علاء الدين أبو حسن، ولد بمردا بفلسطين سنة ٨١٧ هـ، ثم توجه إلى القاهرة، وقدم دمشق، فقيه ومحدث وأصولي، توفي سنة ٨٨٥ هـ. انظر: الضوء اللامع (٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧)، شذرات الذهب (٧/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢)، البدر الطالع (١/ ٤٤٦)، معجم المؤلفين (٧/ ١٠٢).

(٥) أحمد بن عبد الغني بن عمر الشهير بابن عابدين، الدمشقي الحنفي. ولد سنة ١٢٣٩ هـ بدمشق، عين أميناً للفتوى بدمشق، أشهر كتبه حاشية ابن عبادين، توفي سنة ١٣٠٧ هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٧٧)، والأعلام للزركلي (١/ ١٤٧).

٦ ـ المقلد:

وهو من يقرأ الكتب الفقهية ويفهمها، إلا أنه كحاطب ليل لا يفرق بين الغث والسمين، ولا يستطيع الترجيح بين القوي والضعيف من الأقوال والروايات، ويتعبد الله بعبارات الكتب لا يتجاوز ما فيها، ومن التجوز جعله مرتبة من مراتب الفقهاء.

يقول محمد أبو زهرة: (وقد وجد في عصرنا قوم من هذا الصنف لا يتجهون إلا إلى الالتقاط من أقوال الفقهاء من غير تعرف لدليل ما يلتقطون، بل يكتفون بأن يقولوا هناك قول بهذا، وقد كان عمل هذا الفريق له أثر في البيئات والطبقات التي تحاول أن تجد مسوغاً لما تفعل، فيسارع هؤلاء إلى قول يجدونه أيّاً كان قائله، وأيّاً كان قيمته، ولم يعتمد على دليل واضح، أو تفكير راجح، ثم ينشرون ذلك نشراً فالويل لهؤلاء، والويل لمن قلدوهم كل الويل، كما قال ابن عابدين ـ رضي الله عنه ـ)[1].

الفقيه وعلاماته عند السلف:

يقول أحمد بن قدامة المقدسي:

(فأما علم المعاملة وهو عمل أحوال القلب، كالخوف والرجاء والرضى والصدق والإخلاص وغير ذلك، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء، وبتحقيقه اشتهرت أذكارهم، كسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد. وإنما انحطت رتبة المسمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات، لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه. وأنت تجد الفقيه يتكلم في الظهار واللعان والسبق والرمي، ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها، ولا يتكلم في

---

(١) أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٧٤.

الإخلاص، ولا يحذر من الرياء، وهذا عليه فرض عين، لأن إهماله هلاكه، والأول فرض كفاية. ولو سئل عن علة ترك المناقشة للنفس في الإخلاص والرياء، لم يكن له جواب. ولو سئل عن علة تشاغله بمسائل اللعان والرمي، لقال: «هذا فرض كفاية»، ولقد صدق، ولكن خفي عليه أن الحساب فرض كفاية أيضاً، فهلا تشاغل به، وإنما تبهرج عليه النفس، لأن مقصودها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة، لا بالحساب)[1].

وقد وردت نصوص كثيرة عن السلف تدل على صفة الفقيه وعلامته:

فعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره)[2]، وعنه رضي الله عنه ـ قال: (يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة، وهي خربة من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، ومن عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود)[3]. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: (لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمناً)[4]. وعن جابر[5] ـ رضي الله عنه ـ أنه تلا: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فقال: (العالم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٨.

(٢) رواه الدرامي في سننه (المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية ١/ ٧٦)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٣، واللفظ له، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦٠)، وأبو خيثمة في كتاب العلم ص ٣٢.

(٣) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٧.

(٤) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية ١/ ٧٦).

(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، الأنصاري ثم السَّلَمِي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين. تقريب التهذيب (١/ ١٢٢).

الذي عقل عن الله أمره فعمل بطاعة الله، واجتنب سخطه)[1]. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: (إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها، وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في الله ـ عزّ وجلّ ـ ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس)[2]. وقال عبد الله بن مسعود[3] ـ رضي الله عنه ـ: (كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)[4].

وعن مطر الوراق[5] قال: (سألت الحسن البصري عن مسألة فقال فيها، فقلت: يا أبا سعيد، يأبى عليك الفقهاء. فقال الحسن: ثكلتك أمك يا مطر، وهل رأيت بعينك فقيهاً قط؟ وقال: تدري ما الفقيه؟ الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنّة رسول الله ﷺ الذي لا يسخر بمن أسفل منه، ولا يهزأ بمن فوقه، ولا يأخذ على علم علمه الله إياه حطاماً)[6]. وعنه ـ رحمه الله ـ قال: (كان الرجل إذا طلب باباً من العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده وبدنه وإن كان الرجل ليطلب الباب من العلم فلهو خير له من الدنيا وما فيها)[7].

---

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٠.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ١٩٦، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٨، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٥).

(٣) عبد الله بن مسعود بن حبيب الهُذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، أمّره عمر على الكوفة، مات سنة ٣٢ هـ. تقريب التهذيب (١/ ٤٥٠).

(٤) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٤.

(٥) مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء السلمي، مولاهم الخراساني، سكن البصرة، صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف، مات سنة ١٢٥ هـ. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٢).

(٦) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية ١/ ٧٦)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٥، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦٢).

(٧) رواه أحمد في الزهد ص ٣٧٠ ـ ٣٧١، وابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٣.

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: (الفقيه الذي يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وأفقه منه من لم يجترىء على الله ـ عزّ وجلّ ـ في شيء لعلة)[1]. وقال الحارث بن يعقوب[2]: يقال: (إن الفقيه كل الفقيه من فقه القرآن وعرف مكيدة الشيطان)[3].

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ لأهل الحلقة: (تفقهوا مع فقهكم هذا بمذاهب أهل الإخلاص، ولا تفقهوا بما يوديكم إلى ركوب القِلَاص[4]، فإن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ إذا نزل لكم يطلب يا معشر الفقهاء)[5]. وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن[6] ـ رحمه الله ـ قال: (لا يكون الرجل فقيهاً حتى يتقي أشياء لا يراها على الناس ولا يفتيهم بها)[7].

وعن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ قال: (لا يكون العالم عالماً حتى يعمل في خاصة نفسه بما لا يلزمه الناس، ولا يفتيهم به، مما لو تركه لم يكن عليه إثم فيه)[8]. وعن سعد بن إبراهيم[9] أنه قيل له: من أفقه أهل

---

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٧.

(٢) الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، ثقة عابد، روى له مسلم والترمذي والنسائي، مات سنة ١٣٠ هـ. تقريب التهذيب (١/ ١٤٥).

(٣) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٧.

(٤) قِلاص جمع قَلُوص، وهي الفَتية من الإبل، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصاً. انظر لسان العرب (٣/ ١٥٠).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٨٩).

(٦) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، التيمي مولاهم، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي، واسم أبيه فرّوخ، ثقة فقيه مشهور، مات سنة ١٣٦ هـ. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٧).

(٧) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦١).

(٨) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦١).

(٩) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولي قضاء المدينة، وكان ثقة فاضلاً عابداً، مات سنة ١٢٥ هـ، وقيل بعدها، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٦).

المدينة؟ قال: (أتقاهم)[1].

وعن الليث بن سعد قال: (كنت أسأل الشعبي[2] فيعرض عني ويجبهني بالمسألة، قال: فقلت: يا معشر العلماء تزوون عنا أحاديثكم وتجبهوننا بالمسألة؟ فقال الشعبي: يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء، لسنا بعلماء ولا فقهاء، ولكننا قوم قد سمعنا حديثاً، فنحن نحدثكم بما سمعنا، إنما الفقيه من ورع عن محارم الله، والعالم من خاف الله ـ عزّ وجلّ ـ)[3].

وعن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ قال: (لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه ـ يعني للفتوى ـ حتى يكون فيه خمس خصال: أما أولاها: فأن يكون له نيّة، فإنه إن لم تكن له نيّة لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور. وأما الثانية: فيكون له خلق ووقار وسكينة. وأما الثالثة: فيكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته. وأمّا الرابعة: فالكفاية، وإلا مضغه الناس. وأما الخامسة: فمعرفة الناس)[4].

عن أبي أويس[5] ـ رحمه الله ـ أنه قال: (أدركت الفقهاء بالمدينة يقولون: لا يجوز أن ينصب نفسه للفتوى، ولا يجوز أن تستفتي إلا الموثوق

---

(١) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية ١/٧٦)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ١٤.

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين سنة. تقريب التهذيب (١/٣٨٧).

(٣) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ١٩ ـ ٢٠.

(٤) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٤، وذكره أبو زهرة في أصول الفقه ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٥) عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو أويس المدني، قريب مالك، وصهره، صدوق يهم، مات سنة ١٦٧ هـ. تقريب التهذيب (١/٤٢٦).

في عفافه وعقله وصلاحه ودينه وورعه وفقهه وحلمه ورفقه وعلمه بأحكام القرآن والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، عالماً بالسنّة والآثار وبمن نقلها، والمعمول به منها والمتروك، عالماً بوجوه الفقه التي فيها الأحكام، عالماً باختلاف الصحابة والتابعين، فإنه لا يستقيم أن يكون صاحب رأي ليس له علم بالكتاب والسنّة والأحاديث والاختلاف، ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه، وليس يستقيم واحد منهما إلا بصاحبه)، وقالوا: (ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة، إلا أن طعمته من الناس، وحاجاته منزلة بهم، وهو محمول عليهم، فليس بموضع للفتوى، ولا موثوق في فتواه، ولا مأمون على الناس فيما اشتبه عليهم)[1].

وقال مالك بن مغول[2]: (استفتى رجل الشعبي، فقال: أيها العالم. فقال: إنما العالم من يخاف الله)[3].

وعن سفيان بن عيينة[4] ـ رحمه الله ـ قال: (العالم بالله الخائف لله، وإن لم يحسن ـ فلان عن فلان ـ ومن لم يحسن العلم والخوف من الله فهو جاهل وإن كان يحسن ـ فلان عن فلان ـ، المسلمون شهود أنفسهم، عرضوا

---

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) مالك بن مِغْوَل الكوفي، أبو عبد الله، ثقة ثبت، مات سنة ١٥٩ هـ. تقريب التهذيب (٢/٢٢٦).

(٣) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب العمل بالعلم وحسن النية ١/ ٧٠)، وابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٠.

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد، الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة ١٩٨ اهـ، وله إحدى وتسعون سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣١٢). قلت: ولي بحث في اختلاط ابن عيينة، تبين لي بعده أن ابن عيينة حجة مطلقاً، وأنه لم يتغير. انظر تحقيقي لجزء محمد بن عاصم الثقفي ص ٢١ ـ ٢٤.

أعمالهم على القرآن، فما وافق تمسكوا به، وإلا استعتبوا من قريب)[1]، وعنه ـ أيضاً ـ قال: (قدم عبيد الله بن عمر[2] الكوفة فلما رأى اجتماعهم عليه قال: نسيتم العلم وأذهبتهم نوره، لو أدركني وإياكم عمر لأوجعنا ضرباً)[3].

وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ قال: (ما من الناس أعزّ من فقيه ورع)[4]. وسئل عبد الله بن المبارك[5]: هل للعلماء علامة يعرفون بها؟ قال: (علامة العالم من عمل بعلمه، واستقلّ كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره، وقبل الحق من كل من آتاه، وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته)[6]. وعن معمر[7] قال سمعت الزهري[8] يقول:

---

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢١.

(٢) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري، المدني، أبو عثمان، ثقة ثبت، مات سنة مائة وبضع وأربعين هجرية. تقريب التهذيب (١/ ٥٣٧).

(٣) ذكره ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٧.

(٤) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦١).

(٥) عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، مات سنة ١٨١ هـ، وله ثلاث وستون سنة. تقريب التهذيب (١/ ٤٤٥).

(٦) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢١ ـ ٢٢.

(٧) معمر بن راشد، الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به في البصرة، مات سنة ١٥٤ هـ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٦).

(٨) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة ١٢٥ هـ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧).

(لا نثق للناس بعمل عامل لا يعلم، ولا نرضى لهم بعلم عالم لا يعمل)[1].

وقال ابن بطة العكبري[2]: (إن العالم إذا زلَّ عن المحجة، وعدل عن الواضحة، وآثر ما يهواه على ما يعلمه، وسامح نفسه فيما تدعوه إليه، زلَّ الناس بزلله، وانهمكوا مسرعين في أثره، يقفون مسلكه، ويسلكون محجته. وكان ما يأتونه ويرتكبونه من الذنوب وحوبات المأثم بحجة، وعلى اتباع قدوة، فلا تجري مجرى الذنوب التي تمحى بالاستغفار، ومرتكبها بين الوجل والانكسار، فالمقتدون به فيها كالسفينة إذا غرقت غرق بغرقها خلق كثير، وجوهر خطير)[3].

٤ ـ صلة الدعوة بالعلوم الشرعية الأخرى[4]:

تنوعت العلوم الإسلامية وتعددت تخصصاتها وموضوعاتها، وكان هذا التنوع في نشأته مبنياً على طبيعة العلوم الشرعية التي تتجه في مناحٍ ثلاثة أساسية: هي الملة والشريعة والمنهاج.

والملة لغة:

الشريعة والدين، وفي الحديث «لا يتوارث أهل ملّتين»[5]، والملة:

---

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٢٢.

(٢) إبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد (فرقد صاحب رسول الله ﷺ) العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة، الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث، ولد سنة ٣٠٤ هـ ببغداد، وتوفي سنة ٣٨٧ هـ، قال الذهبي: لابن بطة مع فضله أوهام وغلط، انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٥)، طبقات الحنابلة (٢/ ١١٤ ـ ١٥٣)، العبر (٣/ ٣٥)، لسان الميزان (٤/ ١١٢ ـ ١١٥)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩)، المنهج الأحمد (٢/ ٨١).

(٣) إبطال الحيل لابن بطة ص ٢٩.

(٤) انظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٥.

(٥) رواه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أبو داود في سننه (كتاب الفرائض ـ باب =

الدين، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل: هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل[1]. وتطلق الملة على أصل الدين أو على العقيدة، فملة الأنبياء واحدة، وملة الكفر واحدة، كما تطلق الملة على جملة الدين، قال ـ تعالى ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۝٨٨﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝١٣﴾ [إبراهيم: ١٣]، كما يطلق القرآن ـ أحياناً ـ الشرع والدين على الملة ـ الجانب العقدي من الدين ـ، قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

أما الشريعة والشرعة لغة:

ما سنّ الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر، والشريعة في الأصل موضع على شاطىء البحر تشرع فيه الدواب دخول الماء، وهي مشتقّة من شاطىء البحر عن كراع[2]، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقيل في تفسيره:

= هل يرث المسلم الكافر ٣/٣٢٨)، وابن ماجة في سننه (كتاب الفرائض ـ باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك ٢/ ٩١٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٨ ـ ١٩٥)، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٦٣)، وصحيح سنن ابن ماجة (٢/ ١١٦)، وقال الألباني: حسن صحيح. ورواه عن جابر ـ رضي الله عنه ـ الترمذي في سننه (كتاب الفرائض ـ باب لا يتوارث أهل ملتين ٤/ ٤٢٤).

(١) لسان العرب (٣/ ٥٣١) النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٦٠).

(٢) كراع النمل علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن، عالم بالعربية، مصري، لقب بكراع النمل لقصره ودمامته. انظر الأعلام للزركلي (٤/ ٢٧٢).

الشرعة الدين، والمنهاج الطريق، وقيل: الشِّرعة والمنهاج جميعاً الطريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتي به بألفاظ يؤكّد بها القصة والأمر، وقال محمد بن يزيد[1]: شرعة، معناها ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستقيم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ـ: (شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة)[2]، وقال قتادة[3]: شرعة ومنهاجاً: الدين واحد، والشريعة مختلفة[4]. وتطلق الشريعة على مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع، وتطلق ويراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقدية، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨]، كما قد يقصد بالشرع جميع الأحكام الشرعية عقدية كانت أو عملية، ويفهم ذلك من السياق، قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميرة بن حسان أبو العباس المبرد، ولد سنة ٢١٠ هـ، وكان غزير الأدب، كثير الحفظ، حسن الإشارة، فصيح اللسان، جيد الخط، بخيلاً يصرح بالطلب، له شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به، توفي سنة ٢٨٥ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨٧)، النجوم الزاهرة (٣/ ١١٧)، إنباه الرواة (٣/ ٢٤١).

(٢) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ١/ ٤٦)، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، مات سنة مائة وبضع عشرة. تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣).

(٤) لسان العرب (٢/ ٢٩٩).

أما المنهاج لغة:

الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجاً، وطريقة ناهجة أي واضحة بينة[1]. والمنهاج كالمنهج قال ـ تعالى ـ:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، والمنهاج الخطة المرسومة، ومنها منهاج الدراسة ومنهاج التعليم، والجمع مناهج، وكلمة المنهاج تقارب كلمة السنّة في معنى الطريق إلا أن المنهاج يشتمل على معنى الوضوح. وقد تعبد الله ـ عزّ وجلّ ـ الناس بملة واحدة هي ملة الإسلام وبشرائع ومناهج متعددة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠]،، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقال ـ سبحانه: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥] ، وجعل الله ـ عز وجل ـ الشرائع والمناهج متعددة، فقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلّات[2]، أمهاتهم شتى ودينهم واحدة»[3]، قال ابن حجر العسقلاني[4]: أصل دينهم واحد، وهو التوحيد وإن اختلفت

---

(١) لسان العرب: (٣/ ٧٢٧).

(٢) الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. النهاية (٣/ ١٩٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء ـ باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ [مريم: ١٦] ٦/ ٤٧٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤/ ١٨٣٧)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب التخيير بين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ٥/ ٥٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٣٧).

(٤) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد =

شرائعهم[1]. ودراسة الملة ـ في الجامعات الإسلامية اليوم ـ من اختصاص أقسام العقيدة والتوحيد، ودراسة الشريعة من اختصاص أقسام الكتاب والسنّة وأقسام الفقه وأصوله، أما دراسة المنهج فمن اختصاص أقسام الدعوة. وهذه الأقسام الدراسية مترابطة فيما بينها، وجميعها يمثل دراسة الدين الواحد، الذي يشمل كل من الملة والشريعة والمنهج، ولا يصح الفصل بينها بحال من الأحوال، والدين لا يصح ولا يسلم إلا بها جميعاً. والدعوة هي الجانب التطبيقي لأي علم من العلوم الشرعية، فهي لتصحيح عقائد الناس، ولتنفيذ شرائع الله فيهم في جميع المجالات وعلى كافة المستويات. والداعية يدعو إلى الملّة والشريعة والمنهج، ودارس الملة أو الشريعة لا بدّ له من معرفة المنهج والطريق الصحيح الذي يسلكه. والفارق بين هذه التخصصات إنما في نوعية التخصص ومدى العناية، لا إهمال قسم على حساب الآخر. والدارس لعلم الدعوة، المهتم بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها، لا بدّ له من العناية بفهم العقيدة الصحيحة والأحكام الشرعية العملية، ولا بدّ أن يكون لديه إلمام بفقه الواقع وأحوال المدعوين، وأن يكون ملماً بما يدعو إليه لتكون دعوته على بصيرة.

فالمناهج والشرائع متعددة ومختلفة باختلاف الأزمان والأماكن والرسل والأمم لأنها أحكام ونواهي وخطط ونظم وطرق من جهة، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً ومكاناً من جهة أخرى، أمّا الملة والعقيدة لا تتعدد بل هي ملة الإسلام الواحدة، ملة جميع الرسل والأنبياء.

= الكناني، العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، الشافعي، ولد سنة ٧٧٣ هـ، محدث ومؤرخ وأديب وشاعر، صاحب فتح الباري والإصابة في تمييز الصحابة، توفي سنة ٨٥٢ هـ. انظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ـ ٤٠)، شذرات الذهب (٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣)، البدر الطالع (١/ ٨٧ ـ ٩٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٠).

(١) فتح الباري (٦/ ٤٨٩).

يقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني:

(ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صلة هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينها: فإن مثل الملة والشريعة والمنهج، مثل الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض، وينبت الزرع، ويستقي منه الناس. فأصل النبع ومكانه يمثل الملة الواحدة الثابتة، والماء المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس، يمثل الشريعة الكاملة المستمرة، والجواري والسواقي المنتشرة هنا وهناك، والتي يجري الماء في إطارها، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء على وجه متكامل صحيح، تمثل المنهج الواضح. فإن أي ضعف أو ضمور في النبع ومصدر الماء، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه، فيضعف سيره في الجداول والسواقي، وتقل فائدته، وقد تصاب مناطق كثيرة بسبب ذلك بالجفاف والجدب. كما أنّ أي رافد غريب قد يرفد هذا النبع، يعكر من صفو الماء ويخرجه عن طبيعته الأولى. وأي خلل في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء، قد يبعثر انتشاره، ويقلل من الاستفادة منه، كما قد يضرّ انتشاره حيث لا يراد انتشاره فيه، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظره بسبب ذلك. فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها، يمكننا أن نحافظ على صفاء وقوّة تدفقه، وعظم آثاره وفوائده، وبقدر إهمالنا لذلك النبع أو غفلتنا عن تلك الجداول نعاني من تكدر الماء وتغير طبيعته، وقلة تدفقه وضعف أثره)[1].

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٩ ـ ٣٠.

الفصل الأول

مجالات تأثر الفقيه بالدعوة

المبحث الأول
أثر المشرب الدعوي على فهم النصوص

المَشْرَبُ لغة: الماء الذي يُشْرَبُ[1]، ونقصد بالمشرب الدعوي: الدعوة التي نشأ وتربى عليها الفقيه ونهل منها في صغره، صحيحة كانت أو خاطئة، ومدى تأثر فهمه للنصوص ـ من جراء ذلك ـ بعد استكماله لأدوات الاجتهاد وشروطه.

والمشارب الدعوية السلبية لم يكن لها وجود في العصر الأول، ولم تظهر إلا لنشأة الخلافات السياسية في العراق بسبب الفتنة بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ، فتولدت من جراء ذلك فرق ضالّة، يدعو كل منها إلى فكره، ويربي نشأه على هذا الفكر الضال، وكانوا يستدلون لأقوالهم بالكتاب والسنّة بعد لَيّ أعناق النصوص، وتحميلها من المعاني ما لا تحتمل، وتفسير النصوص على غير مراد الشارع، وكذلك انتشار القصاص الذين يكذبون على رسول الله ﷺ، ويقولون: نحن نكذب له لا عليه، والوعاظ الذين لا يفرقون بين الغث والسمين، وظهور التعصب المذهبي والجمود الفقهي، والمتصوفة الذين اجتلبوا أفكار قدماء الهنود، وقاموا بترويجها في أنحاء المعمورة، والفلاسفة والزنادقة، وغير ذلك من الفتن، مما أدّى إلى ظهور أفكار وعقائد غريبة عن هذا الدين تعكر صفوه، يدافع عنها أصحابها بكل ما أوتوا، ويربون

---

(١) لسان العرب (٢/ ٢٨٨).

عليها الأجيال، لتكون عبأ على الدعوة الإسلامية القويمة[1].

ولا شكّ أنّ التأثر بالمشرب الدعوي يختلف من فقيه إلى آخر، فقد ينشأ الناشىء على دعوة خاطئة فلا يرجع عنها، أو يرجع عنها قبل أن يستكمل أدوات الاجتهاد أو بعده، وقد يظل متأثراً بتلك الدعوة، وقد يزول هذا التأثير، زوالاً تاماً أو ناقصاً تظل معه رواسب لتلك الدعوة التي نشأ عليها.

وقد ينشأ على دعوة صحيحة، فلا يرجع عنها، أو يرجع عنها قبل أن يستكمل أدوات الاجتهاد أو بعده، وقد يظل متأثراً بتلك الدعوة، وقد يزول هذا التأثير، زوالاً تاماً أو ناقصاً تظل معه رواسب لتلك الدعوة التي نشأ عليها.

ولا يتضح ذلك إلا بدراسة نماذج من الأئمة:

الإمام أبو الحسن الأشعري[2]:

علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد سنة ٢٦٠ هـ، دخل الإمام بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي[3] أحد أئمة الفقه

(١) انظر: السنة قبل التدوين ص ١٩٥ ـ ٢١٦.

(٢) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص ٣١، تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦)، تبيين كذب المفتري لابن عساكر، الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٦)، العلو للعلي الغفار ص ٢٧٨، البداية والنهاية (١١/ ١٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، الديباج المذهب ص ١٩٣.

(٣) أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري المعروف بالساجي، فقيه ومحدث، له اختلاف الفقهاء، وعلل الحديث، توفي سنة ٣٠٧ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٢٦)، شذرات الذهب (٢/ ٢٥٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٥٠)، لسان الميزان (٢/ ٤٨٨).

والحديث، وعن أبي خليفة الجمحي[1]، وروى عنهم كثيراً في تفسيره «المختزن»، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي[2] شيخ المعتزلة[3]، وأقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ولما تبحر في الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك.

يقول أبو الحسن الأشعري: (وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقمت وصلّيت ركعتين، وسألت الله ـ تعالى ـ أن يهديني).

ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى جامع البصرة، فصعد المنبر بعد صلاة الجمعة، وقال: (معاشر الناس، إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله ـ تبارك وتعالى ـ فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس).

ذكر ابن خلكان[4]: أنّ أبا الحسن الأشعري نادى بأعلى صوته في

---

(١) أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي البصري، من رواة الأخبار والأشعار والأنساب، توفي سنة ٣٠٥ هـ. انظر: لسان الميزان (٤/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠)، معجم المؤلفين (٨/ ٦٦).

(٢) أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبَّائي، من معتزلة البصرة، وهم يخالفون المعتزلة البغداديين في النبوة والإمامة، توفي سنة ٢٩٥ هـ. انظر الملل والنحل (١/ ٧٨).

(٣) لأنهم اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وكانوا من أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة، انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ١٩، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤١.

(٤) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن =

جامع البصرة، قائلاً: (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأنّ الله لا تراه الأبصار، وأنّ أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة)، فخرج فضائحهم ومعائبهم[1]. وذكر ابن العماد الحنبلي مناظرة لأبي الحسن الأشعري ولأبي علي الجبائي جاء فيها: سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة أخوة، كان أحدهم مؤمناً برّاً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة. فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد، هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال: ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباريء: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: ولو قال الأخ الأكبر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني، فانقطع الجبائي. قال ابن العماد: وفي هذه المناظرة دلالة على أنّ الله ـ تعالى ـ خصّ من شاء برحمته، واختصّ آخر بعذابه[2].

= بَاوَل بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، الإربلي، الشافعي، فقيه ومؤرخ وأديب وشاعر، صاحب وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ولد بإربل سنة ٦٠٨ هـ، ثم انتقل إلى الموصل ثم حلب ثم دمشق ثم القاهرة، ثم تولى قضاء دمشق، وتوفي بها سنة ٦٨١ هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون. انظر: الوافي بالوافيات (٦/ ١٢١ ـ ١٢٤)، النجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٠١)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٤).

(١) وفيات الأعيان (١/ ١١٤).

(٢) انظر شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣).

وقال تاج الدين السبكي[1] في الطبقات الكبرى: أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنّة بعد الإمام أحمد بن حنبل، وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ واحدة، لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبه صرّح الأشعري في تصانيفه، وذكره غير مرة: (إن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل)، هذه عبارة أبي الحسن الأشعري في غير موضع من كلامه[2].

يقول ابن كثير[3] ـ رحمه الله ـ: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

ثانيها: حال إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

ثالثها: حال إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه، جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً.

---

(١) أبو النصر تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري الشافعي السبكي، فقيه وأصولي ومؤرخ وأديب وناظم وناثر، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧ هـ، وقدم دمشق ولزم الذهبي وتخرج به، ولي بها القضاء، وخطابة الجامع الأموي، وتوفي بدمشق سنة ٧٧١ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٨)، النجوم الزاهرة (١١/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، شذرات الذهب (٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، البدر الطالع (١/ ٤١٠ ـ ٤١١).

(٢) انظر طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٦).

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصروي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، محدث ومؤرخ ومفسر وفقيه، ولد سنة ٧٠٠ هـ بجندل من أعمال بصرى الشام، ثم انتقل إلى دمشق، توفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ، ودفن عند شيخه ابن تيمية بمقبرة الصوفية. انظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣)، النجوم الزاهرة (١١/ ١٢٣ ـ ١٢٤)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، البدر الطالع (١/ ١٥٣)، الرد الوافر ص ٤٨ ـ ٥٠.

يقول ابن عساكر[1] ـ رحمه الله ـ: وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة وللتحقيق موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى الإبانة، عرف موضعه من العلم والديانة[2]. وهو آخر كتاب صنفه، كما صرّح بذلك ابن كثير.

وقال البيهقي[3] ـ رحمه الله ـ: (ذكر الشافعي ـ رحمه الله ـ ما دلّ على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا، ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ، وأن الله كلم به عباده، بأن أرسل به رسوله ﷺ، وبمعناه ذكره ـ أيضاً ـ علي بن إسماعيل في كتاب الإبانة).

يقول ابن القيم[4] ـ رحمه الله ـ: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ورجع

---

(١) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر، أبو القاسم ثقة الدين، حافظ ومحدث وفقيه ومؤرخ، ولد سنة ٤٩٩ هـ، قال ياقوت: (عدة شيوخه ١٣٠٠، ومن النساء بضع وثمانون امرأة)، دافع عن عقيدة الأشاعرة في كتابه تبيين كذب المفتري فيمانسب إلى أبي الحسن الأشعري، وله كتاب «تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها»، في ثمانين مجلد، توفي سنة٥٧١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٥٤)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١١٨)، وفيات الأعيان (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، طبقات الشافعية (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٧)، معجم الأدباء (١٣/ ٧٣ ـ ٨٧)، النجوم الزاهرة (٦/ ٧٧)، شذرات الذهب (٤/ ٢٣٩)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٤).

(٢) تبين كذب المفتري ص ٢٨.

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخراساني الشافعي، المحدث الفقيه، صاحب السنن الكبرى وشعب الإيمان، ولد سنة ٣٨٤ هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ، ونقل إلى بيهق ودفن بها. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٤ ـ ٢٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣ ـ ٧)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٣٠٩ ـ ٣١٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، النجوم الزاهرة (٥/ ٧٧ ـ ٧٨)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٤) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، فقيه وأصولي ومجتهد ومفسر =

الأشعري عن مذهب المعتزلة، وسلك طريق أهل السنّة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل، كما ذكر في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات)[1].

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة: (فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا ـ عزّ وجلّ ـ، وسنّة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمّة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، والذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمّة المسلمين)[2]. رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال سنة ٣٠٠ هـ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ، رحمه الله تعالى.

فالملاحظ أنّ أبا الحسن الأشعري بسبب مشربه المعتزلي الذي نشأ عليه، لحقه ما لحقه من التعثر في الوصول إلى الحق دهراً من الزمن، مع إمامته ورجاحة عقله، ومع ذلك لم يصل إلى حمل النصوص على مراد الشارع مباشرة ـ في باب الأسماء والصفات ـ، بل إنه لجأ إلى الاعتراف

= ونحوي ومحدث، ولد بدمشق سنة٦٩١ هـ، ولازم ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، وتوفي سنة ٧٥١ هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٤٠٠)، النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٩)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٨)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢)، البدر الطالع (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٦).

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١١١.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، الباب الثاني في إبانة قول أهل الحق والسنة ص ٥٢.

بسبع صفات منها، وتأويل الباقي ـ كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ، بعد أن كان يعطل جميع صفات الباري ـ عزّ وجلّ ـ على طريقة المعتزلة، حتى انتهى به المطاف إلى انتهاج منهج السلف في إثبات جميع أسماء الله وصفاته، التي ثبتت في الكتاب والسنّة الصحيحة، من غير تعطيل أو تشبيه أو تحريف أو تأويل.

وأبو الحسن الأشعري في كل مرحلة من مراحل دعوته كان له أتباع، يقتفون أثره ويسيرون على نهجه، حتى إن من أتباعه من لا يرون رجوع أبي الحسن الأشعري عمّا كان عليه، فيقول أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الشافعي[1]: رأيت هؤلاء الجهمية[2] ينتمون في نفي علو الله على العرش، وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بالإبانة عن أصول الديانة أدلة، من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء، ويقول: وقد عرضها ـ يعني الإبانة ـ بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية، المنتمين افتراء إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس، فأنكرها وجحدها، وقال: ما سمعنا بها قط، ولا هي من تصنيفه، ثم قال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشوياً[3].

---

(١) صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الكردي الشافعي، قاضي الديار المصرية، ولد بأعمال الموصل في حدود سنة ٥١٦ هـ تقريباً، قال المنذري: كان مشهوراً بالصلاح والغزو، وطلب العلم. توفي سنة ٦٠٥ هـ، وهو ابن تسعين. انظر: العبر في أخبار من غبر (١٣/٥)، سير أعلام النبلاء (٤٧٤/٢١)، البداية والنهاية (٥٢/١٣)، التكملة لوفيات النقلة للمنذري (الترجمة: ١٠٦٢).

(٢) أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وهو تلميذ الجعد ابن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ، والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الصفات، وقتل الجهمَ مسلمُ بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. انظر الملل والنحل (٨٦/١).

(٣) من حشا الحلقة أي جانبها، وهو ما لا قيمة له، ويقصد الحنابلة، لأنهم يثبتون =

ويقول ابن درباس: فما دريت من أي أمرَيْه أعجب، أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في تصانيفه من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه، واشتهار توبته من الاعتزال بين الأمّة عالمها وجاهلها؟.

وإن رأى آخرون رجوعه عن الاعتزال، لا يرون رجوعه عن تأويل الصفات، فيقول محمد زاهد الكوثري[1]: وبعض الحنابلة على مسلك السلف في التفويض وترك الخوض، وبعضهم انحاز إلى المعتزلة، وكان غالبهم على تعاقب القرون حشوية، ثم يقول: وكاد أن لا يبقى حشوي، لولا جالية حران الذين حطوا رحلهم في الشام، ونبغ من بينهم رجل[2] حسنت نشأته في الطلب، على ذكاء وحافظة وسمت وتمكن من اجتلاب ثقة شيوخ العلم إلى نفسه وثنائهم عليه، وكان واعظاً طلق اللسان، فإذا هو يجري على خطة مدبرة في إحلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف، محل مذهب أهل السنّة، ولم يعلم أنّ مذهب أهل السنّة من الأشاعرة والماتريدية، بلغ من التمحيص العلمي على تعاقب القرون بأيدي نوابغ أهل النظر والفقه في الدين، ممّن لا يُعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم إلى مستوى من قوّة الحجج، بحيث إذا حاول أن يصطدم بها لا يقع إلا على أمِّ رأسه، فيردى.

= صفات الله ـ عز وجل ـ وينفون عنها التشبيه. انظر: مقدمة تبيين كذب المفتري ص ١١.

(١) محمد زاهد بن الحسين بن علي الكوثري الجركسي الحنفي، فقيه متعصب، وأشعري متكلم، ولد في قرية الحاج حسن أفندي من أعمال دوزجة بشرقي القسطنطينية سنة ١٢٩٦ هـ، تنقل زمناً بين الشام ومصر، تحامل على شيخ الإسلام ابن تيمية ومذهب السلف في الصفات، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/٣٦٣ ـ ٣٦٤)، الإمام الكوثري لأحمد خيري، الكوثري لمحمد نصيف، معجم المؤلفين (١٠/ ٤).

(٢) يقصد شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

ثم يقول: والحشوية أسقطها الجهل والجمود ترتئي آراء الجاهلية، ورثوها من نحل كانوا عليها قبل الإسلام، وأهل السنّة من الفقهاء والمحدثين يواصلون العمل في علومهم من غير جلبة ولا ضوضاء، والحشوية يجرون على طيشهم وعمايتهم واستتباعهم الرعاع والغوغاء، ويتقولون في الله ما لا يجوزه الشرع ولا العقل من إثبات الحركة له والنقلة والحد والجهة والقعود والإقعاد والاستلقاء والاستقرار، إلى نحوها مما تلقوه بقبول من دجاجلة الملبسين من الثنوية[1] وأهل الكتاب، ومما ورثوه من أمم قد خلت، ويؤلفون في ذلك كتباً يملؤونها بالوقيعة في الآخرين، ويخرقون حجاب الهيبة في الإكفار، متبرقعين بالسنة ومعتزين إلى السلف، ويستغلون ما ينقل عن بعض السلف من الأقوال المجملة التي لا حجة فيها. ثم يقول: والأشعرية وسط بين المعتزلة والحشوية، لا هم ابتعدوا عن النقل كما فعل المعتزلة، ولا عن العقل كعادة الحشوية)[2].

ولسناد بصدد الرد على كلام الشيخ الكوثري المتسم بالتحامل والشتائم على منهج السلف في باب الأسماء والصفات، وعلى من انتهج نهجهم من الأئمّة، ولكنّا سقنا ذلك لنبين أنّ من اتباع أبي الحسن الأشعري ممن ليسوا معتزلة ولا على منهج السلف، بل يرون أنّ الأشعري لم ينتقل إلى منهج السلف، ولكنه بقي على إثبات بعض الصفات وتأويل البعض الآخر.

وعقيدة السلف كانت مطروحة أمام أبي الحسن الأشعري منذ نشأته، ومع ذلك ما كان ليراها إلا بعد فترة من الزمن، مما أدّى إلى ظهور النزاع

---

(١) الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، متساويان في القدم، ومختلفان في الجوهر والطبع والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح، بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام، انظر: الملل والنحل (١/ ٢٤٤).

(٢) انظر مقدمة تبين كذب المفتري ص ١٤ ـ ١٧.

العقدي في الأمّة، في فهم نصوص الكتاب والسنّة في باب أسماء وصفات الباري - عزّ وجلّ -، وكل ذلك يرجع إلى المشرب الدعوي المعتزلي الذي نشأ عليه الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى -.

الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي[1]:

الإمام العالم الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي[2] ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب «الأحكام الكبرى» و «الصغرى». ولد سنة ٥٤١ هـ بجماعيل، سمع الكثير بدمشق والإسكندرية وبيت المقدس ومصر وحرّان والموصل وأصبهان وهمذان، وكَتَبَ الكثير.

قال الموفق[3]: كان الحافظ عبد الغني جامعاً للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم، وما كنّا نستبق إلى خير إلاّ سبقني إليه إلا القليل، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداواتهم، ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنّه لم يعمّر.

قال الضياء المقدسي[4]: كان شيخنا الحافظ لا يكاد يُسأل عن حديث

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٤/١٣٧٢ - ١٣٨١)، سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣)، العبر (٤/٣١٣)، البداية والنهاية (١٣/٣٨ - ٣٩)، شذرات الذهب (٤/٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) جمّاعيل قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين، وانتسب إلى بيت المقدس لقرب جماعيل منها، ولأن نابلس وأعمالها جميعاًمن مضافات بيت المقدس. انظر معجم البلدان (٢/١٦٠).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، أبو محمد موفق الدين، ولد سنة ٥٤١ هـ، عالم وفقيه مجتهد، صاحب المغني في الفقه الحنبلي، توفي سنة ٦٢٠ هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٧٧)، البداية والنهاية (١٣/٩٩ - ١٠٠)، شذرات الذهب (٥/٨٨ - ٩٢)، النجوم الزاهرة (٦/٢٥٦)، معجم المؤلفين (٦/٣٠).

(٤) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي =

إلا ذكره وبيَّنه، وذكر صحته أو سقمه، ولا يسأل عن رجل إلا قال: هو فلان ابن فلان الفلاني، ويذكر نسبه، فكان أمير المؤمنين في الحديث.

وقال رجل للحافظ عبد الغني المقدسي: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال: لو قال أكثر لصدق.

هكذا نشأ الحافظ عبد الغني المقدسي في أحضان العلم والتقوى، لا يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة، بل يشتغل بالتلقين والتسميع والنسخ وكتابة العلم والصلاة، فإذا نام قام من الليل ليصلي، وربما توضأ سبع مرات أو ثمان في الليل، ويقول: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة. ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر.

كان الحافظ لا يرى منكراً إلا غيَّره بيده أو بلسانه، ولا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فكان يهريق الخمور، فَجَبَذَ صاحبُ الخمرِ مرة السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قوياً في بدنه، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر ويكسر الطنابير.

وكان الحافظ إذا دخل على العادل[1] بمصر قام له، ويقول العادل: ما

= المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ضياء الدين أبو عبد الله، ولد سنة ٥٦٩ هـ، محدث وحافظ ورحالة، صاحب المختارة، توفي بدمشق سنة ٦٤٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٢٦)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٠)، البداية والنهاية (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، الوافي بالوفيات (٤/ ٦٥ ـ ٦٦)، شذرات الذهب (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦)، معجم المؤلفين (١٠/ ٢٦٣).

(١) السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب التكريتي الأصل، البعلبكي المولد، أصغر من أخيه صلاح الدين، كان حليماً ديناً فيه عفة، تصدق بذهب كثير، وكان كثير الصلاة، ويصوم كل خميس، كما كان نهماً كثير الأكل، كثير التمتع بالجواري، توفي سنة ٦١٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٧٤ ـ ٧٩)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨)، البداية والنهاية (١٣/ ٧٩ ـ ٨٠)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٥).

خفت من أحد ما خفت من هذا، فقالوا: أيها الملك هذا رجل فقيه. فقال: لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع.

كان الحافظ على عقيدة السلف، التي نشأ عليها، فنشر أحاديث النزول والصفات فقاموا عليه، ورموه بالتجسيم، قال الذهبي: فما دارى كما كان يداريهم الشيخ الموفق.

قال الضياء: فكانوا قد وغروا عليه صدر العادل، وتكلموا فيه، وكان بعضهم أرسل إلى العادل يبذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار.

واجتمع أعداؤه إلى والي القلعة[1] الصارم برغش، وقالوا: هذا قد أضلّ الناس، ويقول بالتشبيه. فعقدوا له مجلساً فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع، منها قوله: «لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول»، ومنها: «كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان»، ومنها: مسألة الحرف والصوت، فقالوا: إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فلم يصح عن إمامك، وإنما قال كلام الله، يعني غير مخلوق، وارتفعت الأصوات، فقال الوالي: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على حق؟ قال: نعم. فأمر بكسر منبره.

مع كل هذه المحن ثبت الحافظ على ما نشأ عليه من عقيدة وسنّة صحيحة، ولم يتحول عنها تحت ضغط البطش.

خرج الحافظ إلى مصر، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب، فمات الحافظ قبل وصول الكتاب.

---

(١) قلعة دمشق جبل بالشام. انظر معجم البلدان (٤/ ٣٨٩)، مراصد الاطلاع (٣/ ١١١٧).

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي[1] الواعظ: (وفي ذي القعدة سنة ٥٧٦ هـ كان ما اشتهر من أمر الحافظ عبد الغني المقدسي، وإصراره على ما أظهر من اعتقاده وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب).

قال الذهبي[2]: قد بلوت على أبي المظفر المجازفة، وقلة الورع فيما يؤرخه، والله الموعد، وكان يترفض، رأيت له مصنفاً في ذلك فيه دَوَاهٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره كما زعم لما وسعهم إبقاؤه حياً، وقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد[3] والشيخ الموفق، وأخوه القدوة الشيخ أبو عمر[4]، وسائر الحنابلة، وعدّة من أهل الأثر.

توفي رحمه الله ـ تعالى ـ في ربيع الأول سنة ٦٠٠ هـ.

---

(١) يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي، ثم الدمشقي، أبو المظفر شمس الدين سبط ابن الجوزي، محدث، حافظ، فقيه، مفسر، مؤرخ، واعظ، ولد ببغداد سنة ٥٨١ هـ، نشأ تحت كنف جده لأمه أبي الفرج ابن الجوزي، له مجازفات وتَرَفُض، توفي سنة ٦٥٤ هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق. انظر: النجوم الزاهرة (٧/ ٣٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٣٣)، لسان الميزان (٦/ ٣٢٨)، البداية والنهاية (١٣/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، شذرات الذهب (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٢٤).

(٢) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، ثم الدمشقي الشافعي، إمام محدث ومؤرخ، ولد بدمشق سنة ٦٧٣ هـ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢١٦ ـ ٢٢٦)، الدرر الكامنة (٣/ ٣٣٧)، الرد الوافر ص ١٥ ـ ١٨، النجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٨)، شذرات الذهب (٦/ ١٥٣ ـ ١٥٧)، البدر الطالع (٢/ ١١٠ ـ ١١٢).

(٣) إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي العمادي، أبو إسحاق عماد الدين، فقيه عالم بالقرآن والنحو والفرائض، ولد بجماعيل سنة ٥٤٣ هـ، توفي سنة ٨١٥ هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٥٠)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٤٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٧٧)، شذرات الذهب (٥/ ٥٧ ـ ٦٠).

(٤) أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي =

الإمام الشوكاني[1]:

الإمام محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني(١١٧٢ هـ ـ ١٢٥٥ هـ)، وعرف والده بالشوكاني نسبة إلى شوكان وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم.

نشأ ـ رحمه الله ـ بصنعاء، وتربى في حجر أبيه على العفاف والطهارة، طلب العلم وسمع العلماء، وختم القرآن وجوَّده على جماعة من مشائخ القرآن بصنعاء، ثم حفظ الأزهار للمهدي[2] في الفقه، ومختصر الفرائض للعصيفري[3]، والكافية والشافية لابن الحاجب[4]، والتهذيب للتفتازاني[5]،

= الحنبلي، ولد بجماعيل سنة ٥٢٨ هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٠٨ هـ، ودفن بالصالحية. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢ ـ ٦١).

(١) انظر: البدر الطالع (٢/ ٢٢٤)، الرسالة المستطرفة ص ١٥٢، فهرس الفهارس (٢/ ٤٠٨ ـ ٤١٢)، معجم المؤلفين (١١/ ٥٣)، نيل الأوطار (٩/ ٢٥٢).

(٢) أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل اليمني الزيدي، الإمام المهدي، ولد سنة ٧٧٥ هـ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، بويع بالإمامة في شوال سنة ٧٩٣ هـ، وتوفي سنة ٨٤٠ هـ، له الأزهار في فقه الأئمة الأطهار. انظر: البدر الطالع (١/ ١٢٢ ـ ١٢٦).

(٣) الفضل بن أبي السعد العُصيفري، فرضي، توفي سنة ٧٠٠ هـ. انظر معجم المؤلفين (٨/ ٦٨).

(٤) أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي المالكي، المعروف بابن الحاجب، فقيه ومقرىء وأصولي ونحوي وصرفي وعروضي، ولد في صعيد مصر سنة ٥٧٠ هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦)، البداية والنهاية (١٣/ ١٧٦)، النجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٠)، شذرات الذهب (٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٦٤).

(٥) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والفقه والمنطق، ولد بتفتازان إحدى قرى نسا، سنة ٧١٢ هـ، وتوفي سنة ٧٩١ هـ، له التهذيب في المنطق. انظر: الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٠)، شذرات الذهب (٦/ ٣١٩)، البدر الطالع (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥).

والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني[1]، وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب في أصول الفقه، ومنظومة ابن الجزري[2] في القراءات، وآداب البحث والمناظرة للإمام العضد[3]، ورسالة الوضع له أيضاً، وغير ذلك، وكان حفظه لبعض المختصرات قبل شروعه في الطلب.

تفقه الشوكاني على مذهب الإمام زيد[4]، وبرع فيه وأفتى حتى صار قدوة فيه، وطلب الحديث وفاق أهل زمانه، ثم خلع ربقة التقليد، وتحلى بمنصب الاجتهاد، فألف كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. يقول الشوكاني ـ عن نفسه ـ: (وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيد وهو قبل الثلاثين، وكان منجمعاً عن بني الدنيا، لم يقف بباب أمير ولا قاض، ولا صحب أحداً من أهل الدنيا، ولا خضع لمطلب من مطالبها، بل كان مشتغلاً في جميع أوقاته بالعلم درساً وتدريساً وإفتاء وتصنيفاً).

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دُلف العجلي القزويني الشافعي، يعرف بخطيب دمشق، فقيه وأصولي ومحدث وأديب وعالم بالعربية والمعاني والبيان والشعر، ولد بالموصل سنة ٦٦٦ هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٣٩ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢٣٨)، الدرر الكامنة (٤/ ٣ ـ ٦)، البدر الطالع (٢/ ١٨٣).

(٢) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي، ثم الشيرازي، الشافعي، ويعرف بابن الجزري، مقرىء ومجود ومحدث وحافظ ومؤرخ ومفسر وفقيه ونحوي وناظم بياني، ولد بدمشق سنة ٧٥١ هـ، توفي سنة ٨٣٣ هـ، له: النشر في القراءات العشر وغاية النهاية في أسماء رجال القراءات والرواية. انظر: الضوء اللامع (٩/ ٢٥٥)، شذرات الذهب (٧/ ٢٠٤)، البدر الطالع (٢/ ٢٥٧)، معجم المؤلفين (١١/ ٢٩١).

(٣) زين الدين المعروف بالعضد العجمي الحنفي، فقيه في علم المعقول والمنقول، توفي سنة ٧٥٣ هـ. انظر: النجوم الزاهرة (١٠/ ٧٥٣)، معجم المؤلفين (٤/ ١٩٣).

(٤) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٧٩ هـ، فقيه عالم، حفظ عن الباقر سبعين ألف حديث، قتل في المحرم سنة ١٢٢ هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ١٣ ـ ١٥)، الأعلام (٣/ ٩٨ ـ ٩٩)، معجم المؤلفين (٤/ ١٩٠).

وتكلم الشوكاني في كتابه (السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار) على عيون المسائل، وصحح ما هو مقيد بالدليل، وزيف ما لم يكن عليه دليل، فقام عليه أهل عصره وغالِبُهُم من المقلدة الجامدين على التعصب في الأصول والفروع، ولم تزل المجادلة والمصاولة بينه وبينهم دائرة ولم يزالوا يندِّدون عليه في المباحث من غير حجة، فجعل كلامه في الأزهار الذي هو في فقه أهل البيت المختار، موجهاً إليهم في التنفير عن التقليد المذموم، وإيقاظهم إلى النظر في الدليل، لأنه كان يرى تحريم التقليد. وقد ألف في ذلك رسالة سماها «القول المفيد في حكم التقليد»، فتحامل عليه جماعة من علماء وقته، وأرسل إليه أهل جهته سهام اللوم والمقت، وثارت من أجل ذلك فتنة في صنعاء اليمن، بين من هو مقلد ومن هو مقتد بالدليل، توهماً من المقلدين أنّه أراد هدم مذهب أهل البيت.

وعقيدته عقيدة مذهب السلف من حمل صفات الباري ـ تعالى ـ الواردة في القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف، وقد ألف في ذلك رسالة سماها «التحف بمذهب السلف».

فالإمام الشوكاني إمام من أئمة أهل السنّة، ويتضح هذا لكل من يطالع كتب الإمام، إلا أنه شرب من الدعوة الزيدية وأتقنها قبل ذلك، مما جعل الإمام الشوكاني يتأثر بها تأثراً سلبياً، ومن ذلك:

١ ـ نرى الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ قد تأثر بالدعوة الزيدية[1] في

---

(١) مذهب شيعي، لا يُجَوِّز الإمامة في غير أولاد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، وكان زيد بن علي ـ رحمه الله ـ لا يتبرأ من الشيخين، فرفضه شيعة الكوفة فسموا بالروافض، وطعنت الزيدية بعد ذلك في الصحابة طعن الإمامية، وفي الأصول يرون رأي المعتزلة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من أئمة أهل البيت. انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٤ ـ ١٦٢).

باب الوصية: فبعد أن ذكر ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (يقولون: إنّ النبيّ ﷺ أوصى إلى علي، لقد دعى بالطست ليبول فيها فانخنثت نفسه وما شعرت، فإلى من أوصى؟!) رواه النسائي[1].

يقول الشوكاني: الحديث أخرجه الشيخان ـ أيضاً ـ من حديث الأسود بن يزيد[2] قال: ذكروا عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ أمير المؤمنين علياً ـ رضي الله عنه ـ كان وصياً لرسول الله ﷺ قالت: (متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فلقد انخنث[3] في حجري، وما شعرت أنه مات فمتى أوصى إليه؟)، ثم يقول: (والإنكار لوصاية أمير المؤمنين علي المفهوم من استفهام أم المؤمنين لا يدل على عدم ثبوتها، وعدم وقوعها من النبي ﷺ في ذلك الوقت الخاص لا يدل على العدم المطلق، وقد استوفينا الكلام على ذلك في رسالة مستقلة لما سأل عن ذلك بعض العلماء)[4].

إنّ ادّعاء الوصاية لعلي ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة بعد النبي ﷺ فيه مطعن في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، لأنه ادّعاء بأن الصحابة تركوا العلم بأمره ﷺ في أمر خطير وجسيم من أمور الدين، يتعلق فيه مصير الأمّة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الوصايا ـ باب الوصايا ٥/٣٥٦)، و ـ أيضاً ـ في (كتاب المغازي ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٨/١٤٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب الوصايا ـ باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به ٣/١٢٥٧)، والنسائي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب البول في الطست ١/٣٢)، و ـ أيضاً ـ في (كتاب الوصايا ـ باب هل أوصى النبي ﷺ ٦/٢٤١)، وابن ماجة في سننه (كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ١/٦١٩)، وأحمد في مسنده (٦/٣٢).

(٢) الأسود بن يزيد قيس النخعي، أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن، ثقة مكثر فقيه، مات سنة ٧٤ هـ. تقريب التهذيب (١/٧٧).

(٣) انخنث أي انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت. النهاية لابن الأثير (٢/٨٢).

(٤) نيل الأوطار (١/١٠٧).

فكما لا يحق لأبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ المخالفة بأخذ الخلافة، لا يحق لعلي ـ رضي الله عنه ـ المخالفة بتركها، بل لا يحق للصحابة إقرار هذه المخالفة، فادّعاء الوصاية طعن في عدالة الصحابة، الذين هم عدول بتعديل الله ورسوله ﷺ لهم بنص الكتاب والسنّة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلاّ أن يتبعوهم بإحسان، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، والرضى من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى[(١)]، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم)[(٢)]، وتقصد ـ رضي الله عنها ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[(٣)].

٢ ـ كما وقع ـ رحمه الله ـ في لعن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله

---

(١) انظر الصارم المسلول ص ٥٧٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب التفسير ـ مقدمة الكتاب ٤/ ٢٣١٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة ـ باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ٧/ ٢١)، ومسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة ـ باب تحريم سب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ٤/ ١٩٦٧)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ٥/ ٤٥)، والترمذي في سننه (كتاب المناقب ـ باب (٥٩) ٥/ ٦٩٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١).

عنهما ـ فيقول: (ثم لما وقع صلح الحسن ومعاوية ثارت منهم طائفة ـ يعني الخوارج ـ فأوقع بهم عسكر الشام بمكان يقال له النخيلة، وكانوا منقمعين في إمارة زياد[1] طول مدة ولاية معاوية وابنه يزيد[2] ـ لعنهم الله[3] ـ وظفر زياد بجماعة منهم، فأبادهم بين قتل وحبس طويل)[4].

٣ ـ والشوكاني ـ رحمه الله ـ إذا دافع عن صحابي جليل وُقع فيه، دافع عنه بأسلوب المعتذر وبما لا يليق، فبعد أن ذكر عن جرير ـ رضي الله عنه ـ أنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه، فقيل له: تفعل هكذا! قال: (نعم رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه). فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة. متفق عليه[5]، يقول الشوكاني: وحديث جرير نص في موضع النزاع، والقدح في جرير بأنه فارق علياً ممنوع، فإنه لم يفارقه وإنما احتبس عنه بعد إرساله إلى معاوية لأعذار،

---

(١) زياد بن عبيد الثقفي، وأمه سمية، ويسمى زياد بن أبيه، لأن معاوية استلحقه بأنه أخوه، فقيل زياد بن أبي سفيان، كان من نبلاء الرجال رأياً وعقلاً وحزماً ودهاء وفطنة، ولد عام الهجرة، وتوفي سنة ٥٣ هـ بالطاعون. انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٣٥٧)، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٠٩)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٤)، العبر (١/ ٥٨)، الوافي بالوفيات (١٥/ ١٠)، شذرات الذهب (١/ ٥٩).

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، ولي الخلافة سنة ستين، ومات سنة أربع وستين، ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يروى عنه. تقريب التهذيب (٢/ ٣٧١).

(٣) نستغفر الله من هذه العبارة.

(٤) نيل الأوطار (٧/ ٣٤٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في الخفاف ١/ ٤٩٤)، ومسلم في صحيحه (كتاب الطهارة ـ باب المسح على الخفين ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، وأبو داود في سننه (كتاب الطهارة ـ باب المسح على الخفين ١/ ١٠٧)، والترمذي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب المسح على الخفين ١/ ١٥٥ ـ ١٥٧)، والنسائي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب المسح على الخفين ١/ ٨١)، وابن ماجة في سننه (كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في المسح على الخفين ١/ ١٨٠).

على أنه قد نقل الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير[1] الإجماع على قبول رواية فاسق التأويل في عواصمه وقواصمه من عشر طرق، ونقل الإجماع ـ أيضاً ـ من طرق أكابر أئمة الآل وأتباعهم على قبول رواية الصحابة قبل الفتنة وبعدها، فالاسترواح إلى الخلوص عن أحاديث المسح بالقدح في ذلك الصحابي الجليل بذلك الأمر ممّا لم يقل به أحد من العترة وأتباعهم وسائر علماء الإسلام.

قلت: فلا ينبغي أن يقال في الدفاع عن قبول رواية جرير ـ رضي الله عنه ـ: ونقل الإجماع على قبول رواية فاسق التأويل، وإن كان من باب التَّنزُّل في المناظرة.

٤ ـ كما يلاحظ أنه يعطي أقواماً حجماً أكبر من حجمهم في مقابلة النصوص الثابتة والمتواترة، فيقول: (والعقبة الكؤود في هذه المسألة نسبة القول بعدم إجزاء المسح على الخفين إلى جميع العترة المطهرة، كما فعله الإمام المهدي في البحر، ولكنه يهون الخطب بأنّ إمامهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من القائلين بالمسح على الخفين، وهو أيضاً إجماع ظني، وقد صرّح جماعة من الأئمة بأنه تجوز مخالفته، وأيضاً فالحجة إجماعهم، وقد تفرّقوا في البسيطة وسكنوا الأقاليم المتباعدة، وتمذهب كل واحد بمهذب أهل بلده، فمعرفة إجماعهم في جانب التعذر، وأيضاً لا يخفى على المنصف ما ورد على إجماع الأمة من الإيرادات التي لا يكاد ينتهض معها للحجية بعد تسليم إمكانه ووقوعه، وانتفاء حجية الأعم يستلزم انتفاء حجية الأخص)[2].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور الوزير اليماني، ولد سنة ٧٧٥ هـ، صاحب الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة ٨٤٠ هـ. انظر: البدر الطالع (٢/ ٨١).

(٢) نيل الأوطار (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٥).

فبعد ثبوت النص ثبوتاً قطعياً[1]، لا عقبة كؤود في وجهه لقول قائل بهوى، ولا يصح العود إلى الاستدلال بقول الصحابي بعد ثبوت النص عن النبي ﷺ ثبوتاً قطعياً، وإن كان من باب التَنَزُّل في الاستدلال، لأنه ليس منهجاً قويماً.

الملاحظ أنّ الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ قد انقلب على الزيدية، إلا إنه لم يشأ أن يسخطهم كل السخط، فاستدلّ بأدلتهم ورد أقوالهم مستعيناً بمنهجهم، بما جعله يتَنَزَّل في الحجة تَنَزُّلاً خالف فيه منهج أهل السنّة، وما سبب ذلك كله إلا المشرب الدعوي الذي نشأ عليه الإمام الشوكاني.

الخلاصــة :

يتبيّن لنا مما سبق ما يلي:

١ ـ أنّ المشرب الدعوي السلبي يتملك ـ في الغالب ـ عواطف وأحاسيس المتفقّه وعقله وضميره، بل كيانه كله، ولاء لمن له فضل التعلم عليه، فلا يرى إلا ما يرى أستاذه وشيخه الذي أحبّه وأطاعه وتقرّب إلى الله بعلمه، حتى لو اكتمل عنده النضوج الفقهي، واستطاع أن يرى الحق حقاً، ابتلي بمدى قدرته على الرجوع عمّا هو عليه، على قدر ما آتاه الله من توفيق وإخلاص.

٢ ـ ومع ذلك فقد يخالف الفقيه مشربه الدعوي السلبي، ويلقى من جراء ذلك عداء من أقرانه وشيوخه، حتى ربما عاش معهم في صراع، وقد يرمونه بما هو بريء منه، ويحملون أقواله ما لا تحتمل ليرجع عمّا هو عليه.

---

(١) المسح على الخفين ثبت عن النبي ﷺ ثبوتاً قطعياً بالأحاديث المتواترة. انظر: قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ص ٥٢، ولقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٣٦، والنظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٧١.

٣ ـــ وربما ولّد المشرب الدعوي السلبي حاجزاً نفسياً قوياً، قد لا يمكن المتفقّه أو الفقيه من رؤية الصواب على مدى الدهر، فترى الإمام الكبير عاجزاً عن حمل النصوص على وجهها الصحيح إلى أن يلقى ربّه، مع سعة علمه ونظره، كما حصل لكثير من أئمة المعتزلة كالإمام الزمخشري، مات يوم مات وهو يدعو الناس إلى الإيمان بأنّ القرآن مخلوق.

٤ ـــ بل قد لا يستطيع الفقيه الرجوع إلى الحق بعد معاينته، بسبب ذلك الحاجز النفسي، وعوامل أخرى كثيرة ما كانت لتنشأ لولا المشرب الدعوي السلبي، كالرياسة والإمامة في المذهب البدعي، التي ما لو تخلى عنها تحول من أستاذ إلى تلميذ في مدرسة الحق، وتكون له عداوات، قد يرى نفسه بغنىً عنها لضعف إخلاصه.

٥ ـــ والمشرب الدعوي يفسر لنا ـ أحياناً ـ سبب مخالفة الفقيه النهج القويم في مسائله وفي فهمه للنصوص، مع وضوحها وتوفر أدلّة وبراهين سلف الأمّة عليها.

٦ ـــ وبالمقابل فإن المشرب الدعوي القويم حاجز مانع للمتفقه من الزلات، ودافع قوي لحمل النصوص على مراد الشارع.

٧ ـــ وعند الاضطهاد والبلاء بالغير يظهر أثر صلابة التنشأة في مقاومة المخالف، ومدى القدرة على الاستمرارية والثبات في العمل الدعوي، كما رأينا من حال الحافظ عبد الغني المقدسي.

المبحث الثاني

أثر الممارسة الدعوية على الفقيه

العمل الدعوي جزء من التطبيق العملي للفقه الشرعي، وقد يكون من الصعب تصور فقيه لا يمارس العمل الدعوي، ولكن كما أسلفنا فإننا لا نتحدث عمّن كانت الدعوة هامشية في حياته، لا يبذل لها إلا ما فضل من وقته وجهده وماله، ولكننا بصدد الحديث عمّن كان منكسراً للعمل الدعوي، فكرس حياته وجهده ووقته وعلمه وماله لخدمة المصالح الدعوية ومقاصدها، وتفاعل مع الأمّة فأثر فيها وتأثر بها، وبذل الوسع في تحقيق مرضاة الله في هذا الجانب.

والفقيه تتضاعف مسؤولياته الدعوية، لأنه اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أمر هذا الدين، وعلم ما لم يعلمه غيره، فإن لم يعمل بعلمه، ولم يضطلع بالعمل الدعوي، صار علمه حجة عليه لا له أمام الله، وزلَّ بزلته أقوام.

والدعوة مدرسة للمدعو والداعية، فكما تؤثر الدعوة في كيان الأمة وفي حاضرها ومستقبلها، تؤثر في الداعية تأثيراً إيجابياً، بل هو أولى أن يتأثر بدعوته من المدعو، لأنه يسمع كلام الله كلما تلاه، ويسمع حديث رسول الله ﷺ كلما قرأه، وهو صاحب البضاعة، والمروج لها، وكلما طرح بضاعته على الناس محصها، وغَذَّاها بالأدلة والبراهين.

ويمكن بيان أثر الممارسة الدعوية على الفقيه الممارس لها بما يلي:

١ ــ نماء فقه الفقيه الداعية بالدعوة، وذلك لأن الناس كلما طرحوا عليه مشاكلهم، وطلبوا منه حكم الله، يدلي بدلوه فيما يعرف، وفيما لا يعرف يبحث ويفتش ويجتهد رأيه، لأنه قادر على البحث والتحقيق وتخريج المسائل، فتتنوع مسائل الفقيه، وتصبغ بالصبغة الدعوية، حيث يتحول علمه من علم نظري إلى علم تطبيقي يدور في فلك الواقع، يبحث في مشاكل العصر وهمومه، لا فقهاً نظرياً يبحث في مشاكل العصور الغابرة، وينمو فقهه الذي يفيد الأمّة ويحل مشاكلها، وتتضاءل عنده المسائل التي لا تفيد الأمّة، وهذا هو الهدف الحقيقي من رسالة الإسلام، فرسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن، قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد في سنّة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو[1]، فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[2].

---

(١) آلوا وتألوا، وأَلِيَ الرجل وألَّىٰ، إذا قصَّر وترك الجهد. النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه (كتاب الأقضية ـ باب اجتهاد الرأي ٤/ ١٨ ـ ١٩)، والترمذي في سننه (كتاب الأحكام ـ باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ٣/ ٦٠٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١١٤)، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص ٧٦، والدارقطني في سننه (١/ ٦٠)، وابن حزم في الأحكام (٦/ ٣٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٥٦)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩). قال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بمتصل. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية: لا يصح، وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه في كتبهم، ويعتمدون عليه، وإن كان معناه صحيحاً، إنما ثبوته لا يعرف، لأن الحارث بن عمرو مجهول، وأصحاب معاذ من أهل حمص =

وينمو فقه الفقيه ـ أيضاً ـ بملاقاة العلماء في مجال العمل الدعوي ممن هم أعلم منه أو في علمه أو دونه، فيتعلم منهم ما لم يكن يعلم، ويتولد لديه من الحافز والغبطة في العلم، ما يدفعه إلى الطلب والاجتهاد، أكثر مما لو كان منعزلاً منغلقاً على نفسه وكتبه ومسائله، التي لا يتبين ـ كثيراً من

= لا يُعرفون، وما هذا طريقه فلا وجه لثبوته. وقال أبو داود: أكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معاذ: أن رسول الله ﷺ، وقال مرة عن معاذ. وقال ابن حزم: لا يصح، لأن الحارث مجهول، وشيوخه لا يُعرفون، وقال: وادعى بعضهم فيه التواتر، وهذا كذب، بل هو ضد التواتر، لأنه ما رواه أحد غير أبي عون عن الحارث، فكيف يكون متواتراً. قال البخاري في تاريخه: الحارث بن عمرو عن أصحاب معاذ، وعنه أبو عون لا يصح، ولا يعرف إلا بهذا. قال الدارقطني في العلل: رواه شعبة عن أبي عون هكذا، وأرسله ابن مهدي وجماعات عنه، والمرسل أصح. وقال ابن طاهر المقدسي في تصنيف له مفرد في الكلام على هذا الحديث: اعلم أنني فحصت هذا الحديث في المسانيد الكبار والصغار، وسألت عنه من لقيته من أهل العلم بالنقل، فلم أجد له غير طريقين، أحدهما طريق شعبة، والآخر عن محمد بن جابر عن أشعث بن أبي الشعثاء عن رجل من ثقيف عن معاذ، وكلاهما لا يصح، وأقبح ما رأيت فيه قول إمام الحرمين في كتاب أصول الفقه، حيث قال: والعمدة في هذا الباب على حديث معاذ، وهذه زلة منه، ولو كان عالماً بالنقل ما ارتكب هذه الجهالة. وقال ابن حجر: أساء الأدب على إمام الحرمين، وكان يمكنه أن يعبر بألين من هذه العبارة، مع أن كلام إمام الحرمين أشد مما نقله عنه، فإنه قال: والحديث مدون في الصحاح، متفق عليه صحته، لا يتطرق إليه التأويل، كذا قال ـ رحمه الله ـ، وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل، فلو كان الإسناد إلى عبد الرحمن ثابتاً، لكان كافياً في صحة الحديث، واستند أبو العباس بن القاص في صحته إلى تلقي أئمة الفقه والاجتهاد له بالقبول، وقال: وهذا القدر مغني عن مجرد الرواية، وهو نظير أخذهم بحديث: «لا وصية لوارث»، مع كون راويه إسماعيل بن عياش. انتهى كلام ابن حجر. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/٢/٢٥٩)، الأحكام لابن حزم (٦/٣٦)، تلخيص الحبير (٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، العلل المتناهية لابن الجوزي (٢/٧٥٨). كما ضعف الحديث ـ أيضاً ـ الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص ٣٥٤، وفي ضعيف سنن الترمذي ص ١٥٣.

الأحيان ـ صوابها من خطئها إلا بالمذاكرة مع الأقران والجلوس إلى الناس.

٢ ـ الحكمة[1] والحلم[2] من أهم ما يكتسبه الفقيه الممارس للدعوة، فالتجارب الدعوية تعلم الداعية أن يضع الأمور في مواضعها، فيتعرف على عقول الناس وأمزجتهم وتوجهاتهم، فيسلك الطريق الذي لا يولد حاجزاً ـ بينه وبين المدعوين ـ يحرمهم علمه، بل يتعلم كيف يخاطبهم ويسلك أصح الطرق وأقومها في إصلاحهم ودعوتهم[3]، قال ـ تعالى ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[4]، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[5].

وفقه الواقع لا يكتسبه الفقيه إلا إذا خالط الناس وعرف عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم الاجتماعية ومواطن الضعف والقوّة فيهم، فيتوسع أُفُقُهُ، وتتفتح مداركه، وبناء عليه سيركز على ما ينفع الناس، ويضع الأشياء في مواضعها، ويشرع في تطبيق فقه الموازنات، وترتيب الأولويات، فيوازن بين المناهج والأساليب والوسائل الدعوية، ويقدم الأصلح للأمة، والأهم على المهم، بحسب حال مجتمعه وبيئته. فيتحول الفقيه إلى طبيب للأمة،

---

(١) الحكمة لغة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. لسان العرب (١/ ٦٨٨). أما في الاصطلاح: فالحكمة الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه. الحكمة في الدعوة إلى الله ص ٢٧.

(٢) حَلِمَ حِلْماً: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وصفح، وعقل. المعجم الوسيط (١/ ١٩٤).

(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله ص ١٠٦، السيرة النبوية لمصطفى السباعي ص ٤١، الرياض الناضرة للسعدي ص ٨٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ١/ ٢٢٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (المقدمة ـ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١).

يضع الدواء على موضع الداء، دون أن يزيد الجرعة أو يقللها فيلحق ضرراً بالمريض.

٣ ــ والدعوة تعلم الفقيه الصبر والقدرة على التحمل، لا سيما عند التعرض لإيذاء العوام والجهلة والمبتدعة، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1].

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي العبد على حسب دينه، فإن كان دينه صُلْباً اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة»[2].

---

(١) رواه الترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب (٥٥) ٤/ ٦٦٢)، وابن ماجه في سننه (كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣) (٥/ ٣٦٥)، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٤٠ ـ ١٤١ حديث ٣٩٠، وذكره السيوطي في الجامع الصغير عن الترمذي وابن ماجة وأحمد، إلا أنه لم يحكم عليه.
قال ابن حجر: أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، فتح الباري (١٠/ ٥١٢). قلت: في إسناد ابن ماجه عبد الواحد بن صالح، قال فيه ابن حجر: مجهول، التقريب (١/ ٥٢٦)، ورجال إسناد الترمذي وأحمد كلهم ثقات من رجال الشيخين وكذا إسناد البخاري في الأدب المفرد إلا شيخه آدم فهو من رجاله دون مسلم (اعتماداً على تقريب التهذيب). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٧) وصحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٣٧٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٢)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه (كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٤). والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب أشد الناس بلاء ٢/ ٢٢٨)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤ ـ ١٨٠ ـ ١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٨٦)، وفي صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٣٧١)، وقال: حسن صحيح.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر! إنا قليل»، فلم يزل أبو بكر يُلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر، وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا[1] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، لا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله! لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه[2]، ثم قاموا، وقالوا لأم الخير[3]: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب[4] فاسأليها عنه، فخرجت، حتى جاءت أم جميل،

---

(١) نزوت على الشيء، أنزو نزواً، إذا وثبت عليه، وقد يكون في الأجسام أو المعاني. النهاية (٥/ ٤٤).

(٢) العَذْل اللوم، والعَذَل مثله. لسان العرب (٢/ ٧٢١).

(٣) أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، والدة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، أسلمت قديماً، وماتت أم الخير قبل أبي قحافة. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٤٧).

(٤) أم جميل بنت الخطاب القرشية العدوية، زوج سعيد بن زيد أحد العشرة. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٣٧).

فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم، فمضت معها، حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنَفاً[1]، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم بن الأرقم. قال: فإنَّ لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ. فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ. قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكبَّ عليه المسلمون ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي، برة بولدها، وأنت مبارك، فادعها إلى الله، وادع الله لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ، ودعاها إلى الله فأسلمت[2].

فأبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بعد ما ناله من أذى المشركين ـ ما ناله ـ في سبيل الدعوة إلى الله والصدع بالحق، نجد الدعوة تملأ قلبه ونفسه وتشغل باله، فيطلب من رسول الله ﷺ دعوة أمه إلى الإسلام، وجراحه لا تزال رطبة في جسده، فكلما بذل الفقيه من نفسه وجهده وماله في سبيل الدعوة إلى الله تعاظم شأن الدين في نفسه، واسترخص الدنيا ومتاعها، وأصبح قادراً على نصرة الدين كما يحب الله ويرضى.

---

(١) دَنَفٌ ودَنِفٌ ومُدْنِفٌ ومُدْنَفٌ: براه المرض حتى أشفى على الموت. لسان العرب (١/١٠١٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/٣٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٤٤٧)، حياة الصحابة (١/٢٥٩).

٤ ــ الدعوة تعلم الفقيه الداعية الورع والتقوى وتجنب الشبهات والالتزام بما يفتي به ويقوله، لأن القدوة الحسنة أسلوبه في تبليغ رسالته وإصلاح أمته، فهو معروض على الناس، وأعينهم تراقب أقواله وأفعاله، ومدى تناسب سلوكه مع فتاويه، فإن خالف عملُه قولَه، سقطت دعوته وضاعت هيبته. ولا ينبغي له أن يترفع عن مساءلة الناس له حول سلوكه، كأن يقال له: لِمَ فعلت؟ ولِمَ تركت؟ ولِمَ لم تأت إلى صلاة العشاء بالأمس؟، وليس له أن يقول: هذا بيني وبين الله، لأن هذا الأمر دين، والفقيه الداعية إمام متبوع، يقتدي الناس به، وتبقى نيّته بينه وبين الله، فعليه أن يدع كثيراً مما لا بأس به خشية مما فيه بأس، ويتقي مواضع المظنة حتى لا يُقْتَفَى أثره.

رأى عمر ـ رضي الله عنه ـ على طلحة بن عبيد الله[1] ثوباً مصبوغاً، وهو محرِم، فقال: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنما هو مدَر[2]، فقال: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب، لقال: إنَّ طلحة كان يلبس الثياب المصبوغة في الإحرام[3].

ويقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ:

(اعلم أنه يستحب للعالم والمعلم والقاضي والمفتي والشيخ المربِّي وغيرهم ممن يقتدى به ويؤخذ عنه: أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب، وإن كان محقاً فيها، لأنه إذا فعل ذلك ترتب

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة، مشهور، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ هـ، وهو ابن ثلاث وستين. تقريب التهذيب (١/ ٣٧٩).

(٢) أي مصبوغ بالمدر، والمدر قطع الطين اليابس. لسان العرب (٣/ ٤٥٤).

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٤٨، وأخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ص ١٩٣.

عليه مفاسد من جملتها: توهم كثير ممن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً وأمراً معمولاً به أبداً، ومنها وقوع الناس فيه بالتّنَقص، واعتقادهم نقصه، وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها أن الناس يسيئون الظن به فينفرون عنه، ويُنَفِّرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط روايته وشهادته، ويبطل العمل بفتواه، ويذهب ركون النفوس إلى ما يقوله من العلوم، وهذه مفاسد ظاهرة، فينبغي له اجتناب أفرادها، فكيف بمجموعها؟ فإن احتاج إلى شيء من ذلك وكان محقاً في نفس الأمر لم يظهره، فإن أظهره أو ظهر أو رأى المصلحة في إظهاره ليُعلم جوازه وحكم الشرع فيه، فينبغي أن يقول: هذا الذي فعلته ليس بحرام، أو إنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام، إذا كان على هذا الوجه الذي فعلته، وهو كذا وكذا ودليله كذا وكذا. روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ قام على المنبر، فكبَّر على الأرض، ثم عاد إلى المنبر حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي»[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة كحديث «إنها صفية»[٢]، وفي البخاري أنّ علياً ـ رضي الله عنه ـ شرب قائماً، وقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة ـ باب الخطبة على المنبر ٢/ ٣٩٧)، ومسلم في صحيحه (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ١/ ٣٨٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتكاف ـ باب زيارة المرأة زوجها في الاعتكاف ٤/ ٢٨١)، ومسلم في صحيحه (كتاب السلام ـ باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجة أو محرماً له، أن يقول: هذه فلانة ٤/ ١٧١٢)، وأبو داود في سننه (كتاب الصوم ـ باب المعتكف يدخل بيته للحاجة ٢/ ٨٣٤).

(٣) رواه عن النزال بن سبرة عن علي ـ رضي الله عنه ـ البخاري في صحيحه (كتاب الأشربة ـ باب الشرب قائماً ١٠/ ٨١)، وأبو داود في سننه (كتاب الأشربة ـ باب في =

انتهى كلام النووي[1].

والمدعوون ربما لفتوا نظره إلى ما لم يلتفت له في الإخلاص واليقين والتوكل والرجاء والخشية والمحبة، بل ربما رأى فيمن دونه من العوام إيماناً وتقوى لا يجده في نفسه، فيمحص نفسه ويحاسبها، ويمتحن إيمانه وإخلاصه.

٥ ــ التواضع وخفض الجناح للمسلمين، صفات يكتسبها الداعية بمجالسة الفقراء والمساكين ودعوتهم، فإن العلم وغزارته في الفقيه ربما ولد لديه شعوراً بالغرور والتعالي، وكل ذلك يزول إذا قام بواجبه الحقيقي من تبليغ الرسالة، وأداء زكاة علمه تجاه الناس على الوجه الذي يرضي الله، فيبارك الله له في علمه، ويصبح علمه حجة له لا عليه.

وممن ابتلي بالغرور من الفقهاء حجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب النخعي، أبو أرطأة الكوفي، مفتي الكوفة مع الإمام أبي حنيفة والقاضي ابن أبي ليلى، أحد الأئمة الأعلام، ولد في حياة أنس بن مالك وغيره من صغار الصحابة. قال الذهبي: كان من بحور العلم، تُكلم فيه لِكِبْرِهِ وتدليسه، ولم يترك. قال العجلي: كان فقيهاً، وكان أحد مفتي الكوفة، وكان فيه تيه، فكان يقول: أهلكني حب الشرف. يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ: يقول حجاج بن أرطأة: لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة. قال الذهبي: لعن الله هذه المروءة، ما هي إلا حمق وكبر، كيلا يزاحمه السوقة، وكذلك تجد رؤساء وعلماء يصلون في جماعة في غير صف، أو تبسط له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مسلم. فإنا لله. انتهى كلام

= الشرب قائماً ٤/١٠٨ ـ ١٠٩)، والنسائي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب الوضوء من غير حدث ١/ ٨٤ ـ ٨٥).

(١) الأذكار ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

الذهبي. فكان لا يحضر الجماعة، فقيل له في ذلك، فقال: أحضر مسجدكم حتى يزاحمني فيه الحمالون والبقالون؟.

وقيل للحجاج: ارتفع إلى صدر المجلس، فقال: أنا صدر حيث كنت. يقول الشافعي: كنت أرى الحجاج بن أرطأة يفلي[1] ثيابه، ثم خرج إلى المهدي، ثم قدم معه أربعون راحلة. ويقول الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: كان الحجاج يدلس، فإذا قيل له: من حدثك؟ يقول: لا تقولوا هذا! قولوا: من ذكرت؟

وقال شعبة: اكتبوا عن حجاج وابن إسحاق، فإنهما حافظان. قال ابن حبان: كان حجاج صَلِفاً[2]، خرج مع المهدي إلى خراسان، فولاه القضاء، ومات منصرفه من الري سنة ١٤٥ هـ، تركه ابن المبارك ويحيى القطان وابن معين وأحمد بن حنبل.

قال الذهبي: كذا قال ابن حبان، وهذا ليس بجيد، وقد قدمنا عبارات هؤلاء في حجاج، نعوذ به ـ تعالى ـ من التهور في وزن العلماء.

قال ابن حجر: مات بالري سنة ١٥٤ هـ[3].

٦ ـ يصبح الفقيه ـ بممارسة العمل الدعوي ـ أقدر على مواجهة الناس والخطابة والموعظة وتبليغ الرسالة والتأثير في الأمة، فكم من عالم لا يقدر

---

(١) فلا رأسه يفلوه ويفليه فلاية فَلْياً وفلاّه، بحث عن القمل. لسان العرب (٢/ ١١٣٣).

(٢) صَلِفَ صَلْفاً، والصَّلَفُ مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً. لسان العرب (٢/ ٤٦٥).

(٣) انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣٧٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٦)، المعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٨٠٣)، المجروحين لابن حبان (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٨)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٣٠ ـ ٢٣٦)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٥٤ ـ ٥٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٨)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٩٨)، طبقات الحفاظ ص ٨١، شذرات الذهب (١/ ٢٢٩).

على مواجهة الناس ومخاطبة العوام واعتلاء المنابر، لذلك كان النبي ﷺ يدرب أصحابه على الخطابة أمامه، ليطمئن على قدرتهم على تبليغ الرسالة، مع علمهم وفقههم، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة، فلما فرغ من خطبته، قال: «يا أبا بكر! قم فاخطب»، فَقَصَرَ دون رسول الله ﷺ، فلما فرغ من خطبته، قال: «يا عمر! قم فاخطب»، فَقَصَرَ دون رسول الله ﷺ ودون أبي بكر، فلما فرغ من خطبته، قال: «يا فلان! قم فاخطب»، فَشَقَّقَ[1] القول، فقال له رسول الله ﷺ: «اسكت ـ أو اجلس ـ فإن التشقيق من الشيطان، وإن البيان من السحر»، وقال: «يا ابن أم عبد! قم فاخطب»، فقام ابن أم عبد[2]، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس! إن الله ـ عزّ وجلّ ـ ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا ـ وأومأ بيده إلى النبي ﷺ؛ رضينا ما رضي الله ـ تعالى ـ لنا ورسوله، وكرهنا ما كره الله ـ تعالى ـ لنا ورسوله، فقال النبي ﷺ: «أصاب ابن أم عبد، أصاب ابن أم عبد، رضيت بما رضي الله ـ تعالى ـ لي ولأمتي وابن أم عبد»[3]، فالفقيه إن لم يكن له قدرة على مواجهة الناس، والاتصال بهم والتآلف معهم، لم ينتفعوا بعلمه، ولم يستطع أن يؤدي رسالته، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ﷺ قال: «المؤمن مُؤْلَفٌ، ولا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ»[4]، بل عدم القدرة على التآلف من صفات المنافقين، فعن أبي

---

(١) تَطلّب فيه ليخرجه أحسن مخرج. النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٩٢).

(٢) هو عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الطبراني في معجمه الكبير كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٠) (إلا أن مرويات أبي الدرداء من الجزء المفقود من معجم الطبراني الكبير)، وحياة الصحابة (٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن عبيد الله بن خيثم لم يسمع من أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٠)، والبزار كما في كشف الأستار (كتاب الزهد ـ باب المؤمن يألف ويؤلف ٤/ ٢٢٨)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٣٧٦)، =

هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها، تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يَأْلَفُونَ ولا يؤلفون، خُشُبٌ[1] بالليل، صُخُبٌ[2] بالنهار»[3].

٧ ـ كما أنّ العمل الدعوي يزود الفقيه بسرعة البديهة واستحضار النصوص والأدلّة من الكتاب والسنّة وأقوال الأئمة والفقهاء، وتصنيفها في بديهته حسب الموضوعات، لا سيما في قضايا الساعة، التي يتكرر عرضها عليه والسؤال عنها، فيكون جاهزاً لعرضها على المدعوين حسب ما تقتضيه الحاجة، وبالأسلوب الذي يناسب الموقف، بحيث يكون قادراً على الإقناع والتأثير، كما يكون لديه علم ببدع عصره، فيتجهز للرد عليها والتصدي لها ولمبتدعيها وإزالتها من مجتمعه أولاً بأول، قبل أن تتفشى وتتحول إلى داء عضال، فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال:

= قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٦٦) برقم ٤٢٦، ورواه أحمد في مسنده ـ أيضاً ـ عن سهل بن سعد الساعدي (٥/ ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٣١)، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وإسناده جيد. مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٣). ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ١٨٤).

(١) ينامون الليل كأنهم خشب مطرحة، لا يصلون فيه. النهاية (٢/ ٣٢).

(٢) صيَّاحون ومتجادلون في النهار. النهاية (٣/ ١٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٣) والبزار في كشف الأستار (كتاب الإيمان ـ باب النفاق وعلاماته ١/ ٦١)، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني. مجمع الزوائد (١/ ١٠٧).

«نعم، وفيه دَخَنٌ»(١). قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم(٢) من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا(٣)، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة(٤) حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»(٥)، كما يتعلم الفقيه من الدعوة أن لا ينشغل ببدع العصور الماضية ـ التي اندثرت ـ دون طائل، بل ربما كان عرضها على العوام سبباً لنشر هذه البدع، وبلبلة أفكار الدعاة من الشباب.

٨ ـ وآثار مباشرة الدعوة على الفقيه أكثر من أن تحصر، نذكر منها: الثقة في الله والتوكل عليه واللجوء إليه عند شدائد ومحنة الدعوة، مع تعلم

---

(١) الدَّخَنُ الحقد وفساد القلب، يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً، بل فيه كدر، أو الدخن من الدخان ويشير بذلك إلى كدر الحال. انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٦).

(٢) أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم. فتح الباري (١٣/ ٣٦).

(٣) أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم العرب. فتح الباري (١٣/ ٣٦).

(٤) عض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة، كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم، كقوله في الحديث «عضوا عليها بالنواجذ». فتح الباري (١٣/ ٣٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الفتن ـ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ١٣/ ٣٥)، و ـ أيضاً ـ في (كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٧٤٥)، وأبو داود في سننه (كتاب الفتن والملاحم ـ باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/ ٤٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٩٩ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٦).

الثبات على الحق مهما كان الكرب عظيماً والخطب جسيماً، وكظم الغيظ حكمة لتحقيق مصالح الدعوة، والتصبر على إيذاء المدعوين، وطلبهم له وقت شغله، وانصرافهم عنه وقت دعوته لهم، واضطراره لتحديثهم ودعوتهم عند كسله، والاعتبار بهداية أقوام وكفر آخرين، مع تلقيهما دعوة واحدة ورسالة واحدة وعلى منهج واحد، والشعور بعظيم منة الله عليه بالهداية والعلم والفقه، لا سيما عند رؤية جهل من دونه مع رغبتهم في العلم الذي منَّ الله به عليه، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، كما تعلم الدعوة الافتقارَ إلى الله وانتظارَ فَرَجِهِ ورجاءه والرضا بقضائه، والغيرةَ على الإسلام وأهله وإيثارَهم والشفقَة عليهم ورحمتَهم، والتفكرَ والتبصرَ بعظيم فضل الله وكرمه وإحسانه وجليل قدرته، كما تؤتي الدعوة الفقيه قوة وشجاعة وعزّة ومهابة ووقارا وكرامة، من نوع لا ينال إلا بالدعوة إلى الله، فعن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي[1] ـ رضي الله عنهما ـ قال: (بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل ـ صاحب الروم ـ بدعوة إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ـ يعني دمشق ـ فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له. فأرسل إلينا برسول فكلمنا، فقلنا: والله لا نكلم رسولاً، إنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه، وإلا لم نُكلِّم الرسول. فرجع إليه الرسول، فأخبره بذلك. قال: فأذن لنا، فقال: تكلموا. فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود. فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال: لبستها، وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام. قلنا: ومجلسك هذا فو الله لنأخذنه منك، ولنأخذن منك الملك الأعظم، إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ)[2]. فأمام الباطل يكون الداعية عزيزاً، كريماً، لا يطأطأ له رأسه.

---

(١) اعتمد ابن حجر في الإصابة هذه الرواية في إثبات صحبة هشام بن العاص الأموي. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٠٤).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٨٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٠)، =

ولا يكفي أن يكون الفقيه مخبراً عن أحكام الشرع، سواء طبقت الأمة ذلك أو لم تطبق، بل لا بدّ أن يكون حريصاً على أهل الإسلام، ومتابعاً لمدى إلتزامهم بشرع الله، وكل ذلك لا ينال إلا بالممارسة الدعوية.

فالدعوة إلى الله تزيد الداعية البصير بصراً، والحليم حلماً، والفقيه فقهاً، وتشجع الجبان، وتُسَخِّي البخيل، وتُلَيِّن القلب القاسي، وتُقَوِّي القلب الضعيف.

= وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٥١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٠٤)، وحياة الصحابة (١/ ١٨٦).

المبحث الثالث
تأثر الفقيه بدعوة غيره

الفقيه العالم بالله أكثر الناس حساسية وشفافية لنداء الله، وكذلك استجابة لأوامر الله ونواهيه، فإذا أُمر بمعروف لم يتعال أن يرجع إليه، وإذا نُهي عن منكر لم يستنكف أن ينزجر عنه، وهذا شأن سلف الأمة، كانوا وقَّافِين عند حدود الله لا يتعدونها، بغض النظر عمّن أمرهم به، قال ـ تعالى ـ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وهذه الدراسة تدور على ثلاثة محاور:

الأول: تأثر الفقيه بدعوة غيره ليرجع عن أمرٍ ما، أو يُدَلِّلَ على صواب ما هو عليه:

لم يكن علماء السلف يستنكفون عن المساءلة ممن دونهم، فلأن يُساءل المرء في الدنيا، فيرجع عن الخطأ، خير له من التمادي فيه، فيسأل عنه يوم القيامة، حيث لا يستطيع أن يستدرك ما فاته، أو يبين للناس وجهته وطريقته التي لم يُوَفَّقُوا إلى فهمها، بهذه الصورة يكون الفقيه متفاعلاً مع الأمة، يؤثر فيها وتؤثر فيه، خطب عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقال: لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الفضة، يعني يزيد بن الحصين الحارثي[1]، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقامت امرأة من

---

(١) أحد القادة العرب الأثرياء. انظر: المؤتلف والمختلف للدارقطني (٤/٢٠٤٣).

صف النساء طويلة، في أنفها فطس، فقالت: ما ذاك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٠]؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: امرأة أصابت وأخطأ عمر[1].

وبُعث إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ بحلل، فقسمها، فأصاب كل رجل ثوباً، ثم صعد المنبر، وعليه حلة[2] ـ والحلة ثوبان ـ فقال: أيها الناس ألا تسمعون! فقال سلمان: لا نسمع! فقال عمر: ولم، يا أبا عبد الله؟! قال: إنك قسمت علينا ثوباً وعليك حلة. فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى عبد الله، فلم يجبه أحد. فقال: يا عبد الله بن عمر! فقال: لبيك يا أمير المؤمنين. فقال: نشدتك الله! الثوب الذي ائتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم. فقال سلمان: أما الآن فقل نسمع[3].

فكان الاعتراض على سلوك عمر ـ رضي الله عنه ـ مع علمه وفقهه وإمامته وولايته، ومع ذلك بيّن الحق برفق ولين، بل كنى المعترض وتلطف في تأنيبه حيث قال: لا تعجل يا أبا عبد الله.

وعن خالد بن معدان[4] قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حُذيم الجمحي ـ رضي الله عنه ـ. فلما قدم عمر بن الخطاب حمص، قال: يا أهل حمص! كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال ـ، قالوا: نشكوا

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ١٣١)، وذكره ابن الجوزي في أخبار عمر بن الخطاب ص ١٧٢.

(٢) الحُلَّة ـ بالضم ـ لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد، والجمع حُلَل. المصباح المنير (١/ ١٤٨).

(٣) أخبار عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٦٩.

(٤) خالد بن معدان الكَلاعي الحمصي، أبو عبد الله، ثقة عابد، يرسل كثيراً، مات سنة ١٠٣ هـ. تقريب التهذيب (١/ ٢١٨).

أربعاً، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أَعْظِم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بالليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يَغْنَظ الغَنْظة[1] بين الأيام ـ يعني تأخذه موتة. قال: فجمع عمر ـ رضي الله عنه ـ بينهم وبينه، وقال: اللهمّ! لا تُفَيِّل[2] رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إني كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بالليل. قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها.

قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبَيْب الأنصاري[3] ـ رضي الله عنه ـ بمكة، وقد بضعت[4] قريش لحمه، ثم حملوه على جذع. فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأنّ محمداً ﷺ شِيك بشوكة، ثم نادى يا محمدا! فما ذكرت ذلك اليوم، وتركي نصرته في تلك الحال، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم، إلا ظننت أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لا يغفر لي بذلك

---

(١) الغنط والغناظ: الجهد والكرب الشديد والمشقة. انظر: لسان العرب (٢/ ١٠٢٢)، والنهاية (٣/ ٣٨٩).

(٢) فَيَّلَ رأيه: قَبَّحَهُ وخَطَّأَهُ. لسان العرب (٢/ ١١٥٦).

(٣) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن عوف بن الأوس الأنصاري، شهد بدراً، واستشهد في عهد النبي ﷺ بعد أن صلبه أهل مكة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤١٨).

(٤) شقته وقطعته. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٤).

الذنب أبداً، قال: فتصيبني تلك الغنطة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيّل فراستي[1]. فترى الصحابي الجليل سعيد بن عامر مع فقهه وولايته، يستمع للاعتراضات عليه ويجيب عنها واحدة واحدة، مع نقص المعترضين وشهرتهم بأهل الكويفة الصغرى، وليس في ذلك منقصة له أو لدينه.

وعن عبد العزيز بن عمر[2] قال: لما دفن عمر سليمان، صعد إلى المنبر، فقال: إني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك. فنزل فدخل فأمر بالستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها وإدخالها ـ أو قال: إدخال ثمنها ـ بيت المال، ثم ذهب يتبوّأ مقيلاً، فقال ابنه عبد الملك: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني! قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم. قال: من لك أن تعيش إلى الظهر؟. فخرج ولم يقِل. فأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها[3]، وفي رواية قال: أدن مني أي بني. فدنا منه، فالتزمه وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤٥)، وابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (٦/١٤٨ ـ ١٤٩)، وانظر: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ص ١٥١.

(٢) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المدني، نزيل الكوفة، أخو عبد الملك وعاصم وآدم وإبراهيم أبناء عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ، أمه أم ولد، قال يحيى بن معين وغيره: ثقة، روى له البخاري ومسلم، وقال ابن حجر: (صدوق يخطىء، مات في حدود الخمسين). انظر: تقريب التهذيب (١/ ٥١١)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٣٠٦).

(٣) رواه ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٥.

(٤) رواه ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٦.

الثاني: تأثر الفقيه بموعظة ووصية غيره ليتابع ويثبت عما هو عليه، وليتقوى ويحذر الزلل:

والفقيه العارف بالله يسمع كل نداء يوجهه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، سواء أكان ممن هو أعلم منه أو دونه أو من أقرانه، لحاجته الماسّة إلى كل ما يقربه من الله ـ تعالى ـ ويذكره به.

أرسل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى سعيد بن عامر الجمحي، فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء، تسير بهم إلى أرض العدو، فتجاهد بهم، فقال: يا عمر! لا تفتني. فقال عمر: والله لا أدعكم، جعلتموها في عنقي ثم تخليتم عني، إنما أبعثك على قوم لست بأفضلهم، ولست أبعثك لتضرب أبشارهم، ولا لتهتك أعراضهم، ولكن لتجاهد بهم عدوهم، وتقسم بينهم فيأهم، فقال: اتق الله يا عمر! أحبَّ لأهل الإسلام ما تحب لنفسك، وأقم وجهك وقضاءك لمن استرعاك الله من قريب المسلمين وبعيدهم، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين، فيختلف عليك أمرك وتنزع عن الحق، والزم الأمر ذا الحجة يعنك الله على ما ولاّك، وخض الغمرات[1] إلى الحق حيث علمته، ولا تخش في الله لومة لائم، فقال عمر: ويحك[2] يا سعيد! من يطيق هذا؟ قال: من وضع الله في عنقه مثل الذي وضع في عنقك، إنما عليك أن تأمرَ فيطاعَ أمرُك، وإن يُتْرَك فتكون لك حجة. فقال عمر: إنا سنجعل لك رزقاً. فقال: لقد أُعطيت ما يكفيني دونه، وما أنا بمزداد من مال المسلمين شيئاً[3].

---

(١) واحدتها غَمْرَة، والغمرة الماء الكثير، والمقصود الصعاب الكثيرة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٤).

(٢) ويح كلمة ترحّم وتوجّع لمن تنزل به بلية، وقد تقال بمعنى المدح والتعجب. لسان العرب (٣/ ٩٩٦).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات كما في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٤٧)، (إلا أنه في =

ولما حضر أبا بكر الموت دعا عمر ـ رضي الله عنهما ـ وقال له: اتق الله يا عمر! واعلم أنّ لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة[1]. وخرج أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ وهو عامد إلى فلسطين، يوصيه ويقول: يا عمرو! اتق الله في سرائرك وعلانيتك واستحيه، فإنه يراك ويرى عملك، وقد رأيت تقديمي إياك على من هم أقدم سابقة منك، ومن كان أعظم غنىً عن الإسلام وأهله منك، فكن من عمال الآخرة، وأرد بما تعمل وجه الله، وكن والداً لمن معك، ولا تكشفن الناس عن أستارهم، واكتف بعلانيتهم، وكن مجداً في أمرك، واصدق اللقاء إذا لقيت ولا تجبن، وتقدّم في الغُلُوم[2] وعاقب عليه، وإذا وعظت أصحابك فأوجز، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك[3]. وكتب عمر كتاباً إلى أبي عبيدة بن الجراح عندما ولاه جند خالد ـ رضي الله عنهم ـ: أوصيك بتقوى الله الذي يبقى، ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق لك، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء الغنيمة، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده[4] لهم، وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغمض بصرك عن الدنيا والْهِ قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم[5].

= الجزء المفقود من الطبقات راجع ٤/ ٢٦٩)، وابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٤٧).

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد ص ٣١٩ رواية ٩١٤، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، وهناد في الزهد (١/ ٢٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦).

(٢) الغُلُوم مجاوزة الحد فيما أمروا به من الدين وطاعة الإمام. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٢)، لسان العرب (٢/ ١٠١٠)، تهذيب اللغة (٨/ ١٤٢).

(٣) راد المكان، يرتاده: نظر وطلب أفضله. لسان العرب (١/ ١٢٥٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٥٤).

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لعمر ـ رضي الله عنه ـ: يا أمير المؤمنين! إن سرك أن تلحق بصاحبيك، فاقصر الأمل، وكل دون الشبع، واقصر الإزار، وارفع القميص[1].

الثالث: موقف الفقيه من دعوة المبتدعة:

الفقيه يدرك خطورة الدعوة الفاسدة وضررها على الأمّة أكثر من غيره، فيتصدى لها ـ بقدر خطورتها وفسادها ـ ليحفظ للأمة دينها وعقيدتها، بخلاف غيره الذي ربما لا يدرك أي فساد أو خطر من تلك الدعوة.

يقول عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في أصحاب القدر: يستتابون، فإن تابوا، وإلا نفوا من ديار المسلمين. ويقول ـ رحمه الله ـ: ينبغي لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر، فإن كفوا، وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلالاً. وكتب ـ رحمه الله ـ إلى عامله على البصرة: أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا، فاستتب القدرية مما دخلوا فيه، فإن تابوا فخل سبيلهم، وإلا فانفهم من ديار المسلمين[2].

فلا يمكن أن يتخذ الفقيه من البدعة موقفاً سلبياً، وإلا خذل أمته ودينه، بل عليه أن يبذل ما آتاه الله من علم أو جاه أو سلطان وولاية لقمعها، وإلا اشرأبَّت البدعة.

وقال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكاً، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فسكت مالك مَلِيّاً، حتى علاه الرُّحَضَاء[3]، وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٣٦) رواية ٥٦٨١.
(٢) رواه ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٤.
(٣) الرُّحَضَاء عَرَق يغسل الجلد لكثرته، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض. النهاية في غريب الحديث (٢/٢٠٨).

ينتظرون ما يأمر به، ثم سُرِّيَ عنه فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً. فناداه الرجل: يا أبا عبد الله! والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له[1]. فالعالم الفقيه لا يتهاون في أي دعوة بدعية، بل يتفاعل معها حرصاً منه على دين الله من التبديل والتغيير، ومقياس إيمانه وإخلاصه لهذا الدين يكمن في قدر تحركه للذب عنه، لا في قدر معرفته وإدراكه لخطورة البدعة على الأمة والدين فحسب. فعن نافع ـ مولى ابن عمر ـ[2] أن صَبِيغ بـن عِسْل العراقي[3] جعل يسأل عن أشياء في القرآن في أجناد المسلمين، حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ. فلما أتاه الرسول بالكتاب، فقرأه، فقال: أين الرجل؟ أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة. فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة. فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها، حتى ترك ظهره دَبَرة[4]. ثم تركه حتى برىء، ثم عاد له، ثم تركه حتى برىء، فدعا به ليعود له. قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئت. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن لا يجالسه أحد من المسلمين. فاشتدّ ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى

---

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٦، ١٤٤)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (١/ ١٧٠)، مالك لأبي زهرة ص ١٦٥.

(٢) أبو عبد الله المدني، مولى ابن عمر، ثقة ثبت فقيه، مات سنة ١١٧ هـ. تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٦).

(٣) صبيغ بن شريك من بني عسيل بن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري. تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٨٦).

(٤) الدَّبَرَة بالتحريك قرحة الدابة والبعير، والجمع دَبَر وأدْبار، ودَبِر البعير، بالكسر، يدبر دَبَرا، فهو دَبِر وأدْبَر. انظر: لسان العرب (١/ ٩٤٢).

إلى عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن قد حسنت توبته، فكتب عمر: أن يأذن للناس بمجالسته[1].

وفي رواية قال أبو عثمان النهدي[2]: فلو جاءنا ونحن مائة تفرقنا عنه.

وقال زرعة[3]: رأيت صبيغاً كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلقة، ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون عنه.

ويقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: (حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ)[4].

---

(١) رواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ١/ ٥١)، وابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧)، وانظر: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٤٦ ـ ١٤٨، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٩٨).

(٢) عبد الرحمن بن ملّ ـ بتثليث الميم ـ، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥ هـ، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩).

(٣) أبو عبد الرحمن زرعة بن عبد الرحمن الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، مقبول، روى له أبو داود حديثاً واحداً. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٦)، التقريب (١/ ٢٦٠).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩).

الفصل الثاني
آثار التفقه على الداعية

المبحث الأول: قدرة الداعية على استيعاب المدعو.

المبحث الثاني: وقاية الداعية العثرات.

المبحث الثالث: التخطيط والاستمرارية والثبات.

المبحث الأول
قدرة الداعية على استيعاب المدعو

الاستيعاب لغة: الوَعْبُ، وهو إيعابك الشيء في الشيء، كأنه يأتي عليه كله، ووعب الشيء وعباً، وأوعبه، واستوعبه: أخذه أجمع، واستوعب المكان: وسعه، والاستيعاب الاستقصاء في كل شيء[1].

وأما في البحث فأعني بالاستيعاب القدرة على أسر قلوب المدعوين واجتذابهم إلى الدعوة على اختلاف عقولهم وأمزجتهم وثقافاتهم ومشاربهم وطبقاتهم الاجتماعية، وينبغي على الداعية أن يكون قادراً على استيعاب المدعوين كمّاً وكيفاً، كي يكون ناجحاً في عمله الدعوي.

أهمية الاستيعاب في الدعوة:

الداعية الناجح هو القادر على الإيغال في نفوس المدعوين، ومعرفة الوسيلة الأمثل لسوقهم إلى تطبيق شرع الله في حياتهم، ولا شك أنّ هذا يحتاج إلى علم راسخ ومهارة شخصية وخبرة وتجربة. وهذه القدرة على الاستيعاب تختلف من داعية إلى آخر، إلا أن كل داعية لا بدّ أن يتمتع بحد أدنى من القدرة على استيعاب المدعوين، وإلا كان منفِّراً عن دين الله ـ

---

(١) انظر لسان العرب (٣/ ٩٥٠).

تعالى ـ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ «دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً[2] من ماء ـ أو ذنوباً[3] من ماء ـ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الجهاد والسير ـ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩)، ورواه عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد والسير ـ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨) إلا أنه قال: «وسَكِّنُوا» بدل «وبشِّروا»، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في كراهية المراء ٥/ ١٧٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٩ ـ ٤١٢ ـ ٤١٧)، ورواه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ «علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت» أحمد في مسنده (١/ ٢٣٩ ـ ٢٨٣ ـ ٣٦٥)، قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف، مجمع الزوائد (١/ ١٣١).

(٢) السَّجل الدلو العظيمة، وبعضهم يزيد إذا كانت مملوءة. المصباح المنير (١/ ٢٦٧).

(٣) الذَّنُوب الدَّلو العظيمة، ولا تسمى ذَنوباً حتى تكون مملوءة ماء. المصباح المنير (١/ ٢١٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الوضوء ـ باب صب الماء على البول في المسجد ١/ ٣٢٣)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا» ١٠/ ٥٢٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب الطهارة ـ باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧)، وأبو داود في سننه (كتاب الطهارة ـ باب الأرض يصيبها البول ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، والترمذي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب (١١٢) ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧)، والنسائي في سننه (كتاب المياه ـ باب التوقيت في الماء ١/ ١٧٥)، وابن ماجة في سننه (كتاب الطهارة ـ باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١/ ١٧٦)، ومالك في الموطأ (كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في البول قائماً وغيره ١/ ٦٤ ـ ٦٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٨٢ ـ ٥٠٣)، ورواه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أحمد في مسنده (٣/ ١١٠ ـ ١١٤ ـ ١٦٧ ـ ١٩١ ـ ٢٢٦).

وإذا فقد الداعية الحد الأدنى من القدرة على استيعاب الناس ـ بأن كان منفراً عن دين الله ـ أضر بالدعوة وأهلها، وهدم ما بناه غيره.

فمهما كان حال المدعو في قوّة أو سلطان أو ضعف أو فقر أو غنى أو صحة أو مرض أو كفر أو معصية أو إيمان يستطيع الداعية بفقهه ومهارته أن يستوعبه في دعوته وأن يصل إلى أعماق نفسه. صلّى الحجاج[1] مرة بجنب سعيد بن المسيب[2] ـ قبل أن يلي شيئاً من أمور المسلمين ـ فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلَّم أخذ سعيد بطرف ردائه، وبقي يقول الذكر بعد الصلاة، والحجاج ما زال ينازعه رداءه، حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤدبه بالكلام، فلم يقل له الحجاج شيئاً حتى صار نائباً على الحجاز، وعندما أتى المدينة نائباً عليها دخل المسجد، وقصد مجلس سعيد بن المسيب، حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده، وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى[3]. فما كان سعيد بن المسيب ليستطيع أن يستوعب الحجاج على قوته وجبروته باللين وخفض الجناح، بل ـ على العكس من ذلك ـ أظهر له عزة العلم والعلماء، فأَخَذَ بطرف ردائه وأنَّبَهُ وضَرَبَهُ على صدره، فانزجر وامتثل.

وكلما كانت الدعوة غنية بالدعاة القادرين على اجتذاب الناس إلى الإسلام، كانت أقدر على تحقيق أهدافها ومقاصدها، وبالمقابل كلما كانت

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولي العراق والمشرق عشرين سنة، وتوفي سنة ٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٣٤٣).

(٢) سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب القرشي المخزومي، سيد التابعين في زمانه، إمام ثبت، وعالم أهل المدينة، اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل، توفي سنة ٩٤ هـ، وله ٧٥ سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢١٧ ـ ٢٤٦)، وتقريب التهذيب (١/٣٠٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٩/١١٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢٢٦).

الدعوة فقيرة بالدعاة القادرين على استيعاب من حولهم، كلما كانت دعوتهم عقيمة، وغير قادرة على الانتشار والتأثير في حياة الناس[1].

وطبيعة الدعوة الإسلامية التي تتسم بالعالمية والشمولية تجعل عبء نشر الدعوة في جميع أرجاء الأرض على عاتق الدعاة، فكما أنّ الداعية مكلف باستيعاب المدعوين بأسلوبه ومنهجه، عليه أن يخطط لدعوة تستوعب أكثر كمٍّ من الناس، بحيث لا يكتفي بعشيرته وقومه ومن يعيشون حوله، بل يبحث ويدرس إمكانية وصول الدعوة لكل من لم تبلغه، وهو قادر على إبلاغه، وكم من داعية عاش في إطار الدعوة وأجوائها، ونهل منها دون أن ينقل أجواءها ومبادءها إلى خارج بيئته خطوة واحدة، ولو كانت دعوة الإسلام كذلك، لما خرج الإسلام من مكة والمدينة، ولظل متقوقعاً في جزيرة العرب.

وأضعف من ذلك كله أن يعجز الداعية عن استيعاب الدعاة العاملين في حقل الدعوة على مختلف مناهجهم ومشاربهم، ظنّاً منه أنّ الاستيعاب وتأليف القلوب خاص بالعامة دون الخاصة من الدعاة، بل إن نجاح الدعوة والداعية مرتبط بامتلاك الداعية زمام المجالين والتفوق في المحيطين معاً. والمخالف من الدعاة أولى الناس بأخذ المبادرة في استيعابه وتأليف قلبه، لقدرته على التأثير في الأمة، لا سيما إن كانت دعوته لها وجه، ولها أتباعها، إلا أن يكون ممن يبث السموم في الأمّة، فلا بد من اتخاذ ما يلزم ليُحفظ للأمة دينُها، فإن آخر الدواء الكي.

أهمية الفقه في الدين لاستيعاب المدعوين[2]:

ولا شك أن حمل الدعوة إلى الناس، وجعلهم يؤمنون بها، ويثقون

---

(١) انظر الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ٩ ـ ١٤.

(٢) انظر: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ١٦ ـ ٢٢.

ويتأثرون بالداعية، ومن ثم يلتحقون ويعملون ويجاهدون ويضحون، عملية صعبة وشاقة، تحتاج إلى قدرات ومتطلبات، من توفرت فيه كان داعية موفقاً وناجحاً وقادراً على استيعاب الناس واستقطابهم إلى رحى الإسلام والدعوة، وأهم هذه المتطلبات الفقه في الدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ: ٦].

فلا يمكن أن يستوعب الداعية الناس في الإسلام وهو جاهل بمبادىء الإسلام وأصوله وقواعده وأحكامه وتشريعاته وحلاله وحرامه، فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

والداعية المتصدر للدعوة معرض لطلب حكم الشرع في كثير من أمور الناس، فإن كان جاهلاً في دين الله، فإما أن يفتي بغير علم، وإما أن يظهر جهالاً في دعوته أمام المدعوين، وفي كلتا الحالتين تسقط دعوته، وتضيع هيبته، ويصبح موقفه الدعوي ضعيفاً جداً، ويضمحل تأثيره في الناس.

وعندما نتكلم عن الفقه في الدين الذي يحتاجه الداعية في دعوته، فإننا لا نتكلم عن فقه المسائل فحسب، بل نتكلم عن كل فهم للدين يقرب المرء من ربّه، ويدفعه إلى العمل الصالح وإتقانه، ودعوة غيره إلى ما يحب ربّنا ويرضى.

والفقه في الدين والمعرفة العامة لدين الله تمكنان الداعية من مخاطبة الناس على قدر عقولهم، بعد معرفة عقولهم وملامسة قلوبهم وما يخالجها ويساورها، والداعية الذي لا يملك ما يفتح به القلوب والعقول، لن يتمكن من اجتذاب أصحابها واستيعابهم.

فعن أبي يوسف قال: كان لأبي حنيفة جار، وكان يشرب الخمر في الحانة، ثم يرجع الليل يتغنى، ويقول:

أضـاعـونـي وأي فتـى أضـاعـوا   ليـوم كـريهـة وسـداد ثغر
كـأنـي لـم أكـن فيهـم وسيطـاً   ولم تـك نسبتي في آل عمـرو
أُجَـرَّر فـي المجـامـع كـل يـوم   فيـا للّه من ظلمـي وصبـري

قال: فرجع ذات ليلة فأخذه الطائف[1] فحبسه، فَفَقَدَ أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل له: حبسه الطائف. فتكلم فيه أبو حنيفة حتى أطلق. ثم قال له: يا فتى! رأيتنا أضعناك؟ وفي رواية: فصار أبو حنيفة إلى الوالي يشفع فيه، وقال له: جاري، وله حق الجوار، وقد أخذه العسس[2]، قال: فما اسمه؟ قال: لا أعلم غير أنه إسكافي، فقال الوالي: أطلقوا لأبي حنيفة كل من أخذ الليلة[3].

بهذا الفهم الراسخ لدين الله، والأسلوب السمح، يستطيع الداعية الوصول إلى قلوب العامة، بإظهار حنوه عليهم ورحمته بهم، وما الدعوة إلا رحمة بعباد الله، لإنقاذهم من عذاب الله ونقمته.

الفقه المطلوب في استيعاب الأمّة:

١ ـ التحصن بالعلم الشرعي المدعم بنصوص من الكتاب والسنّة وأقوال السلف والأئمة والفقهاء، وبمعرفة مسائل الحلال والحرام، وبما أمر الله به وما نهى عنه، لأنه مادة الدعوة وموضوعها. ويتولد عنصر الثقة عندما يقنع الداعية من أمامه ـ بفقهه وعلمه وتقواه وتخشعه ـ أنه أهل لما هو بصدده من العمل الدعوي، وهذا له تأثير جم في نفوس المدعوين، وإلا نفر

---

(١) لا يكون الطائف إلا ليلاً ولا يكون نهاراً. لسان العرب (٢/ ٦٢٦).
(٢) عسَّ يَعُسُّ عَساً وعسّاً، أي طاف بالليل يحرس الناس، ويكشف أهل الريبة، والعَسَس اسم للجمع، وليس بتكسير، وقيل عسس جمع عاسّ. انظر: لسان العرب (٢/ ٧٧٥).
(٣) رواه الصيمري في أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٤٠ ـ ٤١.

الناس عن الله من أجله، وليس هذا من الرياء في شيء، فإن المؤمن لا يعمل العمل الصالح إلا لله ـ عزّ وجلّ ـ، والحرص على مصالح الدعوة مما يتقرب به العبد إلى ربه، ومن مصلحة الدعوة مراعاة تجنب مواطن التهمة والمظنة، وكل مايضعف الثقة في الداعية وفي دينه، فعن صفية بنت حيي[1] ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدّثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني[2]، ـ وكان سكناها في دار أسامة بن زيد[3] ـ فمرّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رِسْلِكُما[4]، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً ـ أو قال: شيئاً ـ»[5].

---

(١) صفية بنت حيي بن أخطب، الإسرائيلية، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر، وماتت سنة ٣٦ هـ، وقيل في ولاية معاوية، وهو الصحيح. تقريب التهذيب (٦٠٣/٢).

(٢) قَلَبَ المعلم الصبيان، يَقْلِبُهُم: أرسلهم، ورَجَعَهُم إلى منازلهم. لسان العرب (١٤٤/٣).

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة ٥٤ هـ، وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة. تقريب التهذيب (٥٣/١).

(٤) الرِّسل والرِّسلة: الرفق والتؤدة. لسان العرب (١/ ١١٦٥).

(٥) رواه البخراي في صحيحه (كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧)، وأيضاً في (كتاب الأحكام ـ باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم ١٥٨/١٣ ـ ١٥٩)، وأيضاً في (كتاب الاعتكاف ـ باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ٤/ ٢٨١)، وأيضاً في (كتاب الاعتكاف ـ باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه ٤/ ٢٨٢)، ورواه مسلم في صحيحه (كتاب السلام ـ باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجة أو محرماً له، أن يقول: هذه فلانة ٤/ ١٧١٢)، ورواه أبو داود في سننه (كتاب الصوم ـ باب المعتكف يدخل بيته لحاجته ٢/ ٨٣٤ ـ ٨٣٥)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب في حسن الظن ٥/ ٢٦٧)، وابن ماجة في سننه (كتاب الصيام ـ باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد ١/ ٥٦٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٣٧).

قال ابن حجر: فمراعاة نفي التهمة عنه ﷺ مع عصمته، تقتضي مراعاة نفي التهمة عمن هو دونه[(١)].

٢ ـ الحرص على توحيد صف الدعاة إلى الله، وتقريب الشقة وإزالة الجفوة بينهم، باتباع المنهج الوسط، الذي يتجلى فيه التوازن والاعتدال بعيداً عن الغلو في الدين والإفراط والتفريط، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فأمرنا الله بالجماعة، ونهانا عن الاختلاف والتفرق والخصومة في الدين، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، ثمّ خطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلاّ عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(٢)].

فالصراط المستقيم هو الخط الوسط المعتدل بين الخطوط الأخرى عن اليمين وعن الشمال، وقد حذر النبي ﷺ من التنطع والغلو في الدين، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثاً[(٣)].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٦٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥ ـ ٤٦٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، المسند بتحقيق أحمد شاكر (٦/ ٨٩) حديث ٤١٤٢، ورواه الدارمي في سننه (المقدمة ـ باب في كراهية أخذ الرأي ١/ ٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٨)، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب العلم ـ باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٤/ ٢٠٥٥)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة ٥/ ١٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٦).

٣ ـ الاطلاع على فقه الخلاف، وأدلّة الفقهاء، وأسباب الخلاف، يعطيه القدرة على التسامح وإعذار الآخرين فيما يخالفونه فيه، إن كان مما تحتمله النصوص، أو كان من الخلاف المعتبر والمعتد به عند الأئمة الفقهاء.

أما من كان لا يعلم إلا رأياً واحداً أو مذهباً وطريقةً واحدةً، صعب عليه أن يعذر الآخرين أو أن يستوعبهم في دعوته، بل ربما نفر منهم ونفروا منه، وهذه آفة من آفات التقليد الأعمى، الذي لا يستند إلى الدليل الشرعي من الكتاب أو السنّة، فيظن المقلد أن قول الإمام دين يدين به الله ـ تعالى ـ، لا يحتمل إلا أن يكون صواباً، وأن المخالف له لا بدّ أن يكون مخطئاً، مما يولد ضيقاً في أفق الداعية، وعدم القدرة على استيعاب الآخرين، وتأليف قلوبهم على الحق، بل على العكس من ذلك، فإنه يفرِّق الكلمة، ويصدِّع الصف، ويشتِّت الشمل، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (إن الله ـ سبحانه ـ ذمّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً بقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم، بخلاف أهل العلم، فإنهم وإن اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعاً، بل شيعة واحدة متفقة على طلب الحق، وإيثاره عند ظهوره، وتقديمه على كل ما سواه، فهم طائفة واحدة اتفقت مقاصدهم وطريقهم، فالطريق واحد، والقصد واحد، والمقلدون بالعكس، مقاصدهم شتى، وطرقهم مختلفة، فليسوا مع الأئمّة في القصد ولا في الطريق)[1].

٤ ـ التركيز على المحكمات لا المتشابهات في العمل الدعوي، فإن ذلك يعين على الاجتماع والائتلاف واستيعاب المدعوين، ويبعد عن الفرقة والاختلاف، لأن المحكمات هنّ أم الكتاب ومعظمه، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

(١) رسالة التقليد لابن القيم ص ٦٠.

﴿ قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

واتباع المحكمات، واتخاذها أصلاً وقاعدة في التفكير والسلوك من شأن الراسخين في العلم، واتباع المتشابهات من شأن الذين في قلوبهم زيغ[١]، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض! بهذا هلكت الأمم قبلكم»[٣].

---

(١) انظر: الصحوة الإسلامية «بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» للقرضاوي ص ٦٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران باب (١) ٨/ ٢٠٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب العلم ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن ٤/ ٢٠٥٣)، والترمذي في سننه (كتاب تفسير القرآن ـ باب من سورة آل عمران ٥/ ٢٢٣)، والدارمي في سننه (المقدمة ـ باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ١/ ٥١).

(٣) رواه ابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب القدر ١/ ٣٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٨ ـ ١٩٦)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، تحقيق المسند لأحمد شاكر (١٠/ ١٥٣) حديث ٦٦٦٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٢١)، وقال: حسن صحيح، ورواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الترمذي في سننه (كتاب القدر ـ باب =

فإذا تركت المحكمات وبحثت المتشابهات أمام العوام وأنصاف المتعلمين فتح باب المراء والاختصام، والخوض فيما نهي عن الخوض فيه كالقدر وذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكيفية الاستواء على العرش والنزول. ولما خاض الفلاسفة والمتكلمون فيما لا ينبغي الخوض فيه، وأعملوا عقولهم في كثير من قضايا الغيب، توصلوا إلى نتائج خاطئة بل مكفرة، وتفرقوا بحسب أقوالهم إلى فرق وأحزاب، فمنهم من عطل أسماء الباري كغلاة الجهمية والقرامطة، ومنهم من أولها كالأشاعرة، ومنهم من قال بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً، بل لم يزل ولا يزال كالفلاسفة[1].

٥ ـ من فقه الداعية أن يعيش مع المدعوين على أرض الواقع بفكره وجهده وفقهه ودعوته، ليحل لهم مشاكلهم على هدى من دين ربهم. بهذا الفقه يستطيع الداعية أن يستوعب المدعوين في فلك دعوته، لأن الناس ـ في هذه الأزمنة ـ شغلتهم همومهم التي كثرت، وأعباء الحياة التي ازدادت تعقيداً عن ذي قبل، فلا يلتفتون إلا لمن يبحث قضاياهم، فعلى الداعية أن يضطلع بفقه الواقع، وأن لا يسبح في بحر الخيال، أو يعيش في مشاكل العصور الغابرة وقضاياها، فينشغل بتقديم الحلول العقدية والفكرية والمنهجية والسلوكية لها، فإن ذلك لا ينفع أمته وحاضره وواقعه. إنّ أمتنا تعاني من مشاكل كثيرة كوهن العقيدة، وتعطيل الشريعة، وانهيار الأخلاق، وإضاعة الصلوات، ومنع الزكوات، واتباع الشهوات، وشيوع الفاحشة، وانتشار الرشوة، وخراب الذمم، وسوء الإدارة، وهدر الأموال، وترك الفرائض، وارتكاب المحرمات، وموالاة أعداء الله ورسوله ﷺ، فمن فقه الداعية أن

= ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ٤/٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٣).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٤٣.

ينشغل بحال أمّته، ويركز في دراسته على واقع أمته، وعلى أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات، ثم يقدم لأمته الحل الواقعي الأمثل القابل للتطبيق، من خلال فقه شرعي قائم على فهم صحيح لنصوص الكتاب والسنّة(١).

٦ ــ إننا في عصر تكاثرت فيه الآراء والفلسفات والاتجاهات، وتشعبت فيه العلوم والمعارف، وعظم افتتان الناس بالتقدم العلمي والمعارف التقنية، وتكَوَّن لدى الناس من جراء ذلك كثير من الشبه والأوهام، لبعدهم عن كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ مع كثرة علومهم الدنيوية، مما ألقى عبأً ثقيلاً على عاتق الداعية، وجعل مهمته في استيعاب الناس أشد صعوبة.

فمن الفقه في الدين أن يتزود الداعية بالثقافات والمعارف والعلوم المختلفة، التي تساعده على اجتذاب الناس على مختلف ميولهم وثقافاتهم، وإقناعهم واستنقاذهم من براثن الفكر والتصور الخاطىء الذي يحملونه. فعملية اقتحام عقول الناس ونفوسهم، وحل مشكلاتهم العقلية والنفسية تحتاج إلى ثقافة عريضة ومهارة جمّة، والداعية بحاجة ماسّة إلى النصيب الأكبر منها في عمله الدعوي والاستيعابي(٢). والناس ـ غالباً ـ لا يثقون فيمن يظهر ساذجاً أمام ثقافات العصر وعلومه، بل ربما نظروا إليه نظرة دونية، وشعروا أنه ليس أهلاً لإرشادهم لخيري دنياهم وأُخراهم، لأنهم أعلم منه وأدرى بما يضرهم وينفعهم.

٧ ــ التفقه بفقه الموازنات وفقه الأولويات، لأن هذا الفقه من طبيعة الفطرة الإنسانية التي جبلها الله عليها. ومحاولة جذب الناس إلى المهم قبل الأهم، وأمرهم بترك المكروه قبل المحرم، وفعل المستحب قبل الواجب،

---

(١) انظر: فقه الواقع ص ٢٨ ـ ٣٣ وأولويات الحركة الإسلامية ص ٣٠.
(٢) انظر: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ١٩.

يجعل الدعوة تتعثر، ولا تقع في نفوس المدعوين موقعاً مؤثراً، كأمر من يزني بغض البصر، ومن لا يزكي بالصدقة، ومن لا يصوم رمضان بصيام يوم عرفة، ونهي من يشرب الخمر عن الشرب قائماً، ومن يأكل الخنزير عن الأكل باليسار، ومن يلبس الحرير عن الإسبال، وهذا مخالف للأسلوب القويم بالتدرج في الدعوة إلى الله، فمن فقه الأولويات مراعاة درجات التكاليف الشرعية أثناء ممارسة العمل الدعوي، بتقديم الأصول على الفروع، والواجبات على المستحبات، والمحرمات على المكروهات، والضروريات[1] على الحاجيات[2]، والحاجيات على التحسينات[3]، وقد فرقت النصوص بين المطلوبات الشرعية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٠]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[4].

---

(١) الضروريات: الأحكام التي قصد الشارع بها حماية الأصول الخمسة والمحافظة عليها، وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال، كحدود الردة والقصاص وشرب الخمر والزنى والسرقة، وكل ما يفوت الأصول الخمسة ـ وفق الشرع ـ مفسدة، ودفع ذلك مصلحة. انظر أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٤٦.

(٢) الحاجيات التي يكون الحكم الشرعي فيها لا لحماية أصل من الأصول الخمسة، بل يقصد فيه دفع المشقة أو الحرج أو الاحتياط لهذه الأمور الخمسة، كتحريم بيع الخمر وتحريم النظر للأجنبية، وإباحة العقود الشرعية كالمزارعة والمساقاة والمرابحة والسلم. المصدر السابق ص٣٤٨.

(٣) التحسينات أي الكماليات، والتي لا تحقق أصلاً من الأصول الخمسة، ولا الاحتياط لها، ولكنها تحفظ الكرامة والمهابة، كالحماية من الدعاوى الباطلة والسب، مما لا يمس أصل الحياة، ولا حاجة من حاجياتها، ولكن يمس كمالها. المصدر السابق ص ٣٤٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب أمور الإيمان ١/ ٥١) دون قوله ﷺ =

وفقه الموازنات هو[1]:

أ ـ الموازنة بين المصالح بعضها وبعض، من حيث حجمها وعمقها وتأثيرها وبقاؤها ودوامها، وأيها ينبغي أن يقدم ويعتبر، وأيها ينبغي أن يؤخر أو يسقط ويلغى، ودليل ذلك من القرآن قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝٩٤﴾ [طه: ٩٤]، فهارون ـ عليه السلام ـ لم يحكم في بني إسرائيل لما عبدوا العجل، تقديماً لمصلحة قدوم موسى ـ عليه السلام ـ ليحكم بينهم، على مصلحة تعجيل صدور الحكم منه ـ عليه السلام ـ، كما خشي أن يكون حكمه في بني إسرائيل مفرقاً لهم في نظر موسى ـ عليه السلام ـ، فقدم مصلحة انتظار موسى ـ عليه السلام ـ، وكذلك تقديم إنقاذ الغرقى على أداء الصلاة، لأن إنقاذ الغرقى المعصومين أفضل عند الله من الصلاة[2]، وهذا عين فقه الموازنات بين المصالح.

ب ـ الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض، من تلك الحيثية التي ذكرناها في شأن المصالح، وأيها يجب تقديمه، وأيها يجب تأخيره أو إسقاطه، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف: ٧٩]، فقدم

= «أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وأخرجه ـ كاملاً ـ مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١/ ٦٣)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب في رد الإرجاء ٥/ ٥٦)، والترمذي في سننه (كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ٥/ ١٠)، والنسائي في سننه (كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب ذكر شعب الإيمان ٨/ ١١٠)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب في الإيمان ١/ ٢٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٩ ـ ٤٤٥).

(١) انظر: أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٤٤ ـ ٣٥٦، أولويات الحركة الإسلامية ص ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٥١.

الخضر ـ عليه السلام ـ أخف المفسدتين لدفع أشد الضررين، حيث قدم مفسدة إغراق السفينة على ضرر غصب الملك للسفينة وضياعها بالكلية.

ج ـ **الموازنة بين المصالح والمفاسد**، إذا تعارضتا، بحيث يعرف متى يقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى تغتفر المفسدة الأصغر من أجل تحقيق مصلحة أعظم، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فتعارضت مصلحة المنفعة المادية العاجلة مع الإثم العظيم بتعاطي الخمر والميسر، فقدم التحريم.

فإذا تعارضت المفاسد والمضار، ولم يكن بد من بعضها، فمن المقرّر أن يرتكب أخف المفسدتين، وأهون الضررين، كأكل المضطر الخنزير أو الميتة خوفاً على نفسه من الهلاك، فالميتة والخنزير حرم أكلهما لما فيهما من الضرر، ولكن ضرر الموت أشدّ من ضرر الأكل، لذا وجب الأكل إن كان في تركه موته.

فالضرر يزال بقدر الإمكان، ولكن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه، ويتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، ودفع الضرر مقدم على جلب المنفعة.

وإذا تعارضت المصالح والمفاسد، أو المنافع والمضار، ينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة، وأثرها ومداها، فتغفر المفسدة اليسيرة لجلب المصلحة الكبيرة، وتغفر المفسدة المؤقتة لجلب المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى، وتقبل المفسدة وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدي إلى مفسدة أكبر منها، كأن يترك نهي شخص عن شرب الخمر لأنه يعلم أنه سيقتله إن فعل ذلك، وهذه مفسدة أعظم.

فبفقه الموازنات يضع الداعية كل شيء في موضعه، فلا يقدم ما حقه

التأخير، ولا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير، وكل ذلك من مقتضيات الحكمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ.

المبحث الثاني
وقاية الداعية العثرات والزلّات

العثرات جمع عثرة، والعثْرة الزَّلَّة، ويقال: عثر به فرسه فسقط، وتعثر لسانه: تلعثم، والعثرة: المرة من العِثَار في المشي، وفي الحديث: «لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة»[1]، أي لا يحصل له الحلم

(١) رواه ـ عن أبي سعيد الخدري ـ الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التجارب ٤/ ٣٧٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٦٩)، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٤)، وقال: غريب من حديث عمرو بن الحارث، لم يروه عنه إلا عبد الله بن وهب، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٩٦ حديث ٥٦٥، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (كتاب البر والصلة ـ باب لا حليم إلا ذو عثرة ١/ ٢٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٣) وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي في التلخيص، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٧)، قال ابن الجوزي: قال الدارقطني: تفرد به درَّاج عن أبي الهيثم، وتفرد عمرو بن الحارث عن دراج، وتفرد عبد الله بن وهب عن عمرو، وقال أحمد: أحاديث درَّاج مناكير، وقال أبو حاتم الرازي: هو ضعيف، انظر: العلل المتناهية (١/ ٥٤). قال ابن حجر: درَّاج بن سمعان، أبو السمح، صدوق، وفي حديثه عن أبي الهيثم ضعف، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٥). ورواه عبيد الله بن زحر عن أبي الهيثم عن أبي سعيد موقوفاً في الأدب المفرد. وعبيد الله بن زَحْر الضمري: صدوق يخطىء، انظر تقريب التهذيب (١/ ٥٣٣). والحديث رمز له السيوطي بالصحة في جامعه الصغير (٢/ ٢٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٢٢٧.

ويوصف به حتى يركب الأمور، وتنخرق عليه ويعثر فيها، فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها، ويدل عليه قوله بعده: «ولا حكيم إلا ذو تجربة»[1].

وزلات جمع زلة، تقول: زَلَلْتَ يا فلان تَزِل زَلِيلا، إذا زلّ في طين أو منطق، ويقال: زل في رأيه: أخطأ، وزلّ عن مكانه: تنحى عنه[2].

والداعية قد يتعثر في رأيه أو دعوته، وقد تزل قدمه لأنه بشر، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون»[3]، فليس البحث حول من عرض له الخطأ في دعوته ثم صححه، ولكنه يدور حول من كان الخطأ والزلل في منهجه وصميم دعوته لعدم فقهه وجهله بدينه.

---

(١) انظر لسان العرب (٢/ ٦٨٤).

(٢) انظر الصحاح (٤/ ١٧١٧)، والمعجم الوسيط (٢/ ٣٩٨).

(٣) رواه الترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب (٤٩) ٤/ ٦٥٩)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠)، والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب في التوبة ٢/ ٢١٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٦٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٤) وصححه، وقال الذهبي: بل فيه لين، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، ورمز له السيوطي بالصحة، وصححه المناوي وقال: قال العراقي: فيه علي بن مسعدة، ضعفه البخاري، لكن انتصر ابن القطان لتصحيح الحاكم، وقال المناوي: ابن مسعدة صالح الحديث، وغرابته إنما فيما انفرد به عن قتادة. انظر: الجامع الصغير (٢/ ٩٢)، وفيض القدير (٥/ ١٧). وقال الذهبي: علي بن مسعدة الباهلي البصري، قال البخاري: فيه نظر، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وقال ابن معين: صالح، وقال النسائي: ليس بالقوي. ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٦). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٥)، وصحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٤١٨). ومدار الحديث على علي بن مسعدة الباهلي، أبو حبيب البصري، وهو صدوق له أوهام. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٤٤).

وقد شاعت ظاهرة انفصال الفقه عن الفكر الدعوي في أزماننا المتأخرة، فتكونت شريحة كبيرة من الشباب الدعاة ـ لا يستهان بها ـ تجهل أحكام الدين، وتدعو إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ على غير بصيرة، مع حماس وإخلاص وإقدام، وظن كثير منهم أنهم في غنية عن فقه العلماء وحكمة الشيوخ، ونظروا إلى الفقهاء المعاصرين نظرة ازدراء نابعة من عدم الثقة في دينهم أوفقههم، مما جعلهم يتعثرون في دعوتهم، ويزلون زلات تلحق الضرر البالغ بالدعوة الإسلامية وأهلها، فكما أصبحنا نرى في الأمة من العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية المتنوعة لا يحسنون الدعوة ولا يفقهونها، أو لا يبذلون لها ما تحتاجه من الجهد والوقت، نرى أيضاً كثيراً من العاملين في صفوف الدعاة يبذلون للدعوة كل ما يستطيعون من أوقاتهم وجهدهم وأموالهم، ومع ذلك يدعون إلى الله على جهل، ويعملون على غير بصيرة. حتى ظهرت تسميات لعلماء الأمة والعاملين فيها، تقسمهم إلى طبقتين متباعدتين: طبقة العلماء والفقهاء من جهة، وطبقة المفكرين والدعاة من جهة أخرى، وأحدث ذلك خللاً كبيراً في المفاهيم والتصورات، وخروجاً عن الأحكام الشرعية، وانحرافاً عن الصراط المستقيم، وأوقع الدعاة في تناقضات غريبة، وجرهم إلى مواقف عجيبة في كثير من الأحيان[1].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز:

(والشباب في أي أمّة من الأمم هم العمود الفقري الذي يشكل عنصر الحركة والحيوية، إذ لديهم الطاقة المنتجة، والعطاء المتجدد، ولم تنهض أمة من الأمم ـ غالباً ـ إلا على شبابها الواعي وحماسته المتجددة، إلا أن اندفاع الشباب لا بدّ أن تسايره حكمة من الشيوخ، ونظرة من تجاربهم

---

(١) انظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٣٥٦، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٩٢.

وأفكارهم، ولا يستغني أحد الطرفين عن الآخر، وإن أمة الإسلام، وهي أمة الرسالة الباقية، وذات الصدارة بين الأمم، عندما أكرمها الله ـ عزّ وجلّ ـ بهذا الدين وببعثة سيد المرسلين محمد ﷺ، كان للشباب فيها مكان بارز في ركب الدعوة المباركة، كما كان للشيوخ مكان الصدارة والتوجيه والمؤازرة، فانطلق الجميع بقيادة محمد بن عبد الله ﷺ يؤسسون دولة الإسلام الأولى، والتي امتدت إلى آفاق بعيدة، ورفرفت راية الإسلام عالية فوق المعمورة، في عصور الإسلام المختلفة التي كان الشباب فيها في الطليعة يذودون عن حياض الإسلام، ويدافعون عن ديار المسلمين، باليد واللسان، علماً وعملاً)[1].

أهمية الفقه في وقاية الداعية العثرات:

١ ــ الفقه يقي الداعية التقول على الله ورسوله ﷺ بغير علم، فكم من معرض عن أهل العلم أخذ ينهل من الكتب دون إرشاد أو توجيه، فكان كحاطب ليل، وربما فهم النصوص الشرعية على غير وجهها، أو لم يميز بين الغث والسمين، وبين الصحيح والضعيف، وبين الراجح والمرجوح، فمن لم يتعرف على أصول العلوم ومناهج أهل العلم يتخبط في دعوته، فربما قيد المطلق[2] أو أطلق المقيد[3]، أو خصص العام[4] أو عمم الخاص[5]، أو

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/ ٣٦٤).

(٢) المطلق: اللفظ الذي يدل على موضوعه من غير نظر إلى الوحدة أو الجمع أو الوصف، بل يدل على الماهية من حيث هي، كالرقبة في قوله ـ تعالى: ﴿فك رقبة﴾ [البلد: ١٣]. أصول الفقه لأبي زهرة ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) المقيد: ما يدل على الماهية مقيدة بوصف أوحال أو غاية أو شرط أو بعبارة عامة مقيدة بأي قيد من القيود من غير ملاحظة عدد. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢]، وهذا مثال القيد بوصف. المصدر السابق ص ١٥٨.

(٤) العام: اللفظ الدال على كثيرين، المستغرق في دلالته لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، لا اشتراك فيه. المصدر السابق ص ١٤٥.

(٥) الخاص: اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الإفراد. المصدر السابق ص ١٤٦.

نسخ المحكم[١]، أو أعمل المنسوخ[٢]، وربما احتجّ بالموضوعات وردّ الصحيح المتفق على صحته لهوى النفس، بل ربما استشهد بالإسرائيليات والمنامات والقصص والحكايات، فيؤول به الأمر إلى ترويج البدعة ورفض السنّة، وخطر أمثال هؤلاء عظيم وجسيم، لأنهم دعاة يتعدى باطلهم إلى غيرهم، ومن هنا جاء التنبيه والتحذير من خطأ القدوة والأسوة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ ﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣٢]، فزوجات النبي ﷺ قدوة يحتذى بهنّ، وأخطاؤهنّ تزل بها الأمة، لا سيما إن فحشت فحشاً بيّناً، لذلك يُضاعف لهنّ العذاب لخطر زلتهنّ، وبالمقابل تضاعف لهنّ المثوبة إن اتقين الله ـ تعالى ـ، واهتدى بهديهنّ الناس.

وعن أسامة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق[٣] أقتابه[٤] في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه[٥]، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما

---

(١) المحكم: اللفظ الدال على المقصود الذي سيق له، وهو واضح في معناه لا يقبل تأويلاً ولا تخصيصاً، وكان غير قابل للنسخ بسبب ذات النص، فيسمى محكماً لذاته، أو كان عدم قابلية النسخ لعدم وجود ناسخ، ويسمى محكماً لغيره. المصدر السابق ١١٤.

(٢) النسخ في اصطلاح الأصوليين: رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل متراخ، والفرق بين النسخ والتخصيص أن النسخ يكون فيه النصان ـ الناسخ والمنسوخ ـ غير مقترنين زماناً، بل يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ. المصدر السابق ص ١٧٢.

(٣) اندلقت أقتابه من بطنه: خرجت أمعاؤه من بطنه. لسان العرب (١/ ١٠٠٤).

(٤) الأقتاب الأمعاء، واحدها قِتْب، بالكسر. النهاية في غريب الحديث (٤/ ١١).

(٥) الرحا الحجر العظيم الذي يطحن به. انظر لسان العرب (١/ ١١٤٤).

شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1] . كما أنّ الداعية المتصدر للدعوة على جهل في دين الله، معرّض للسؤال عن أمور كثيرة في ميدان الدعوة ـ مما لا يسع الداعية جهله ـ، فإما أن يتكلم بغير علم وحجة، فيفسد على الناس دينهم ودنياهم، ويلحقه الإثم العظيم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وإما أن يتهرب فتضيع الثقة في دعوته، وتسقط هيبته.

٢ ـ يحول الفقه دون تحول مفهوم الدعوة في نظر الداعية من دعوة ربانية هادية، إلى تنظيمات حزبية وشكليات فارغة، يقول فتحي يكن: (إن اجتذاب الناس إلى الإسلام أولاً هو الأساس، وهو الطريق الصحيح، حيث يجعلهم مسلمين مرتبطين بالإسلام، متشبثين به، كائناً ما كانت الظروف، في حين أنّ اجتذابهم إلى الحركة أولاً سيجعل ولاءهم للتنظيم وللحركة، وليس لشرع الله. ولقد ابتلي الإسلام اليوم بدعاة يدعون الناس إلى تنظيماتهم بدل أن يدعوهم إلى الإسلام، ويبينون لهم محاسن تنظيماتهم ومزاياهم بدل أن يبينوا محاسن الإسلام ومزاياه، وهذا ما جعل ارتباط الفرد بالدعوة ارتباطاً حزبياً، وليس ارتباطاً عقائدياً، بل جعله في بعض الأحيان ارتباطاً شخصياً وليس مبدئياً، وهذا بالتالي جعل ميدان الدعوة غاصّاً بالتنظيمات والأحزاب والفرق والحركات. إن معظم ذلك مرده إلى الجهل بحقيقة هذا الدين، وبالتالي إلى عدم الالتزام بأحكامه وقواعده)[2]. وغالباً ما تجد هؤلاء ينصبون العداء للدعاة العاملين في حقل الدعوة ممن ليسوا في حزبهم،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق ـ باب صفة النار وأنها مخلوقة ٦/ ٣٣١)، وأيضاً في (كتاب الفتن ـ باب الفتنة التي تموج كما يموج البحر ١٣/ ٤٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب الزهد والرقائق ـ باب عقوبة من يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ولا يفعله ٤/ ٢٢٩٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٩).

(٢) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ١٧ ـ ١٨.

ويقعـون فـي غيبتهـم وإبراز عيـوبهـم وعيـوب دعـوتهـم، ويجـازفـون فـي خصومتهم، ويحاربونهم على كافة الأصعدة، وبالتالي تصاب الدعوة بالوهن والضعف، ويستثمر الأعداء خصومات الدعاة لتحقيق مآربهم وأهدافهم في النيل من الإسلام وأهله. بخلاف أهل العلم فإنهم وإن اختلفوا، لا يفرقون دينهم ولا يكونون شيعاً وأحزاباً، ولكن يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه - إن كان له وجه -، ويشد بعضهم من أزر بعض فيما اتفقوا عليه، ويتعاونون فيما بينهم لتحقيق مرضاة الله.

كما أنّ المفاهيم الحزبية للدعوة تأثر في طبيعة الدعاة ومناهجهم وأساليبهم، وتحولهم من دعاة ربّانيين، هادين بشرع الله، إلى رجالات دنيا، تُسَيِّرُهم مطامعهم وطموحاتهم، وتَحْكُمُهُم منافعهم الشخصية وأهواؤهم، فيستخدمون الدعوة كمطية لتحقيق مصالحهم ومآربهم الدنيوية، ونيل المناصب الرفيعة، وجمع الأموال وتضخيم الأرصدة، وتملك والشركات، متظاهرين أنهم لا يخدمون بذلك إلا حزبهم الدعوي.

٣ ــ ومن أخطر المزالق التي قد يقع فيها الداعية الغلو في الدين، كرد فعل لتفريط مجتمعه في شرع الله وأوامره ونواهيه، ولكن بالفقه في الدين والإخلاص لله يتمكن الداعية من الاحتفاظ بتوازنه والانضباط بالضوابط الشرعية في دعوته ومنهجه وسلوكه، ومن الغلو الذي يتجنبه الداعية بفقهه[١]:

أ ــ التعصب الممقوت للرأي والرجال، والجمود على الفهم السقيم للنصوص، الذي يحجبه عن الرؤية الواضحة لمصالح المسلمين ومقاصد الشرع وظروف العصر.

---

(١) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٤٣ ـ ٦٠.

ب ـ الإعراض عن الاستماع لآراء الآخرين ـ بسعة صدر ـ دون أن يحجر على آراء مخالفيه التي تحتملها النصوص، أولها وجه شرعي.

ج ـ التزام التشدد دائماً، مع قيام موجبات التيسير، وإلزام الآخرين به، حيث لم يلزمهم الله به، وهذا مخالف لقوله ـ تعالى ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله ـ تعالى ـ فينتقم لله بها»[1].

د ـ الميل إلى الحكم بالحظر في الأحكام الشرعية، مهما كانت أدلّة الجواز قوية، ظنّاً منه أن ذلك من الورع واتقاء للشبهات الذي يحبه الله، وهذا مخالف لأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦]، فليس الحكم بالتحريم أولى من التحليل، ولا العكس، ولكن الحق هو الاتباع لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وفق منهج السلف وعلى طريقتهم.

هـ ـ سوء الظن في الناس، والحكم على فساد نِيَّاتهم، والنظر إليهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب ـ باب صفة النبي ﷺ ٦/ ٥٦٦)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»، وكان يحب التخفيف والتسري على الناس ١٠/ ٥٢٤)، وأيضاً في (كتاب الحدود ـ باب إقامة الحدود، والانتقام لحرمات الله ١٢/ ٨٦)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ٤/ ١٨١٣ ـ ١٨١٤)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في التجاوز في الأمر ٥/ ١٤٢)، ومالك في الموطأ (كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في حسن الخلق ٢/ ٩٠٢ ـ ٩٠٣)، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٥ ـ ١١٤ ـ ١١٦ ـ ١٣٠ ـ ١٦٢ ـ ١٨٢ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ٢٠٩ ـ ٢٢٣ ـ ٢٣٢ ـ ٢٦٢).

بمنظار أسود، يخفي حسناتهم، ويضخم سيئاتهم، بحيث يكون الأصل في المسلم عنده الاتهام والإدانة، خلافاً لما تقرّره الشريعة من التحذير من سوء الظن في الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإنّ الظن أكذب الحديث»[(١)]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكَهم»[(٢)].

٤ ـ ومن فقه الداعية أن يتلطف بالمدعو ويترفق به ليحقق مقاصد دعوته، لأن النفوس جبلت على حب سماع الكلمة الطيبة، وما دعوة الإسلام إلا كلمة طيبة يبثها الداعية إلى الناس لتحقق لهم خيري الدنيا والآخرة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يثيب الداعية المتلطف بدعوته على رفقه ولينه أكثر مما يثيب غيره، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، زوج النبي ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب النكاح ـ باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ٩/١٩٨)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ١٠/٤٨١، وباب **﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾** [الحجرات: ١٢] ١٠/٤٨٤)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ٤/١٩٨٥)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في ظن السوء ٤/٣٥٦)، ومالك في الموطأ (كتاب حسن الخلق ـ با ما جاء في المهاجرة ٢/٩٠٧ ـ ٩٠٨)، وأحمد في مسنده (٢/٢٤٥ ـ ٢٨٧ ـ ٣١٢ ـ ٣٤٢ ـ ٤٦٥ ـ ٤٧٠ ـ ٤٨٢ ـ ٤٩٢ ـ ٥٠٤ ـ ٥١٧ ـ ٥٣٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب النهي عن قول: هلك الناس ٤/٢٠٢٤)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب (٨٥) ٥/٢٦٠)، ومالك في الموطأ (كتاب الكلام ـ باب ما يكره من الكلام ٢/٩٨٤)، وأحمد في مسنده (٢/٢٧٢ ـ ٣٤٢ ـ ٤٦٥ ـ ٥١٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤)، =

٥ ــ بالفقه في الدين يتمكن الداعية من الذبِّ عن دينه، لا سيما لما يعرض له من الشبهات أثناء عمله الدعوي، ولا بدّ أن يتعرف الداعية على المذاهب الفكرية المعاصرة المؤثرة على أرض الواقع وأهدافها، ويتدرب على الرد على شبهاتهم وأقاويلهم.

٦ ــ الفقه في الدين يمكّن الداعية من معرفة حجمه فلا يتطاول على الآخرين، ولا يصيبه الغرور بما يبذله للإسلام والدعوة، فالإعجاب بالنفس من المهلكات، وهي أول معصية عُصي اللّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بها، عندما أبى أبليس أن يسجد لآدم قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٥ ـ ٧٦]، فالداعية المخلص لربه، العالم بدينه يقدر ويحترم جهود الآخرين الدعوية والعلمية، لا سيما سلف الأمّة من الأئمة والفقهاء، ويستقل العلم والعمل من نفسه.

سئل عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: هل للعلماء علامة يعرفون بها؟ قال: (علامة العالم من عمل بعلمه، واستقلّ كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره، وقبل الحق من كل من آتاه، وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته)[1].

٧ ــ ومن الفقه في الدين مراعاة سنن الله الكونية في التدرج، والصبر على الأشياء حتى تنضج وتبلغ مداها، ذلك أنّ العجلة التي هي طبيعة

= ورواه عن عبد الله بن المغفل ـ رضي الله عنه ـ أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في الرفق ٥/١٥٥)، والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب في الرفق ٢/٢٣١)، وأحمد في مسنده (٤/٨٦)، ورواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ابن ماجة في سننه (كتاب الأدب ـ باب الرفق ٢/١٢١٦)، ورواه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أحمد في مسنده (١/١١٢).

(١) تقدم تخريجه ص ٧٢.

الإنسان عامة، والشباب خاصة، والسرعة التي هي من طبيعة هذا العصر، تجعل الكثير من الشباب المتحمس لدينه يريد أن يغرس اليوم ليجني الثمار في الغد، أو يزرع في الصباح ليحصد في المساء، ذاهلين عن سنّة الله الكونية التي تأبى هذا، فالنواة لا تصبح شجرة مثمرة إلا بعد مراحل تقصر أو تطول، حسب نوعها وتربتها ومناخها، وظروف نمائها، إلى أن تؤتي أكلها بإذن ربها، والطفل ينزل من بطن أمه وليداً، ففطيماً فصبياً فيافعاً حتى يبلغ أشدّه، وهكذا تتدرج الحياة في كل صورها، من مرحلة إلى مرحلة حتى تكتمل، وهذه سنّة الله في خلقه، وكذلك بدأ الإسلام أول ما بدأ: عقيدة سهلة، ثم أنزل الله التكاليف شيئاً فشيئاً، وفرض الفرائض، وحرم المحرمات، وفصل الشرائع بالتدريج، حتى كمل البناء، وتمّت النعمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣][1].

ولا يعني هذا أن نتدرج في الأحكام الشرعية بأن نعود بحكم المحرم ـ مثلاً ـ إلى ما قبل تحريمه، لنتدرج به حسب الظروف إلى أن نصل إلى تحريمه، ولكن نستفيد من هذا المنهج التدرج في العمل الدعوي، بعرض الأهم قبل المهم، مع مراعاة الظروف والأعمار والأحوال والمستويات[2].

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ١٩٢.
(٢) انظر: مدخل إلى علم الدعوة ص ٢٣٦.

المبحث الثالث
التخطيط والاستمرارية والثبات

تتميز الشريعة الإسلامية بالأصالة الخالدة بنصوصها ومصادرها، دون أن يطرأ عليها تحريف أو تبديل، فقد تكفل الله ـ عزّ وجلّ ـ بحفظ كتابه عن أي عبث أو ضياع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، فالإسلام رسالة عامة خالدة صالحة لكل زمان ومكان، وعلى الداعية أن يكون على مستوى هذه الرسالة وأصالتها وخلودها، بأن يبذل لها كل ما تحتاجه لتحقق أهدافها ومقاصدها.

ومن أهم ما تحتاجه الدعوة التخطيط والتنظيم، لأن من مقاصد هذه الرسالة الخالدة استيعاب جميع الأمم والشعوب في كل زمان ومكان في بوتقة الإسلام، ودعوتهم إلى تطبيق شرع الله على كافّة المستويات وفي شتّى المجالات، فعمل ضخم كهذا لا يمكن أن يقوم على العشوائية والارتجال.

ويخطأ كثيراً من يظن أنّ العمل الدعوي لا يحتاج إلى تنظيم وتخطيط، وأنه عمل ارتجالي أو عفوي. فإن الدعوة إلى عدم التنظيم في العمل الإسلامي دعوة إلى استمرار حالة الضعف لدى المسلمين، ودفع المسلمين إلى مزيد من التفكك والتشرذم والخلاف، وكل ذلك مرده إلى عدم الفقه في الدين، لأنّ القوّة محصلة التنظيم والتخطيط، لا العفوية والارتجال، وقد أمر الله ـ تعالى ـ بإعداد القوّة لنصرة الدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

﴿اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكل شيء في هذا الكون قائم ـ بأمر الله ـ على التنظيم والنظام، فالكواكب والمجرّات السابحة في الفضاء، وتعاقب الليل والنهار، وتتابع الفصول، وتناسل المخلوقات، وسريان الحياة في الكائنات الحيّة، وتنظيم أجهزتها وخلاياها الدقيقة المعقدة، إلى ما لا نهاية من النواميس الإلاهية في الكون والحياة، كلها قائمة على التنظيم الدقيق، وأي خلل في نظامها، يؤدي إلى اختلال عملها، وتعطيل أدوارها ووظائفها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقال ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠]، فالفوضى والعفوية نقيض النواميس الكونية، والعمل مهما كان صغيراً لا يمكن أن يكتب له النجاح ما لم يكن منظماً، وكثير من الطاقات تهدر وتضيع في غياب التنظيم.

والمنهج الإسلامي قائم على التنظيم والتناسق والتكامل، فالعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج، تقوم في كل جزئياتها وتفصيلاتها على أصول وقواعد تنظيمية، والنظام الاجتماعي، كأحكام الزواج، والمبادىء التي تحكم الأسرة المسلمة، كلها قائمة على أسس تنظيمية ثابتة، وهكذا كل النظم الإسلامية[1].

فالدين الذي يقوم على كل هذا التنظيم، لا يعقل أن تكون الدعوة إليه لا تقوم على التنظيم والتخطيط.

---

(١) انظر أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ص ١١ ـ ٤٠.

التخطيط في العمل الدعوي:

معنى التخطيط: (ألا ندع الحركة نفسها للظروف والمصادفات تسيّرها سيراً عشوائياً اعتباطياً، تعمل ما لا تريده، وتريد ما لا تعمله، وتدفع إلى السير في غير طريقها، وإنما يجب أن تسير في خط واضح المعالم محدد المراحل، بيِّن الأهداف معلوم الوسائل)(١). فمن الفقه في دين الله أن يخطط الداعية لعمل دعوي قائم على الإحصاء ودراسة الإمكانيات، ومدى القدرة على تحقيق المهام الموكلة إليه خلال زمن معين، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الإحصاء، فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «احصوا لي كم يلفظ الإسلام»، قال: فقلنا: يا رسول الله ﷺ: أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «إنكم لا تدرون، لعلكم أن تبتلوا»، قال: فابتلينا، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرّاً(٢). كما قام يوسف ـ عليه السلام ـ بالتخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عاماً، لمواجهة الأعوام الشداد، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ [يوسف ٤٧ ـ ٤٩]. ومن يتدبر السيرة النبوية، يجد أنّ النبيّ ﷺ كان يعد لكل أمر عدّته، ويهيىء له أسبابه، آخذاً حذره، مقدراً كافة الاحتمالات، واضعاً ما أمكنه من الاحتياطات مع أنه خير المتوكلين على الله. فهو حين أمر أصحابه ـ بعد أن اشتد إيذاء قريش لهم ـ بالهجرة إلى الحبشة(٣)، لم يكن هذا اعتباطاً، أو رمية من غير رام، بل كان

---

(١) الحل الإسلامي ليوسف القرضاوي ص ٢٣٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب الاستسرار بالإيمان للخائف ١/ ١٣١)، وابن ماجة في سننه (كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء ١/ ١٣٣٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٤).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٢١)، السيرة الحلبية (٢/ ٣).

نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت. فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة إلى مكان ـ مهما بعد ـ في شبه الجزيرة العربية، فإن قريشاً بما لها من نفوذ ديني وأدبي، تستطيع أن تلاحقهم، وتنال منهم. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم، حيث يحكمها أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة لغطرستهم وتجبرهم. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلاد بعيدة مثل الهند والصين، حيث تنقطع أخبارهم، وتكون الهجرة هلاكاً لهم. ولقد كانت الحبشة هي المكان المناسب دينياً وسياسياً، فقد كانوا أهل كتاب من النصارى، الذين هم أقرب مودة للمسلمين، وكان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والنصفة، ولهذا قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله بكم فرجاً مما أنتم فيه»[1]، وهذا يدل على أنّ رسول الله ﷺ وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات والأحوال المعيشية، بل كانوا يبحثون في أحوال الأمم التي حولهم، وكل ذلك لطبيعة الدعوة العالمية[2].

كما خطّط النبي ﷺ لهجرته من مكة إلى المدينة[3]، وأعدّ ﷺ كل ما يستطيع إعداده من الوسائل والاحتياطات، فاطمأنّ ﷺ إلى المهجر الذي سينتقل إليه، بعد أن بايع المؤمنون من الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم، كما اختار النبي ﷺ الرفيق الذي سيصحبه في رحلته الشاقّة التي تحمل في طيّاتها الأخطار والمفاجآت، ولم يكن هناك أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٩٧).

(٢) انظر الرسول والعلم ص ٤٣ ـ ٤٦.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هاشم (٢/ ٤٨٠)، السيرة الحلبية (٢/ ٢١٥).

عنه ـ رفيقاً. وموّه النبي ﷺ لقريش بأن أمر ابن عمه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن يبيت في فراشه، معرضاً نفسه لاحتمالات الغدر من المتربصين به، كما اتفق ﷺ مع الدليل الذي يدله على الطريق، والذي يعرف منعطفات الطريق ومخابئه ليضلل عنه أعين طالبيه، فكان مشركاً أميناً، وهو عبد الله بن أريقط[1]، فهيأ الصاحب والدليل والرواحل التي سيمتطونها في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان والموعد. كما خطط النبي ﷺ للمخبأ الذي سيختفي فيه أياماً معدودة، حتى تخف حدة الطلب، ويتمكن اليأس من القوم، واختار المخبأ في غير طريق المدينة زيادة في تعمية القوم، فكان غار «ثَوْر»[2]. كما أعدّ فريق الخدمة الذي يأتي بالزاد، والأخبار خلال فترة اختفائه، فكانا أسماء[3] وعبد الله بن أبي بكر[4] ـ رضي الله عنهم ـ، ومن بعدهما عامر بن فهيرة[5] ـ مولى لأبي بكر ـ، يأتي بغنمه فيحلبون منها،

---

(١) عبد الله بن أريقط الدِّئلي، دليل النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما هاجرا إلى المدينة، وكان على دين قومه. يقول ابن حجر: لم أر من ذكره في الصحابة، ولا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاماً. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٧٤).

(٢) ثور بلفظ الثور فحل البقر: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ. معجم البلدان (٢/ ٨٦).

(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق، زوج الزبير بن العوام، عاشت مائة سنة، ماتت سنة ٧٣ أو ٧٤ هـ. تقريب التهذيب (٢/ ٥٨٦).

(٤) عبد الله بن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان، شقيق أسماء، ذكره ابن حبان في الصحابة، مات قبل أبيه، رمي بسهم فجرح ثم اندمل ثم انتقض، فمات في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٢).

(٥) عامر بن فهيرة التميمي، مولى أبي بكر، أحد السابقين، وكان ممن يعذب في الله، وكان عامر بن فهيرة مُوَلَّداً من الأزد، وكان للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فاشتراه أبو بكر وأعتقه. استشهد في بئر معونة.
انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٥٦).

ويعفي على آثار أسماء وعبد الله. فكانت الخطة محكمة ومتقنة، ولما كادت الخطة أن تفشل، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار، ووقفوا على بابه، وكان يكفي لكشف الأمر وإفساد الخطة، أن ينظر أحد القوم تحت قدميه، ليرى رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، حيث قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله! لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»[1]، وهنا تتجلى قوّة توكله ﷺ على ربه، فبعد أن بذل الوسع في اتخاذ الأسباب والتخطيط لهجرته ودعوته، وَكَلَ أَمْرَهُ إلى الله ـ تعالى ـ في النتائج وفيما لا وسع له فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]، وعن أنس بن مالك يقول: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»[2].

فكل ذلك التخطيط منه ﷺ باختيار الزمان والرفيق والدليل والراحلة ومكان الاختفاء، وتمويه قريش، كان لحماية الدعوة، وتمكينها من الاستمرار والثبات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ـ باب ثاني اثنين إذ هما في الغار ٨/ ٣٢٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب (٦٠) ٤/ ٦٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٩٠)، قال أبو عيسى الترمذي: وهذا حديث غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحو هذا، وقال عمرو بن علي الفلاس (شيخ الترمذي): قال يحيى بن سعيد القطان: وهذا عندي حديث منكر. قال السخاوي: إنما أنكره القطان من حديث أنس، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري. المقاصد الحسنة ص ٦٥. ورواه عن عمرو بن =

نموذج للتخطيط للعمل الدعوي:

١ ــ دراسة الإمكانات البشرية المتاحة للعمل الدعوي ـ كمّاً وكيفاً ـ، لأن العنصر البشري هو أساس الدعوة ومصدر قوتها.

٣ ــ دراسة الإمكانات المادية المتاحة للعمل الدعوي، وكيفية تنمية موارد الدعوة المالية.

٣ ــ وضع خطة لتأهيل الدعاة علمياً وفقهياً ودعوياً، وتدريبهم على الدعوة إلى الله عملياً، مع التركيز على جانب الإخلاص والتفاني في الدعوة، دون انتظار أجر عاجل في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٧].

٤ ــ دراسة واقع الأمّة التي نحن بصدد دعوتها ـ كمّاً وكيفاً ـ، دراسة استقصائية واعية، مبنية على الإحصاء الدقيق والبحث العلمي والميداني.

٥ ــ رسم الخطط ووضع المناهج الدعوية التي تتلاءم مع واقع الأمّة وإمكانات الدعوة البشرية والمادية.

٦ ــ دارسة أفضل الأساليب والوسائل في تسخير الإمكانات الدعوية البشرية والمادية في دعوة الأمّة على ضوء المعطيات السابقة، لتحقيق أكبر قدر من استيعاب الأمّة دعوياً ـ كمّاً وكيفاً ـ.

٧ ــ دراسة الأولويات في العمل الدعوي، وتوجيه الدعوة حسب هذه الدراسة.

٨ ــ التخطيط للتعاون مع الدعاة في الساحة الدعوية، واحترام جهودهم وما يبذلونه للدعوة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات،

= أمية الضمري ـ رضي الله عنه ـ ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٢/ ٥٦)، ورمز السيوطي لحديث الترمذي عن أنس بالضعف في الجامع الصغير (١/ ٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٩).

واعتبار عملهم مكملاً لكل ما يبذل من جهود في خدمة الدعوة، والحذر من معادات الدعاة إلى الله بسبب اختلاف المناهج أو الأساليب أو الوسائل الدعوية، والعمل على لمِّ شمل الدعاة تحت مظلة واحدة على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وطرقهم الدعوية، قال ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

٩ ـ دراسة الأخطار المحدقة بالدعوة من المتربصين بها من الأعداء، وبحث كل ما يمكن عمله تجاه ذلك على كافة المستويات، للذب عن دين الله.

١٠ ـ الدراسة المستمرة لحجم الكم المبذول من العمل الدعوي ومدى كفايته للأمّة.

١١ ـ الدراسة المستمرة لنتائج العمل الدعوي ـ كمّاً وكيفاً ـ لتقويمه وتعديل الخطأ، وتقوية الصواب وتثبيته، مع الأخذ في الاعتبار أن تقويم العمل الدعوي ونقده لا بدّ أن يكون عملية مستمرة أثناء الممارسة الدعوية[1].

الاستمرارية في العمل الدعوي:

جاء الإسلام لعموم البشر، ولم يأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ـ جلّ ذكره ـ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وعموم الإسلام غير مقصور على فترة معينة أو جيل خاص من البشر، وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان، لهذا هو باق لا يزول ولا يتغير ولا يُنسخ، لأن الناسخ يجب أن

(١) انظر: الحل الإسلامي ليوسف القرضاوي ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤، الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية ص ٩٣.

يكون في قوّة المنسوخ، سواء أكان النسخ كلياً أو جزئياً، وحيث أنّ الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، وأنّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والوحي قد انقطع والشرائع الإلهية قد ختمت، فلا رسالة بعد رسالة الإسلام ولا نبيَّ بعد خاتم الأنبياء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وكانت الشرائع الإلاهية تنزل لتكمل سابقتها، حتى جاءت شريعة الإسلام كاملة تامة، فلا حاجة إلى شريعة أخرى، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وعموم الشريعة الإسلامية وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالنقص أو الزيادة، يستلزم أن تكون قواعدها وأحكامها وشرائعها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان، ويفي بحاجاتهم ولا يضيق بها، ولا يتخلف عن أي مستوى يبلغه المجتمع البشري، وكل ذلك متوفر في شريعة الإسلام، وقد جعلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ مهيّأة للبقاء والاستمرار لهذا العموم[1].

والأصل أنّ الدعوة عملية مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف في أي مرحلة من مراحلها، وعلى أي مستوى من مستويات دعاتها، لأنها تحرك لتبليغ الرسالة وتعليم الناس دينهم ليطبقوه في حياتهم، فلا ينبغي أن تتوقف الدعوة ما دامت هناك حياة بشرية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فالدعوة صيانة للأمّة المسلمة وأفرادها من الزلل ومن البعد عن الله، فهي عملية مستمرة، لا تتوقف، وعلى الداعية أن يكون على مستوى دعوته في الاستمرارية والنمو الدائم، وأن ينصبغ بخصائصها ومميزاتها، حتى يستمر عطاؤه وبذله للأمّة، وليدفع غيره إلى

---

(١) انظر: أصول الدعوة ص ٥٧ ـ ٥٨.

مرضاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ[1]. قد يكون الداعية قادراً على الشروع في الدعوة واقتحام بعض صعابها، ولكن الدعوة تحتاج إلى استمرارية وثبات لتؤثر في الأمّة، فقليل دائم خير من كثير منقطع، لا سيما في الدعوة، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: «من هذه؟» قالت: فلانة ـ تذكر من صلاتها ـ قال: «مه[2]، عليكم بما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا». وكان أحبّ الدين إليه ما دام عليه صاحبه[3]، وفي رواية لعائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله، وكان يقول: «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا». وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلّت، وكان إذا صلّى صلاة داوم عليها[4]، وفي رواية أخرى لها ـ رضي الله عنها ـ أنّ النبي ﷺ كان يحتجر[5] حصيراً بالليل فيصلي،

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٣٨.

(٢) مَهْ: زجر ونهي، وهي كلمة مبنية على السكون، اسم فعل، معناه اكفف لأنه زجر، فإن وصلت نونت فصارت مَهٍ. انظر: لسان العرب (٣/ ٥٤٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب أحب الدين إلى الله أدومه ١/ ١٠١)، وأيضاً في (كتاب التهجد ـ باب ما يكره من التشديد في العبادة ٣/ ٣٦)، وأبو داود في سننه (كتاب الصلاة ـ باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة ٢/ ١٠١)، والنسائي في سننه (كتاب قيام الليل ـ باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل ٣/ ٢١٨)، وأيضاً في (كتاب الإيمان ـ باب أحب الدين إلى الله ـ عز وجل ـ ٨/ ١٢٣)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب المداومة على العمل ٢/ ١٤١٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٥١ ـ ١٩٩ ـ ٢١٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التهجد ـ باب صوم شعبان ٤/ ٢١٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الصيام ـ باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر ٢/ ٨١١)، إلا أن مسلماً جعل قوله «أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ» مرفوعاً من قول النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٤ ـ ١٨٩ ـ ٢٣٣ ـ ٢٤٤).

(٥) أي يتخذ حجرة لنفسه، يقال: حجرت الأرض واحتجرتها، إذاجعلت عليها علامة تمنعها عن غيرك. فتح الباري (١٠/ ٣١٤).

ويبسطه بالنهار فيجلس عليه. فجعل الناس يثوبون[1] إلى النبي ﷺ فيصلون بصلاته، حتى كثروا، فأقبل فقال: «يا أيها الناس! خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإنّ الله لا يملّ حتى تملوا، وإن أحبّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ»[2]. قال ابن حجر: قوله ﷺ «وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام»، أي ما استمرّ في حياة العامل، وليس المراد حقيقة الدوام، التي هي شمول جميع الأزمنة[3].

والاستمرارية في العمل الدعوي تعني العمل الدؤوب الذي لا يتخلله إهمال للدعوة كلياً أو جزئياً، ولا تعني الاستمرارية ألا يستريح الداعية أو يتفرغ لطلب العلم ـ مثلاً ـ، فإن ذلك يعد من الاستمرارية في العمل الدعوي، لأنه بالراحة يستعيد نشاطه ليتابع دعوته، وبطلب العلم يعد نفسه ليكون أهلاً للدعوة إلى الله.

فعن حنظلة الأُسَيِّدِيِّ ـ رضي الله عنه ـ، وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ، قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا[4] الأزواج والأولاد والضيعات[5]، فنسينا كثيراً.

---

(١) يثوبون أي يرجعون. المرجع السابق (١٠/ ٣١٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب اللباس ـ باب الجلوس على الحصير ونحوه ١٠/ ٣١٤)، ومسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضيلة العمل من قيام الليل وغيره ١/ ٥٤٠ ـ ٥٤١)، والنسائي في سننه (كتاب القبلة ـ باب المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة ٢/ ٦٨)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٠ ـ ٦١ ـ ٢٤١ ـ ٢٦٨).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٣١٤).

(٤) المعافسة: المداعبة والممارسة، يقال: فلان يعافس الأمور أي يمارسها ويعالجها. لسان العرب (٢/ ٨٢٣).

(٥) ضيعة الرجل حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه، والضيعات المعايش، والضيعة: العقار، والضيعة: الأرض المُغِلّة. انظر: لسان العرب (٢/ ٥٥٩).

قال أبو بكر: فوالله! إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟»، قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة» ثلاث مرات[(١)].

فمن فقه الداعية أن يُسَخِّرَ حياته كلها دعوة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ دون انقطاع عنها، حتى أوقات راحته وخلوته وتفرغه لطلب العلم، يقصد بها الاستعداد لعمله الدعوي. وإذا فقه الداعية طبيعة الدعوة وعلم أنها عبادة واجبة كسائر العبادات، يتقرب بها المؤمن إلى الله ـ تعالى ـ في كل وقت وحين، رسخ في نفسه أنّ الدعوة ليست أمراً موقوتاً بالمناسبات أو حسب الظروف والتفرغ، بل هي عبادة تقصد لذاتها، علاوة على قصد إصلاح المجتمع وإزالة الفساد، فكان سلف الأمّة يعظ بعضهم بعضا مع صلاحهم وتقواهم، رغبة في المزيد من الصلاح والتقوى، وتقرّباً إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ بالكلمة الطيبة والدعوة الحسنة، التي يستفيد منها الداعي قبل المدعو. ولا شك أنّ هناك عوامل كثيرة تؤثر في استمرارية دعوة الداعية، كالإخلاص وقوّة الإيمان والتوكل واليقين والعبادة والذكر والدعاء وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، لكن الفقه في الدين هو الجامع لذلك كله، لأنه الفهم الذي يقرب العبد من الله ـ تعالى ـ على الوجه الذي يحبه ويرضاه، فثمرة ذلك الفهم الإيمان والعمل.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب التوبة ـ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا ٤/٢١٠٦ ـ ٢١٠٧)، والترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب (٥٩) ٤/٦٦٦)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب المداومة على العمل ٢/١٤١٦ ـ ١٤١٧). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أمّا الدعوة القائمة على دوافع العواطف الجياشة ـ فحسب ـ، دون فقه راسخ لدين الله، فإنها لا تكون إلا موقوتة، لأن العواطف غالباً ما تنطفىء، ويذهب الحماس، وتتوقف الدعوة، وتفقد قدرتها على الاستمرار، علاوة على أنّ هذه الدعوة لا يُؤْمَنُ عليها الزيغ والضلال، لأن غالبية هؤلاء الدعاة يبحثون ويفتشون عن كل غريب وعجيب مؤثر، غير عابئين بصحة ما يَقُصُّون أو يَرْوُون، فربما كان من المكذوب أو الضعيف الذي لا يصلح للاعتبار، ولا يهتمون بتعليم الصحيح الثابت إلا بقدر ما فيه غرابة ـ هذا إن استطاع أن يميز الصحيح من السقيم ـ، وهذه الدعوة يكون تأثيرها في المدعوين سطحياً، لا تؤثر في حياتهم ومعاملاتهم، بل ربما لا يتعدى صراخهم ونحيبهم وبكاءهم لما سمعوه، حتى إذا انقضت دعوة الداعية، وخرجوا إلى حياتهم، عادوا إلى ما كانوا عليه من معصية الله.

الثبات في العمل الدعوي(١):

الثبات على الدعوة والصبر على محنها مرحلة أسمى من الاستمرارية، إذا الاستمرار على القيام بأعباء الدعوة يكون في الظروف العادية، أما الثبات فيكون في المحنة والبلاء، وفي مواجهة المتربصين بالدعوة، فكم من مستمر في عمله الدعوي تخاذل أمام أول محنة ومصيبة ابتلي بها بسبب دعوته. فإذا كان الاستمرار على الدعوة يحتاج إلى فقه راسخ في دين الله، فمن باب أولى الثبات على الحق أمام المعاندين والطغاة. لأن القناعة الراسخة، واليقين الثابت هما الكفيلان بحماية الداعية من الزحزحة عن دعوته ودينه.

ومن الثبات على الحق المرتكز على الفقه والفهم العميق في القصص القرآني، موقف السحرة مع فرعون بعد إيمانهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ

---

(١) انظر: فقه الدعوة الفردية للدكتور علي عبد الحليم محمود ص ١٢٠.

أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٣ ـ ١٢٦]، فالسحرة لم يعبؤوا بتهديد فرعون لهم بالصلب والقتل وتقطيع الأيدي الأرجل من خلاف لما آمنوا بالله ـ تعالى ـ، ليرجعوا عن إيمانهم الذي بني على قناعة تامّة وفهم ثاقب، بل لم يعدوا ذلك ضرراً في مقابل الكفر، لأن لهم الجزاء الأوفى عند ربهم على صبرهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٤٩ ـ ٥١]، فقد تبيّن للسحرة أن معجزة موسى ـ عليه السلام ـ لم تكن سحراً، بل حجة من حجج الله على خلقه، وهم أدرى بطبيعة السحر وماهيته، ولا شك أنّ السحرة قد اطلعوا على صورة مشوّهة لدعوة موسى ـ عليه السلام ـ قبل التحدي، إلا أنهم لمّا عاينوا الحق آمنوا إيماناً راسخاً، استحال معه الرجوع إلى الكفر. وقد كان السحرة الطبقة المثقفة في القديم، وأصحاب المكانة الرفيعة عند الملوك والجبابرة، لذلك استعان بهم فرعون في تصديه للدعوة، فسألوه المال والجاه إن هم غلبوا موسى ـ عليه السلام ـ في هذا التحدي، فوعدهم بذلك. وبعد هذا الشغف في طلب الدنيا وحبها، يتحول السحرة إلى قدوة صابرين على البلاء في الله، ولا يعزى ذلك إلا للفقه في الدين[1].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨)، التفسير الواضح (٢/ الجزء ١٩ ص ٤٥).

والثبات خصيصة من خصائص الإسلام العامة، فمصادر التشريع القطعية والكلية من كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، كالعقائد وأركان الإيمان الستة والأركان الخمسة التي بني الإسلام عليها، والمحرمات اليقينية كالسحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولي يوم الزحف والغصب والسرقة والغيبة والنميمة، وأمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفّة والصبر والوفاء بالعهد والحياء، وغيرها من مكارم الأخلاق، وكل شرائع الإسلام التي ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، فهذه أمور ثابتة، تزول الجبال ولا تزول، نزل بها القرآن وتواترت بها السنّة، وأجمعت عليها الأمّة، فليس من حق أحد أن يلغي أو يعطل شيئاً منها لأنها أساس الدين وقواعده الثابتة[1].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(فقالوا: الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فلا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيه بحسب المصلحة. ثم يقول: وهذا باب واسع، اشتبه على كثير من الناس الأحكامُ الثابتة اللازمة التي لا تتغير، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجوداً وعدماً)[2].

يتمثل جانب الثبات في مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، والمرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى، يلتزم به

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٠، ٣٣٣).

الناس في كل زمان ومكان، الذي قد يلحق بهم ضرراً. وأيضاً الثبات على إيجاب العدل في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، والمرونة بعدم الإلزام بشكل معين للقضاء والتقاضي، بأن يكون درجة أو أكثر، أو يسير على أسلوب القاضي المفرد أم المحكمة الجماعية، بل ترك أسلوب تطبيق العدل ورفع الظلم للاجتهاد، ومن الثوابت الشرعية قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وتتمثل المرونة في الاستثناء من هذا الحكم عند الضرورة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وقوله ـ تعالى ـ ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣].
وكذلك من الثوابت عدم تهاون النبي ﷺ في أي أمر من أمور العقيدة أو تبليغ الرسالة، وجانب المرونة يتمثل في قبوله ﷺ في صلح الحديبية أن يكتب في عقد الصلح: «باسمك اللهمّ» بدل «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقبوله أن يمحو كلمة «رسول الله» بعد اسمه الكريم ﷺ حين رفض علي ـ رضي الله عنه ـ طلب الكفار بمحوها بعد أن كتبها، فمحاها النبي ﷺ بنفسه، وكتب محمد ابن عبدالله (وهو لا يحسن أن يكتب). وقبوله ﷺ من شروط الصلح ما ظاهره إجحاف بالمسلمين، وإن كان في عاقبته الخير للمسلمين. ففي العقيدة لم يتنازل ﷺ ولم يقبل المساومة، أما في الجزئيات والشكليات الوقتية، والتي في إجازتها تحقيق مصالح عظمى للمسلمين، نجده تساهل فيها ﷺ. والفقه الإسلامي ـ عموماً ـ يسير في هذا الاتجاه، ثابتاً على الأصول والكليات، مرناً ومتطوراً في الفروع والجزئيات، وفقاً للضوابط الشرعية[1].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (كتاب الشروط ـ باب الشروط في الجهاد ٥/ ٣٣١)، وأيضاً =

والداعية لا بدّ أن ينطبع بخصائص شريعته ـ التي يدعو إليها ـ ويسير على نهجها في الثبات والمرونة في عمله الدعوي، ولا يدرك الداعية ذلك إلا بفقه ثاقب.

والثبات الذي نحن بصدده هو الثبات الذي يتمتع بالمرونة الشرعية، والذي يسنده فقه الداعية، فعن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: وجَّه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة[1] فأسره الروم، فذهبوا به إلى مَلِكِهِم، وقالوا له: هذا من أصحاب محمد ﷺ. فقال له: هل لك أن تنصَّر، وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: لو أعطيتني ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت. قال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك. فأمر به فعلّق على خشبة، وقال للرماة: ارمو به قريباً من يديه، قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل. ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى. ثم أمر به أن يلقى فيها، فلما ذهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظنّ الطاغية[2] أنه قد جزِع، فقال: ردوه، فلما ردوه عرض عليه النصرانية، فأبى. فقال: ما أبكاك إذن؟ قال: أبكاني، أني إن قُتلت فلي نفس واحدة، تُلقى الساعة في هذا القدر، فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله. فقال له الطاغية: هل

= (كتاب المغازي ـ باب عمرة القضاء ٧/ ٤٩٩)، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، والخصائص العامة للإسلام ص ٢٢٢ ـ ٢٤٠.

(١) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سُعَيْد (بالتصغير) ابن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو حذافة، من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. تقريب التهذيب (١/ ٤٠٩).

(٢) الطاغية لقب لملك الروم. لسان العرب (٢/ ٥٩٧).

لك أن تُقَبِّلَ رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد الله: تخلي عني وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله، أقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين، لا أبالي. فدنا منه فَقَبَّل رأسه، فدفع إليه الأسارى. فقدم بهم على عمر ـ رضي الله عنه ـ، وأخبره الخبر، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقام عمر فقبَّل رأسه[1].

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) الرواية ١٦٣٩، وابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٣٥٦)، قال ابن حجر: وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهداً من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موصولاً، وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري. وفي رواية عكرمة عن ابن عباس أن الأسرى كانوا ثمانين. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٩٧). وانظر: كنز العمال (٢/ ٦٢)، وحياة الصحابة (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦).

الفصل الثالث
تبادل الدعم بين الدعوة والفقه

المبحث الأول: دور الممارسة الدعوية في تنمية الفقه الإسلامي.

المبحث الثاني: دور الدعاة في حماية الفقه الإسلامي.

المبحث الثالث: دور الدعاة في تحقق الرسالة الأصلية للفقه الإسلامي.

المبحث الرابع: ثمرة الدعم الفقهي للدعوة الإسلامية.

المبحث الأول
دور الممارسة الدعوية في تنمية الفقه الإسلامي

إنّ ممارسة الدعاة للعمل الدعوي القويم في الأمّة، يوجه المسلمين لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ولتطبيق أحكام الله وشرائعه في حياتهم، فالدعوة تُنَمِّي الوجود الفقهي في الأمّة، وهي عامل على نشره وترسيخه في نفوس الناس وحياتهم.

وهذا المبحث حول الدور الفعّال الذي تلعبه الدعوة في تنمية الفقه الإسلامي في الأمّة كمّاً وكيفاً.

الممارسات الدعوية التي تُنَمِّي الفقه الإسلامي:

١ ـ إن سلف الأمّة من الصحابة والتابعين لم يقعدوا بفقههم، بل تحركوا في الأمّة طلباً للعلم ونشراً له على كافة الأصعدة، فرحل جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ إلى دمشق، ورحل أبو أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ إلى مصر، ودفن في القسطنطينية. فانتشر الصحابة في الأمصار فاتحين وناشرين للحق والعدل، فبارك الله لهم في علومهم، وخلد التاريخ فقههم وجهدهم، فكانوا القدوة التي يحتذى بها في كل باب من أبواب الدين، وكان غيرهم تابعاً لهم(١).

---

(١) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٠٩، ١١٨.

كما حمل الأئمة ـ من بعدهم ـ الفقه إلى الأمصار البعيدة، فعلموا الناسَ أمور دينهم وحثوهم على الامتثال لأوامر الله ونواهيه، ونستشهد لذلك بالإمام الشافعي[1] ـ رحمه الله ـ الذي قام بنشر العلم والفقه وحمله من مصر إلى مصر ومن بلد إلى بلد، بعد أن محَّصَه وطلبه من معينه ومنبعه الأصلي، فبعد أن تمكن الشافعي من فقه الإمام مالك، رحل إلى العراق ونزل على محمد بن الحسن الشيباني ـ صاحب أبي حنيفة ـ في بيته، وأخذ يقرأ كتب محمد التي ألفها في فقه العراقيين، يقول الشافعي: (حملت عن محمد بن الحسن وِقْرَ[2] بعير ليس عليه إلا سماعي منه).

وكان الشافعي في أثناء إقامته في بغداد يناظر العراقيين في فقههم، ويعتبر نفسه تلميذاً لمالك، ولم يكن بعدُ خرج على الناس بمنهاج معين، وكان في مناظراته لا يناظر أستاذه محمد بن الحسن بل يستكره ذلك، لأنه قد تربى على الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الذي كان لا يفتح باب المناظرة، وينهى عن الجدل، ومع ذلك كان محمد بن الحسن يَرْغَبُ في مناظرته، كما كان أبو حنيفة يناظر تلاميذه.

ولم يذكر المؤرخون المدة التي أقامها الشافعي في بغداد ملازماً لمحمد بن الحسن، ومناظراً للعراقيين، ويغلب على الظن أنه مكث سنتين، اطلع فيها الشافعي على آراء ومناهج في الفقه والاستنباط لم يطلع عليها من قبل في علم مالك ـ رحمه الله ـ، مما جعل الشافعي يعكف على الموازنة بين هذه الآراء بعد عودته إلى الحرم، ليخرج للأمّة بدراسة نقدية فاحصة، أَلَّفَ فيها كتاباً سَمَّاهُ «خلاف مالك»، وآخر سَمَّاهُ «خلاف العراقيين»، وتحرر من

---

(١) انظر: التاريخ الكبير (١/ ٤٢)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٠١)، حلية الأولياء (٩/ ٦٣ ـ ١٦١)، وفيات الأعيان (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٩)، مناقب الشافعي للرازي، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

(٢) وِقْر: بالكسر حمل البغل أو الحمار، ويستعمل في البعير. المصباح المنير (١/ ٦٦٨).

التبعية الفقهية إلى الاجتهاد الحرّ المستقل في ظل الكتاب والسنّة، كما وضع لنفسه منهجاً في قواعد الاستنباط، ومكث الشافعي في مكة يدرس ويفحص العلم ويحققه، ويلقي على تلاميذه فقهه وعلمه، وكان لا بدّ أن ينشر الشافعي ما وصل إليه من علم وفقه لا سيما في مناهج الاستنباط الفقهي، وكانت بغداد ـ قصبة الخلافة الإسلامية ـ مكاناً خصباً لدعوته وفقهه، لاهتمام أهلها بالعلم، وكثرة علمائها وفقهائها، علاوة على أنّ الشافعي قد عرف بغداد وألفها من قبل.

فرحل ـ رحمه الله ـ إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ، وهو في نحو الخامسة والأربعين من عمره المبارك، لينشر علمه وفقهه بين المسلمين. وفي بغداد استرعى نظر العلماء والتلاميذ، لفصاحته وتأثير بيانه وغزارة علمه وقدرته على المناظرة والمجادلة، حتى قال فيه بعض معاصريه: (إنه خطيب العلماء)، فتحول كثير من أئمة بغداد إلى تلامذة أمـام الشافعي، فتتلمذ عليه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه(١) ـ وهو في سن قريبة من سنه ـ، يقول ابن راهويه: (ما كنا نعرف قبل الشافعي ما الناسخ والمنسوخ). فأملى الشافعي الكتب في بغداد، ومنها كتابه «الأم» في الفروع، و «الرسالة» في الأصول، وانتشر علمه في بلاد المشرق مما وراء العراق، وعكف الناس على دراسة فقهه وعلمه في هذه الحقبة، والذي سمي قوله فيها فيما بعد بالقديم. ثم رجع الشافعي إلى مكة فأقام فيها إقامة يسيرة، زار فيها البيت الحرام وشيخه سفيان بن عيينة، ثم حزم متاعه عائداً إلى بغداد سنة ١٩٨ هـ،

---

(١) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوارث بن عبيد الله بن عطية المروزي، المعروف بابن راهويه، محدث وفقيه، ولد سنة ١٦١ هـ، رحل إلى الحجاز، وله مع الشافعي مناظرة في بيوت مكة، من تصانيفه: المسند، وكتاب التفسير، توفي سنة ٢٣٧ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١/٢١٦ ـ ٢١٩)، شذرات الذهب (٢/٨٩)، ميزان الاعتدال (١/١٨٢ ـ ١٨٣)، معجم المؤلفين (٢/٢٢٨).

إلا أنه ما لبث أن غادر بغداد بعد فترة وجيزة، للفتن التي كانت تموج فيها في عصر المأمون[1]، حيث انتشر كلام الفلاسفة والمتكلمين، وحظي المعتزلة بتأييد الخليفة وتقريبهم إليه، ووقعت فتنة خلق القرآن، فرحل الشافعي إلى مصر ليباشر نشر رسالته العلمية في الناس، ودوَّن فيها ما يسمى بالجديد من قول الشافعي.

فمذهب الشافعي كان له دوران في الاجتهاد:

الدور الأول: ما نشره الشافعي ببغداد، وقد رواه عنه الزعفراني[2] ويشمل الكتب التي كتبها عن الشافعي في بغداد، وهي «الرسالة» الأصولية، و «الأم المبسوط»، وقد دونها الزعفراني بإملاء الشافعي، وكان يقرؤها للناس ببغداد، واستمرّ يقرؤها، مع تغيير الشافعي لآرائه في مصر إلى أن مات الزعفراني سنة ٢٦٠ هـ.

الدور الثاني: عندما انتقل الشافعي إلى مصر سنة ١٩٩ هـ، حيث قام بتنقيح ما كتبه في العراق، وتمحيص الآراء التي دونها هناك في كتابيه الرسالة والأم، فرجع عن بعضها في الجديد، واعتمد بعضها، وقطع فيما كان يحتمل وجهين من كلامه، إما بأن يُرَجِّحَ أحد الوجهين، أو يعدل عنهما لحديث رآه لم يكن على علم به، أو لقياس جديد خطر له فرآه أرجح، أو يعرض وجهاً ثالثاً. ثم أخذ يُدَوِّنُ ما انتهى إليه، ونسخ الشافعي في كتابه المصري كتابه البغدادي، وقال ـ رحمه الله ـ: (لا أجعل في حل من روى عني كتابي

---

(١) المأمون، هو عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠ هـ، وبويع بالخلافة في ٢٥ محرم سنة ١٩٨ هـ، وكان داعية للقول بخلق القرآن، فقصمه الله بدعوة الإمام أحمد، توفي في ٢٥ محرم سنة ٢١٨ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٤).

(٢) الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البغدادي، محدث وفقيه، صاحب الشافعي ببغداد، وله عدة مصنفات، توفي سنة ٢٦٠ هـ. انظر: شذرات الذهب (٢/ ١٤٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، معجم المؤلفين (٣/ ٢٨٤).

البغدادي)، وأخذ الربيع بن سليمان المرادي المؤذن[1] يروي كتبه الجديدة، كما قام بنشر كتب الشافعي بمصر، حتى توفي سنة ٢٧٠ هـ.

فالشافعي لم يكتف بنشر العلم في بقعة واحدة من الأرض، بل أخذ يجوب البلاد يدعو إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ على علم وبصيرة وحجة، ويبصر الناس في أمور دينهم وشرع ربهم، حتى وافته المنية سنة ٢٠٤ هـ، وكان له أصحاب ينشرون علمه وفقهه في البلاد التي رحل إليها ـ العراق ومكة ومصر ـ. فالتحرك الدعوي للفقيه كفيل بتنمية الفقه الإسلامي ونشره في الأمّة، وتجديده لهم بحسب واقعهم ليتلاءم مع ظروفهم المعيشية، لا سيما إن كان هذا التحرك على مستوى الأئمة الفقهاء الكبار الذين تثق الأمّة في دينهم وعلمهم[2].

٢ ـ كما كان تلاميذ الفقهاء يقومون بنشر الفقه في الأمّة، فحمل العراقيون المذهب الشافعي إلى مرو[3] وخراسان[4] وبلاد ما وراء النهر[5]

---

(١) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم، أبو محمد المصري المؤذن، صاحب الشافعي، وراوية كتبه عنه، ولد سنة ١٧٤ هـ، قال ابن أبي حاتم: سمعنا منه، وهو صدوق ثقة، وقال الخليلي: ثقة متفق عليه، والمزني مع جلالته استعان ما فاته عن الشافعي بكتاب الربيع. وقال النسائي: لا بأس به. قال ابن يونس: كان ثقه. وكذا قال الخطيب. توفي سنة ٢٧٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/٢٤٦).

(٢) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ٤٧٧.

(٣) هذه مرو العظمى، وتسمى مرو الشاهجان، وهي أشهر مدن خراسان وقصبتها، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً، والنسبة إليها مَرْوَزِيّ على غير القياس، والثوب مَرْوِيّ على القياس. انظر: معجم البلدان (٥/ ١١٢).

(٤) خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند. معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٥) بلاد ما وراء النهـر، أي نهر جيحون، وتشمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسَرَخْس (ويقال أيضاً سَرْخَس) وما يتخلل من المدن التي دون نهر جيحون. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

في آخر القرن الثالث الهجري، وكان العلماء الذين نقلوا الفقه الشافعي حريصين على نقل كتب المذهب الأصلية إلى تلك البلاد، ونشرها بين المثقفين، كما كانوا حريصين ـ أيضاً ـ على نشر هذا العلم بين العامة في المساجد ودور العلم، ولم يكتفوا بذلك، بل شرعوا في إيصال فقههم وعلمهم إلى الحكام والسلاطين في تلك البقاع، لِيُحْكَمَ الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، وهكذا أخذ أئمة الشافعية يشدون الرحال من بلد إلى بلد لتعليم الناس فقه الكتاب والسنّة، حتى وصل فقه الشافعي إلى الشام واليمن ونيسابور وبلاد فارس وغيرها.

٣ ـ إن هذا الانتشار لفقه الإمام الشافعي، جعل الشافعية الذين ينتمون إلى مدرسة فقهية واحدة تتباعد أقاليمهم وبيئاتهم، وكان منهم المجتهدون المنتسبون والمخرجون في المذهب، فقاموا بالتخريج على أصول الشافعي وأقيسته التي قرّرها وبيّنها. فلم يكن الفقه عندهم مسائل نظرية، تقف على ما وصل إليه الشافعي من فقه وعلم، بل توجهوا بفقههم إلى الأمّة، وأخذوا يقدّمون لهم فقهاً عملياً، فاستنبطوا علل الأحكام من فروع المسائل التي نصّ عليها الشافعي، وطبقوها على ما وجدوا من وقائع عصرهم، كما خَرَّجُوا المسائل على منهج الإمام الشافعي وأصوله، وقدموا لأمتهم الحلول الشرعية لمشاكلهم وشؤون حياتهم. ومع تنوع البيئات والمشاكل في الأمّة على مختلف البقاع، وتباين مشارب الفقهاء، واختلاف الأحداث التي تنزل بكل منهم، وطرق علاجها، فقد أدّى ذلك إلى خصوبة الفقه في المذهب الشافعي، ونماء النصوص الفقهية الزاخرة بآراء الفقهاء واختلافها، مع انصباغها بواقع بيئة كل منهم، وهم يستقون من معين واحد، وعلى نهج واحد ويتقيدون بأصول واحدة.

وببركة جهود هؤلاء العلماء انتشر العلم في الأمّة، ولا زال الناس إلى يومنا هذا عالة عليهم في الفقه والفهم لكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ،

وينتسبون إليهم ـ ولو بالإسم ـ في كثير من أمصار الإسلام، ولا زالت الأمّة تفتش في كتبهم لحل القضايا المعاصرة، بل جمد كثير من الناس على تقليد آرائهم وفقههم، وأبوا أن يجدّدوا للناس فقههم تبعاً لمستجدات العصر، وبذلك خالفوا منهج السابقين، كما استكان كثير من أهل العلم عن القيام بأعباء نشر العلم في المسلمين ـ عوامهم وخواصهم ـ كما فعل سلفنا الصالح، مع سهولة المواصلات في عصرنا وصعوبتها في عصرهم.

٤ ــ إنّ قيام العلماء بممارسة العمل الدعوي، ونشر العلم في أرجاء المعمورة، والتقائهم مع بعضهم، يقرب وجهات النظر، وينشىء المودة والمحبة ويؤلف القلوب، إن تحقق الإخلاص وصفت النيّة لله ـ تعالى ـ، فيبني كل منهم على علم أخيه، فتنمو علومهم وتزدهر وتنتفع الأمّة بهم، ويتكامل الصرح العلمي الشامخ بوضع كل منهم لبنة من لبناته، ويدلي كل بدلوه، ولا يهدم ما بناه أخوه، بل يكمله ويتمه، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وشبك بين أصابعه[1]، والعلماء والدعاة أولى الناس بهذا التآزر والتعاضد، أما بالبعد والجفاء يقضي أحدهم دهره في محاربة علوم الآخرين الذين لم يألفهم ولم تتبين له حجتهم، لأنه لم يرهم أو يقابلهم مع أنهم من معاصريه، فينشب النزاع بين الأطراف ويكتب كل منهم كُتباً يجرح فيها الآخر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الصلاة ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ١/ ٥٦٥)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ١٠/ ٤٤٩)، وأيضاً في (كتاب المظالم ـ باب نصر المظلوم ٥/ ٩٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ٤/ ٣٢٥)، والنسائي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه ٥/ ٧٩)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٩).

ويظهر معايبه ومساوئه، وينشغل العوام والسذج[1] بسفاسف[2] الأمور عن المهمات، فيتصدع الصف، وتتفرق الأمّة، وكل ذلك مخالف لما أمرنا الله به، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فلو أنّ هؤلاء اجتمعوا فيما بينهم وناقشوا خلافاتهم بالحوار الهادئ والمناظرة المخلصة، لأراحوا أنفسهم ونفعوا الإسلام والمسلمين.

يقول محمد الخضري بك: (لم يكن يتم لفقيه من فقهاء الأدوار الماضية لقب الفقيه، ولا ينال تمام الاحترام إلا بالرحلة، والتلقي من علماء الأمصار، سوى علماء بلده، وقليل منهم من اعتُرِف له بالنبوغ والتبريز مع بقائه في بلده. فتجد كبار الأئمة والمحدثين جُوَّاباً للآفاق، لا تكاد تضمهم بلد حتى يرحلوا إلى أخرى، لتلقي الحديث والفقه، وكانت مكة تجمعهم في المواسم، فيستفيد كل من الآخر، بما عنده من علم وحديث وفكر، ومن أجل ذلك كان التعارف تاماً بين علماء العصر الواحد، وهذا مما يزيد في معارفهم ويقوي المـودة بينهم، ذلك مع صعوبة الرحلة وشدّة الأسفار. أما في هذا العصر لا سيما في أواخره، فقد بتت الصلات بين علماء الأمصار، فصار العالم المصري لا يكاد يسمع باسم العالم الهندي، وهذا لا يعرف المغربي، وهكذا، إلا مما ينقل من كتب أحدهم، فهناك يسمع به. ومن أشد الأمور وَقْعاً أنك تجد في موسم الحج بعضَ العلماءِ المختلفة أمصارهم، لا يهتم أحدهم أن يتعرف بالآخر أو يروي عنه شيئاً، وقد أدخل ذلك الضعف على العلوم الإسلامية الشرعية وغيرها من علوم الأقدمين التي عمدتها الرواية والتلقي، فلا يكفي أن تستفيد رأي العالم من كتابه، لأن الكتاب صامت

---

(١) حجة ساذِجة وساذَجة، بالكسر والفتح: غير بالغة، قال ابن سيده: أراها غير عربية، إنما يستعملها أهل الكلام فيما ليس ببرهان قاطع. انظر: لسان العرب (٢/ ١٢٤).

(٢) السفاسف ما دق من التراب فارتفع، وسفسف العمل: لم يبالغ في إحكامه. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٣٣).

جامد، أما التلقي فهو الذي يشحذ الذهن لما يستتبعه من المناقشة والحوار)[1].

٥ ـ كما استخدم العلماء والفقهاء أسلوب المناظرات والمحاورات، لنشر العلم وترسيخه بين طلابهم، ولا سيما أهل الرأي في العراق، فكان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ يحاور تلاميذه بعد إلقاء الدرس وبيان الأسس التي يبنى عليها، فيتجادلون معه، وكلٌّ يدلي برأيه، وقد ينتصفون منه ويعارضونه في اجتهاده. وبعد أن يقلب النظر من كل نواحيه يدلي بالرأي الذي أنتجته المحاورات، فيقرّه الجميع ويرضونه، يقول مسعر بن كدام[2] في وصف درس أبي حنيفة: (كانوا يتفرقون في حوائجهم بعد صلاة الغداة، ثم يجتمعون إليه، فيجلس معهم، فمن سائل، ومن مناظر، ويرفعون الأصوات لكثرة ما يحتجّ لهم، ثم يقول: إن رجلاً يُسَكِّنُ الله به هذه الأصوات لعظيم الشأن في الإسلام)[3]. وطريقة أبي حنيفة هذه تثقيف للمتعلم وتمحيص لآراء المعلم، كما تولد الألفة بين التلاميذ وأستاذهم إن كان قادراً على استيعابهم، حيث يجد الطالب لنفسه مكانة عند أستاذه إذا أنصت له وحاوره. وقد ناظر الشافعي ـ رحمه الله ـ العراقيين أساتذة وطلاباً على طريقتهم.

كما كانت المناظرات والمحاورات تجري بين أهل العلم من الشافعية والحنفية في المجامع العلمية، يقول محمد أبو زهرة: (وهذه المناظرات الفقهية المستمرة بين الشافعية والحنفية تولدت عنها الأدلة المختلفة، ولم

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري بك ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) مِسْعَرُ بن كِدَام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة الكوفي أحد الأعلام، ثقة ثبت فاضل، وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة والعجلي وابن حبان، مات سنة ١٥٣ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٣).

(٣) مناقب أبي حنيفة لابن البزازي (٢/ ١٢٥).

تتولد عنها عداوة)[1]. قلت: ربما كان ذلك في المتقدمين منهم عندما كان طلب الحق هو الهدف الأسمى، لا إثبات المذهب والتعصب له والجمود عليه، فكما كانت المناظرات والمحاورات أسلوباً دعوياً ممدوحاً في المتقدّمين لنشر الحق وبيانه، فإنه مذموم في المتأخرين، بل من الآفات ومهلكات الأخلاق بسبب ما ألحق بالأمّة من الانقسام وتصدّع الصف، يقول قاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني (ت: ٥٠٦ هـ): (لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية)[2]، ويقول: ابن الهمام[3] ـ رحمه الله ـ: قال أبو اليسر: اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز، لما روى مكحول النسفي في كتاب له: أن رفع اليدين في الصلاة عند الركوع والرفع منه مفسد، بناء على أنه عمل كثير... ومنهم من قيَّد جواز الاقتداء بهم كقاضي خان، بأن لا يكون متعصباً ولا شاكّاً في إيمانه، ويحتاط في موضع الخلاف)[4]، وقال مثل هذا البابرتي[5] في كتابه شرح العناية على

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٨٧.

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٥١ ـ ٥٢)، لسان الميزان (٥/ ٤٠٢).

(٣) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السواسي الأصل، الاسكندري، ثم القاهري الحنفي، المعروف بابن الهمام (كمال الدين)، فقيه حنفي، وأصولي ومفسر وعالم بالنحو والصرف والتصوف، ولد بالاسكندرية سنة ٧٩٠ هـ، وقدم القاهرة، ورحل إلى حلب، وجاور الحرمين، كان معظماً عند الملوك وأرباب الدولة، توفي سنة ٨٦١ هـ، أشهر كتبه «فتح القدير للعاجز الفقير» وهو شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي. انظر: الضوء اللامع (٨/ ١٢٧)، البدر الطالع (٢/ ٢٠١)، شذرات الذهب (٧/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٤) شرح فتح القدير للعاجز الفقير (١/ ٣٨١).

(٥) محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي، الرومي الحنفي (أكمل الدين)، فقيه وأصولي ومتكلم ومحدث ومفسر ونحوي، ولد سنة ٧١٠ هـ، ورحل إلى حلب وأقام بها مدة، ثم قدم القاهرة، وكان أرباب المناصب يعظمونه، توفي بمصر سنة ٧٨٦ هـ، ومن أشهر تصانيفه «العناية في شرح الهداية» في فروع الفقه الحنفي، وله حاشية على كشاف الزمخشري، وشرح للفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة. انظر: =

الهداية[1]. وقال النووي ـ رحمه الله ـ: (اقتدى شافعي بحنفي وعكسه، وفيه خلاف، وتعم به البلوى. . . فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي، والحنفي لا يعتقد وجوب نيّة الوضوء، والشافعي يعتقدها، فثلاثة أجه: أحدها ـ وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني[2] ـ لا يصح اقتداؤه، نوى أو لم ينو، لأنه ـ وإن نوى ـ فلا يراها واجبة فهي كالمعدومة، فلا تصح طهارته)[3].

وكل ما سبق وتكلمنا فيه من نشر الفقهاء لمذاهبهم وعلومهم في الأمصار بالأساليب الدعوية المختلفة، فلسنا نتكلم عن هذا النوع المتعصب، المخالف للمنهج القويم. ويقول الإمام الغزالي[4] ـ رحمه الله ـ: (واعلم أنّ المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس والمماراة واستمالة وجوه الناس، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، نسبتها إلى الفواحش

= الدرر الكامنة (٤/ ٢٥٠)، شذرات الذهب (٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، معجم المؤلفين (١١/ ٢٩٨).

(١) انظر شرح العناية على الهداية بهامش فتح القدير للعاجز الفقير (١/ ٣٨١).

(٢) الأستاذ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الإسفراييني الأصولي الشافعي، الملقب بركن الدين، صاحب المصنفات، ونقل الذهبي عنه أنه كان ينكر كرامات الأولياء ولا يجوِّزها، وهذه زلة. توفي بنيسابور سنة ٤١٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣).

(٣) المجموع (١/ ٢٠٢).

(٤) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي، فقيه أصولي، وصوفي متكلم، ولد سنة ٤٥٠ هـ بخراسان، طلب الفقه لتحصيل القوت، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فارتحل إلى بغداد والحجاز ودمشق والقدس والإسكندرية، وللغزالي شطحات صوفية وفلسفية، ربما رجع عنها فيما بعد. صنّف كتباً كثيرة، منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والوجيز في فروع الفقه الشافعي والمستصفى في أصول الفقه. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ١٠١ ـ ١٨٢)، شذرات الذهب (٤/ ١٠ ـ ١٣).

الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس، كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والسرقة)[1]. واشترط الغزالي للمناظرات الشرعية ثمانية شروط[2]:

١ ـ ألا ينشغل العالم بالمناظرة حتى يفرغ من فروض الأعيان.

٢ ـ أن يرى فرض الكفاية أهم منها.

٣ ـ أن يكون المناظر مجتهداً، حتى إذا رأى الحق اتبعه، أما المقلدون الجامدون الذين لا يفتون إلا بقول المذهب، ولا يخرجون عن مذهبهم فلا فائدة من مناظرتهم.

٤ ـ ألا يناظر إلا في المسائل الواقعة أو قريبة الوقوع.

٥ ـ المناظرة في الخلوة أفضل من المناظرة في المحافل، خشية المفسدة. قلت: قد يكون التفصيل أفضل من الإطلاق، بأن تكون المناظرة أفضل في أيهما رجحت المصلحة الظاهرة سواء في الخلوة أو المحافل.

٦ ـ أن يكون المناظر طالباً للحق، يستوي عند ظهوره على يده أو يد غيره.

٧ ـ ألا يمنع مناظره من بيان خطئه والإفصاح عن رأيه.

٨ ـ أن يناظر من يتوقع الفائدة من مناظرته.

٦ ـ كان الشغل الشاغل لأهل العلم منذ القدم أن يصلوا بشرع الله إلى سُدَّةِ الحكم، وهذا من أشق التكاليف الدعوية على عاتق العلماء، وكان سلفنا الصالح لا يتهاونون في قضية تحكيم شرع الله في الأمّة، وربما بذلوا أرواحهم ودماءهم في سبيل تحقيق هذه الغاية، قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال ـ جلّ ذكره ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤٧﴾ [المائدة: ٤٧].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٤٥).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٤٣).

وكان كلما وصل الشرع الإسلامي الحنيف على أيدي الدعاة إلى الحكم، كُلِّف الفقهاء بحل قضايا الأمّة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وفق كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، وبما يتلاءم مع ظروف الناس وأحوالهم، فتدون الدواوين وتوضع الموسوعات العلمية لهذا الغرض، ليُرجع إليها في حكم الناس بشرع الله.

وإن كان التدوين - في الأزمان المتأخرة - ربما اقتصر على مذهب معين تأخذ به الدولة، والذي ربما أدّى إلى التعصب المذهبي، وإقبال بعض طلبة العلم على مذهب الدولة لتقلد المناصب الرفيعة، إلا أنه مع وجود بعض هذه السلبيات، فإن الفقه يجد البيئة الخصبة التي تهيّء له أسباب النمو والازدهار في مؤسسات الدولة العلمية والحكومية، وفي حياة الأمّة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

كان الخلفاء الراشدون وحكام الدولة الأموية، وبعض حكام الدولة العباسية لا يتبنون مذهب إمام بعينه، وكانوا يعظمون أهل العلم وخاصة أهل الاجتهاد منهم، ويسندون القضاء والمناصب لمن برع في علم الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح، فانصرفت الهمم إلى تحصيل علم الكتاب والسنّة والنبوغ فيهما[1]. أمّا بعد ذلك فقد تبنّت الدولة العباسية مذهب أبي حنيفة، ومكنت له، فولى الرشيد[2] أبا يوسف[3] رئاسة القضاء، حتى جاء

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي لعمر سليمان الأشقر ص ١٥٩.

(٢) الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي. كان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، ويحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على لهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ، كما كان يحب المديح، ويجيز الشعراء، محاسنه كثيرة، وله أخبار شائعة في اللهو واللذات والغناء، والله يسمح له. توفي سنة ١٩٣ هـ. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٨/ ٢٣٠)، تايخ بغداد (١٤/ ٥)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٦)، شذرات اذهب (١/ ٣٣٤).

(٣) تقدمت ترجمته ص ٦٢.

الفاطميون ونشروا المذهب الإسماعيلي في مصر ومنعوا المذهب الحنفي. فلما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء في المذهب الحنفي، وأصبح مذهب الدولة الرسمي، فرغب كثيرٌ من أهل العلم في هذا المذهب لتولي القضاء، أما الأمويون في الأندلس فنشروا المذهب المالكي، ونشر الأيوبيون المذهب الشافعي، وكان القضاء في الشام على مذهب الأوزاعي، حتى ولي قضاء دمشق أبو زرعة الدمشقي[1] المتوفى سنة ٣٠٢ هـ، فتحول القضاء إلى مذهب الشافعي، ونشرت الدولة السعودية مذهب الإمام أحمد بن حنبل[2].

ولسنا بصدد الحديث عن آثار تمكين مذهب بعينه من السلطة، ولكننا نتكلم عن نمو الفقه بوصوله إلى السلطة على أيدي الدعاة. فعلى سبيل المثال: فقد أصدر السلطان سليم الأول[3] «فرماناً» اعتمد فيه المذهب الحنفي ونشره بصورة رسمية، وأصبح جميع القضاة والمفتين ملزمين بالإفتاء والحكم وفقاً لهذا المذهب، إلا أنه ترك الناس على مذاهبهم في العبادات،

---

(١) الإمام القاضي أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الثقفي مولاهم الدمشقي، كان جده يهودياً فأسلم، قال الذهبي: (كان أبو زرعة شَـرَطَ لمن حفظ مختصر المزني مائة دينار. وهو الذي أدخل مذهب الشافعي دمشق، وكان الغالب عليه قول الأوزاعي). مات بدمشق سنة ٣٠٢ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨)، النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب لأحمد تيمور ص ٩، مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٨، ظهر الإسلام (١/ ٣٠٠)، تاريخ الفقه الإسلامي لعمر الأشقر ص ١٦١.

(٣) السلطان العثماني الغازي سليم الأول بن بايزيد الثاني، الملقب بـ«ياوز» أي القاطع، ولد سنة ٨٧٥ هـ، وفتح مصر سنة ٩٢٣ هـ، توفي يوم ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ، في السنة التاسعة من حكمه والحادية والخمسين من عمره. انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٨٨.

وأمر السلطان سليمان الأول[1] شيخ الأسلام أبا السعود[2] بجمع القوانين التي أصدرها، فرتبها في مجموعة تعرف باسم «قانون نامة»، كما كلف إمام وخطيب جامع السلطان وهو الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي[3]، أن يجمع أحكام الفقه في كتاب مختصر، فجمع كتاباً مختصراً في الفقه الحنفي سماه: «ملتقى الأبحر»، ولا يزال هذا الكتاب وشروحه من الكتب المعتمدة في الفقه الحنفي، وهو كتاب علمي مدرسي، إلا أنه ليس له صفة التدوين الرسمي.

وأمر السلطان محمد أورنك زيب بهادر عالمكير الهندي (١٠٣٨ ـ ١١١٨ هـ) مجموعة من مشاهير علماء المذهب الحنفي بوضع كتاب جامع لظاهر الروايات[4] المتفق عليها، وأمرهم بجمع النوادر التي تلقها العلماء

---

(١) السلطان العثماني الغازي سليمان خان الأول القانوني، ولد سنة ٩٠٠ هـ، تولى الحكم بعد أبيه سليم الأول سنة ٩٢٦ هـ، فتح بلغراد سنة ٩٢٧ هـ، وتوسعت الخلافة في عهده، توفي يوم ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ. انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٩٨.

(٢) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، فقيه وأصولي ومفسر، وشاعر، وعارف باللغات العربية والفارسية والتركية، صاحب تفسير أبي السعود، المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، توفي بالقسطنطينية في الخامس من جمادى الأولى سنة ٩٨٢ هـ، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري. انظر: شذرات الذهبي (٨/ ٣٩٨)، البدر الطالع (١/ ٢٦١)، معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٢).

(٣) الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي، المتوفى سنة ٩٥٦ هـ، صاحب ملتقى الأبحر في فروع الحنفية، جعله مشتملاً على مسائل القدوري والمختار والكنز والوقاية، بعبارة سهلة، وأضاف إليه بعض ما يحتاج إليه من مسائل المجمع، ونبذة من الهداية، وقدم من أقاويلهم ما هو الأرجح، وأخر غيره واجتهد في التنبيه على الأصح والأقوى، وفي عدم ترك شيء من مسائل الكتب الأربعة، ولهذا بلغ صيته في الآفاق، ووقع على قبوله بين الحنفية الاتفاق. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر لعبد الله بن محمد بن سليمان بداماد أفندي (٢/ ٧٨٢).

(٤) مسائل الأصول تسمى عند الأحناف ظاهر الرواية، وهي مسائل مروية عن أصحاب المذهب، وهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد، ويلحق بهم زفر والحسن بن زياد=

بالقبول، فصنفت اللجنة المشكلة لهذه المهمة كتاب «الفتاوى العالمكيرية» أو «الفتاوى الهندية»، وهو مؤلف ضخم يقع في ستة مجلدات، وهذا المؤلف من المراجع المشهورة المعتمدة في الفقه الحنفي، ولكنه لم يجعل مصدراً رسمياً إلزامياً[1].

وكذلك الدولة السعودية قامت على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] ـ رحمه الله ـ، وبهذه الدعوة تمكن الفقه الحنبلي أن يتبوّأ مكانته المرموقة، واشتغل العلماء بتحقيق كتب الحنابلة ودراستها وشرحها وتدريسها في المعاهد والكليات العلمية، وطباعتها ونشرها وتوزيعها على طلبة العلم، فبذلك نمى الفقه الحنبلي، بتطبيق منهجه والتفريع عليه،

= وغيرهما من تلاميذ الإمام، لكن الغالب الشائع في ظاهر الرواية أن يكون قول الثلاثة (الإمام وصاحبيه)، وكتب ظاهر الرواية للإمام محمد: هي الكتب الستة المروية عن محمد برواية الثقات، أو بالتواتر أو الشهرة، وهي: المبسوط (الأصل) والزيادات والجامع الصغير والجامع الكبير والسير الكبير والسير الصغير، لأنها رويت عن محمد برواية الثقات. وقد جمعت هذه الكتب الستة في مختصر الكافي، لأبي الفضل المروزي المعروف بالحاكم الشهيد، المتوفي سنة ٣٤٤ هـ، ثم شرحه السرخسي في كتابه المبسوط، في ثلاثين جزءًا، وهو المعتمد في نقل المذهب. انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٦٤).

(١) انظر مقدمة في إحياء فقه الشريعة لصبحي المحمصاني ص ١٠٤ ـ ١٠٩.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، مجدد النهضة الدينية الحديثة في جزيرة العرب، ولد في العيينة بنجد سنة ١١١٥ هـ، ورحل إلى الحجاز وزار الشام، ودخل البصرة فأوذي فيها وعاد إلى نجد فسكن حريملاء، ثم انتقل إلى العيينة، داعياً إلى منهج السلف الصالح والتوحيد الخالص، ونبذ الشرك والأوهام والخرافات، فقبل دعوته أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر ونصره، ثم خذله، فارتحل إلى الدرعية سنة ١١٥٧ هـ، فقبل دعوته الأمير محمد بن سعود ونصره وآزره، ثم من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، فما هدأ له بال حتى عمّ بدعوته أرجاء جزيرة العرب، وقارب الشام بوصوله «المزيريب»، تأثر بدعوته رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها. توفي سنة ١٢٠٦ هـ. انظر: تاريخ نجد لحسين غنام ص ١٠ ـ ٧٢، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧).

والإفتاء حسب قواعده وأصوله المستندة إلى كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، كما انتشرت الكليات والمعاهد الشرعية في جميع أنحاء المملكة، وعقدت المؤتمرات الإسلامية للبحوث الفقهية:

١ ـ المؤتمر العالمي للإقتصاد في مكة:

انعقد المؤتمر العالمي الأول للإقتصاد في مكة المكرمة في الفترة (٢١ ـ ٢٦) صفر سنة ١٣٩٦ هـ، ودعت إلى هذا المؤتمر جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وقامت كلية الاقتصاد والإدارة فيها بتنظيمه، واشترك في المؤتمر وفود وشخصيات متخصصة في الفكر الإسلامي والاقتصاد، تمثل معظم الجامعات في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى الوفود القادمة من أوربا وأمريكا، التي تمثل المؤسسات الإسلامية والأقسام العلمية ببعض الجامعات. وقُدِّمَت في هذا المؤتمر الأبحاث الكثيرة في الجوانب المختلفة من الاقتصاد الإسلامي، ونوقشت هذه الأبحاث مناقشة علمية، وصدرت في آخر المؤتمر توصيات كثيرة، من شأنها ـ إذا طبقت ـ أن تعود على الأمّة الإسلامية بالخير، وعلى الفقه الإسلامي بالرقي والتقدم والتطبيق الشامل على مختلف جوانب الحياة[١].

٢ ـ المركز العالمي لأبحاث الإقتصاد بمكة:

وقد أسّس في جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٣٩٧ هـ. لإجراء ودعم وتنسيق الأبحاث العلمية في الاقتصاد الإسلامي، وعقد المؤتمر الثاني في أواخر سنة ١٤٠٢ هـ في إسلام أباد، وكان موضوعه (التنمية والتمويل وتوزيع الدخل والثروة في الإسلام)، كما أصدر مجلة علمية متخصصة في الاقتصاد

---

(١) انظر: التقرير العلمي على المؤتمر الذي قدمه الدكتور فاروق النبهان لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة الكويت، والمدخل للفقه الإسلامي لمحمود الطنطاوي ص ٢١٧، دار النهضة ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

الإسلامي، بالعربية والإنجليزية تصدر مرتين في العام[1].

٣ ـ مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض:

انعقد في مدينة الرياض في غرة ذي القعدة سنة ١٣٩٦ هـ، حتى الثامن منه، وهو المؤتمر الذي دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحضره ١٢٤ عالماً من فقهاء المسلمين ورجال القانون والقضاء والاقتصاد والتربية، وهم يمثلون ٢٦ دولة، وقُدِّم للمؤتمر ستون بحثاً في الموضوعات التي تهم العالم الإسلامي، وأنهت الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية طباعة البحوث الفقهية المقدمة إلى المؤتمر، وصدرت هذه الأبحاث في ستة مجلدات[2].

٤ ـ مجمع الفقه الإسلامي بجدة:

قرّر المؤتمر الإسلامي الثاني عشر لوزراء الخارجية إنشاء مجمع الفقه الإسلامي في مدينة جدة لتكون المقر الأساسي للمجمع، وللمجمع أن ينشيء فروعاً ومكاتب في أي بلد إسلامي، وكان هدف المجمع:

أ ـ تحقيق الوحدة الإسلامية نظرياً وعملياً وفق الشريعة الإسلامية.

ب ـ شد الأمة الإسلامية لعقيدتها، ودراسة مشكلات الحياة المعاصرة، والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً لتقديم الحلول الشرعية لها[1].

فكل هذا الازدهار الفقهي الذي تزخر به المؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية، وينعم به فقهاء المملكة إنما يرجع فضله لله تعالى أولاً، ثم للجهود الدعوية المضنية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب وصحبه، عسى الله أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناتهم يوم القيامة، فعن

---

(١) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي لعمر سليمان الأشقر ص ٢١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[1].

الخلاصة:

إن نصوص الفقه الإسلامي المدونة في الكتب، والمحفوظة في نفوس الفقهاء وعلماء الأمّة، لا يمكن تحويلها إلى أرض الواقع، وتطبيقها في حياة الأمّة العملية بما يتناسب مع ظروفهم وأحوالهم إلا بالدعوة القويمة، وبدونها يظل الفقه جامداً في الكتب على التطبيق النظري القديم، الملائم لأحوال الأمم الغابرة.

ولا نقصد من نمو الفقه بالدعوة التكاثر النظري المحض للمسائل الفقهية، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»[2]، وإنما نعني انتشار الفقه وعلومه في الأمّة، وزيادة ما يعرفه الناس ويطبقونه من أمر دينهم وحكم ربهم في كل أمر يعرض لهم في حياتهم، وترسيخ الفقه المنهجي، القادر على حل مشاكل المسلمين، ومخاطبتهم بلغتهم وواقعهم لا بلغة وواقع السابقين، كالفقه الذي لا ينص إلا على أوزان السابقين ومقاديرهم ومكاييلهم ومسافاتهم وأنصبتهم، ولم يعد المسلم المعاصر قادر على فهمها وتمييزها، كمقادر القلتين بالرطل العراقي أو الشامي، ونصاب الزكاة بالمثقال والدراهم القديمة، ومسافة القصر بالفراسخ، فيضطر الفقيه

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عن ما لا ضرورة فيه، أو لا يتعلق به تكليف، أو ما لا يقع، ونحو ذلك ٤/ ١٨٣٠).

الممارس للعمل الدعوي إلى ترجمة ذلك إلى لغة العصر، ليفهم الناس شرع ربهم ويطبقوه.

كما أنّ الدعوة تزيد من عدد الطالبين للفقه، سواء من المسلمين الذين كانوا معرضين عن الحق ثم أقبلوا على الله، أو المعتنقين حديثاً للإسلام من غير المسلمين، أو بزيادة الرقعة التي يسودها شرع الله بالدعوة والجهاد.

والدعوة المخلصة لله ـ تعالى ـ والحريصة على مصالح المسلمين تكون قادرة على تحقيق الفقه الصحيح الذي يربط الأمّة بربها، ويحقق مرضاة الله ـ عزّ وجلّ ـ ومحبته، لا الفقه الجدلي العقيم، كفقه أهل الكلام، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: (حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، يحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، وينادي عليهم، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنّة وأقبل على علم الكلام)[1].

فالتنمية الفقهية بممارسة العمل الدعوي تنمية مستمرة باستمرار الدعوة، تقوم على التنقيح والتصحيح المستمر، المتفاعل مع الواقع، وعلى تعديل المسار الفقهي وتقويمه، وتثبيت أهل الفقه، وشحذ هممهم على العطاء المستمر للأمّة، وتنحية الغث ليحل محله السمين النافع للأمّة.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٥٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٧٣).

المبحث الثاني
دور الدعوة في حماية الفقه الإسلامي

الدعوة حمايةٌ للفقه من نواح عديدة، بنشره وترسيخه وإعماله في الأمّة، وصيانةٌ له من التحريف والتبديل، أو حمل النصوص على غير مراد الشارع، ومواجهةٌ للعابثين بفقه الكتاب والسنّة من الفرق الضالّة، بالصمود أمامهم، وإقامةِ الحجة عليهم. كما أنّ الدعوة حمايةٌ للفقه من الجمود والتنحية عن الحياة بعدم تطبيقه على مستوى الحاكم والمحكوم، أو تحكيمه تحكيماً جزئياً غير مؤثر في حياة الأمّة.

فالدعوة وحدها هي القادرة على إبراز الفقه على الساحة العملية ليمارس دوره في توجيه الأمّة، وهي وحدها القادرة على حماية الفقه ليجتاز العقبات والمحن التي تتربص بشرع الإسلام، سواء بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، أو بالقوّة وحد السيف والجهاد.

ويتضح ذلك بدراسة نماذج من الأئمة الذين تصدّوا لحماية الفقه الإسلامي من التغيير والتبديل، فبذلوا أنفسهم فداء لذلك.

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ هـ ـ ٢٤١ هـ)[١]:

الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن

(١) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢ ـ ٥)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٢ ـ ٣١٣)، سيرة الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، حلية الأولياء =

إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، إمام علم، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ، وجاءت أمّه حاملاً به من مرو التي كان أبوها بها، ونسبه عربي لأمه وأبيه، أبوه شيباني وأمه كذلك، فلم يكن أعجمياً ولا هجيناً، بل كان عربياً خالصاً. نشأ الإمام أحمد نشأة فقيرة مع نسب رفيع، وورث أحمد الورع والتقوى عن أبويه، فكان على خلق قويم، ومسلك كريم.

اختار أحمد مسلك أهل العلم منذ صباه، وتوجه في صدر حياته إلى الفقه وأهل الرأي كأبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ثم بعد ذلك ترك ذلك، واختار رجال الحديث، قال الخلال[1]: (كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها). بدأ ـ رحمه الله ـ في طلب الحديث سنة ١٧٩ هـ، واستمرّ مقيماً ببغداد يأخذ من شيوخ الحديث فيها سبع سنين، كان يكتب كل ما سمع حتى سنة ١٨٦ هـ، ثم ارتحل في هذه السنة إلى البصرة، ثم رحل إلى الحجاز في العام الذي تلاه، ثم توالت رحلاته بعد ذلك بين البصرة والحجاز واليمن والكوفة، فرحل إلى البصرة خمس مرات، وإلى

= (٩/ ١٦١)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢ ـ ٤٢٣)، طبقات الحنابلة (١/ ٤ ـ ٢٠)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٩)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣١)، العبر (١/ ٤٣٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨)، ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للذهبي، تهذيب التهذيب (١/ ٧٢ ـ ٧٦)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥ ـ ٣٤٣)، المنهج الأحمد (١/ ٥١)، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦)، الفهرست لابن النديم ص ٢٢٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٠١، شذرات الذهب (٢/ ٩٦ ـ ٩٨)، أحمد بن حنبل لأبي زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، الأعلام للزركلي (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٩٦ ـ ٩٧).

(١) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، المعروف بأبي بكر الخلال، محدث وفقيه، ولد سنة ٢٣٤ هـ، أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحاب أحمد بن حنبل، توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١٤)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٧ ـ ٨)، تاريخ بغداد (٥/ ١١٢ ـ ١١٣)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦١).

الحجاز خمس مرات، التقى في أولاها سنة ١٨٧ هـ بالإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ، وكان يود أن يرحل إلى الري، ولكن أقعده عن ذلك عظم النفقة عليه، وكان أحمد ـ رحمه الله ـ معنياً بتدوين كل ما يسمع من أحاديث رسول الله ﷺ وآثار الصحابة، غير معتمد على الحافظة وحدها، ومع أنه أودع قلبه الأحاديث والإسناد، لكنه ما كان يحدث إلا من كتاب، ويوصي تلامذته بذلك، كما عُني الإمام أحمد بالتخريج الفقهي وأصول الاستنباط ومنهاجه، فكان يطلب علم الفقه مع علم الرواية.

يقول ابن الجوزي[١]: (إن أحمد لم ينصب نفسه للحديث والفتوى إلا بعد الأربعين)، ويقول محمد أبو زهرة: (ولسنا نستطيع أن نقرّر أنّ أحمد قد استفتي فيما يعلم فيه أثراً وامتنع عن الفتوى قبل هذه السن، أو سئل حديثاً وامتنع عن ذكره، بل إننا نقطع بنقيض ذلك، لأنه إن امتنع كان كاتماً للعلم، حائلاً دون نشر حديث رسول الله ﷺ، وقد نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن كتمان العلم، والدين يوجب إفشاء أحاديث رسول الله ﷺ ونشرها).

قلت: إنما لم يعقد لنفسه مجلساً للفتوى والتحديث قبل سن الأربعين، لا أنه امتنع عن التحديث والفتوى قبل هذه السن، وهو أهل لها. وكان للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مجلسان للدرس والتحديث، أحدهما في منزله، يحدث فيه خاصة تلاميذه وأولاده، والثاني في المسجد يحضر إليه العامة والتلاميذ، والذي ربما حضره خمسة آلاف، منهم نحو خمسمائة

---

(١) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي، التيمي البكري البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، محدث حافظ مفسر فقيه واعظ أديب مؤرخ، ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ تقريباً، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣١)، النجوم الزاهرة (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٦)، شذرات الذهب (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣١)، معجم المؤلفين (٥/ ١٥٧).

يكتبون. وكان مجلس الإمام أحمد يسوده الوقار والسكينة مع تواضع واطمئنان، لا يمزح في مجلسه ولا يلهو أحد، فعن خلف بن سالم[1] أنه قال: (كنا في مجلس يزيد بن هارون[2]، فمزح يزيد مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فضرب يزيد بيده على جبينه، وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هنا، حتى لا أمزح).

وكان لا يلقي الدرس من غير طلب، ولكنه إذا سئل عن الأحاديث المروية في موضوع، أحضر الكتب التي دوَّن فيها تلك الأحاديث وحدث منها، وكان لا يحدث إلا من كتاب، إبعاداً لمظنّة الخطأ، ونادراً ما يروي من غير كتاب، فعدوا عليه ما لا يتجاوز مائة حديث في حياته حدثها من ذاكرته، يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل[3]: (ما رأيت أبي حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث). ويقول المروذي[4] صاحب الإمام أحمد:

---

(١) أبو محمد خلف بن سالم المُخَرِّمي، البغدادي المُهَلَّبي مولاهم، السندي، ثقة حافظ، صنف المسند، عابوا عليه التشيع وتتبع الغرائب، مات سنة ٢٣١ هـ، وله نحو من سبعين. لم يرو له من أصحاب الكتب الستة إلا النسائي. سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٨)، تقريب التهذيب (١/ ٢٢٥).

(٢) أبو خالد يزيد بن هارون بن زادان السّلمي، مولاهم الواسطي، الحافظ، ولد سنة ١١٨ هـ، قال ابن حجر: ثقة متقن عابد، وقال الذهبي: كان رأساً في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن، مات سنة ٢٠٦ هـ، وقد قارب التسعين، روى له أصحاب الكتب الستة. سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣١٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٢)، شذرات الذهب (٢/ ١٦).

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، ولد الإمام، ثقة، مات سنة ٢٩٠ هـ، وله بضع وسبعون سنة. تقريب التهذيب (١/ ٤٠١).

(٤) الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، صاحب الإمام أحمد، كان والده خوارزميا وأمه مروذية، ولد في حدود المائتين. قال الذهبي: كان إماماً في السنة، شديد الاتباع، له جلالة عجيبة ببغداد، توفي سنة ٢٧٥ هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦ ـ ٦٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣١ ـ ٦٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٦).

(لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم، مُقْصِراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، بل كان كثير التواضع، تعلوه سكينة ووقار، إذا جلس مجلسه بعد العصر، لم يتكلم حتى يُسأل). وكان لا يسمح لتلاميذه أن يدونوا فتاويه الفقهية واستنباطاته، ولا يسمح أن ينقلوها عنه، حيث أنه كان لا يستجيز التدوين إلا لأحاديث رسول الله ﷺ، ويرى أنّ علم الدين وحده هو علم الكتاب والسنّة، وبلغه أن بعض تلاميذه روى عنه مسائل ونشرها بخراسان، فقال: (اشهدوا أني رجعت عن ذلك كله)، وجاء إليه رجل خراساني بكتب، فنظر في كتاب من بينها، فوقع نظره على كلام له، فغضب ورمى الكتاب من يديه، فكان يبغض أن تدون فتاويه، وربما أنكر نسبتها إليه، لأنه لم يحفظها بل لم يقصد حفظها أصلاً، وكان قد رجع عنها.

عاش الإمام أحمد تقياً ورعاً مطمئناً هادئاً داعية إلى منهج السلف، يحث أصحابه على أن يسلكوا هذا المنهج القويم.

دعوة الإمام أحمد بن حنبل ومحنته:

كانت دعوته سلفية خالصة، لا يخوض إلا فيما خاض الصحابة فيه، يقف حيث يقفون، ويكف عمّا كفّوا عنه، يقفو آثارهم، ويتبع نهجهم وسننهم، ويحفظ آراءهم ويتّبعها، ولا يقفو ما ليس له به علم، لأنه كان يعتقد أن الخروج عن تلك الجادة زيغ عن منهج السلف، فلا يتكلف التعمق في المسائل العقلية الكلامية التي لا جدوى من ورائها، والتي تقسي القلب وتصد عن سبيل العبادة.

ظلّ الإمام أحمد يدعو إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ مطمئناً على المنهج الذي أسلفنا حتى جاءت المحنة، وجاء البلاء، عندما دعا المأمون[1] الفقهاء

---

(١) تقدّمت ترجمته ص ١٨٢.

والمحدثين، وحملهم ـ بقوّة السلطان ـ على أن يقولوا مقالته بخلق القرآن، كما يقول أصحابه من المعتزلة.

فأرسل المأمون كتابه وهو بالرقة[1] إلى إسحاق بن إبراهيم[2] ـ نائبه في بغداد ـ بامتحان الفقهاء والمحدثين، ليحملهم على القول بخلق القرآن. فسارع إسحاق بن إبراهيم إلى تنفيذ رغبته، فأحضر المحدثين والفقهاء والمفتين، وفيهم أحمد بن حنبل، وأنذرهم بالعقوبة الصارمة، والعذاب الأليم إن لم يستجيبوا إلى ما ارتآه المأمون من خلق القرآن، فاستجاب الكثير من الفقهاء لذلك المذهب، إلا أربعة منهم، ربط الله على قلوبهم، وآثروا الباقية على الفانية، وهم أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح[3] والقواريري[4] وسَجَّادة[5]، فشدوا في الوثاق وكبلوا بالحديد، وباتوا ليلتهم مصفدين في

---

(١) مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في جزيرة العرب، لأنها من جانب الفرات الشرقي. معجم البلدان (٣/ ٥٩).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي أمير بغداد، وليها نحواً من ثلاثين سنة، وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون في خلق القرآن، وكان سائساً صارماً جواداً، له فضيلة ومعرفة ودهاء، مات سنة ٢٣٥ هـ. سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧١).

(٣) قال أحمد بن حنبل: (ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، قال لي ذات ليلة: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتقِّ الله، واثبت لأمر الله، فمات وصليت عليه ودفنته). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤٢).

(٤) الإمام الحافظ أبو سعيد عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجُشمي، مولاهم البصري، القواريري الزجاج، نزيل بغداد، ولد سنة ١٥٢ هـ تقريباً، من رجال الصحيحين، وثقه يحيى بن معين والنسائي، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن حجر: ثقة ثبت. توفي سنة ٢٣٥ هـ وله خمس وثلاثون سنة. انظر: الجرح والتعديل (٥/ ٣٢٧)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠ ـ ٤٢)، تقريب التهذيب (١/ ٥٣٧).

(٥) الإمام أبو علي الحسن بن حماد بن كُسَيْب الحضرمي البغدادي، قال أحمد بن حنبل: كان صاحب سنة. قال الذهبي: كان من جِلة العلماء وثِقاتهم في زمانه، =

الأغلال، فلما كان الغد أجاب سجادة إسحاق فيما يدعوه إليه، فخلوا سبيله، ثم في اليوم التالي أجابهم القواريري، ففكوا قيوده، وبقي اثنان فسيقا مكبلين بالحديد إلى المأمون بطرطوس[1]، فاستشهد محمد بن نوح في الطريق. ومات المأمون وقد سيق إليه أحمد مقيداً بالأغلال، ومصفداً بالحديد، لكن موته لم ينه المحنة، بل ابتدأت تأخذ دوراً أقسى وأشد، وذلك أن ضمن ما أوصى المأمون أخاه المعتصم[2] أمران: أحدهما: وصية بالاستمساك بدعوته في مسألة خلق القرآن. ثانيهما: وهو الأشد، الاستمساك بأحمد بن أبي دؤاد[3]، وذلك أنه صاحب الفكرة في حمل الناس على ذلك القول بقوة السلطان وعنف الامتحان، وإنزال البلاء والسجن والتقييد ووضع الأغلال. والمعتصم لم يكن رجل علم، بل كان رجل سيف، لا يضعه عن عاتقه، فترك أمر خلق القرآن لابن أبي داؤد يدبر الأمر فيه، لينفذ وصية المأمون في ذلك. فأعيد أحمد بن حنبل إلى سجن بغداد، حتى يصدر في شأنه أمر، وحاول المعتصم مع الإمام أحمد شتى الوسائل من الترغيب

= توفي سنة ٢٤١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، شذرات الذهب (٢/ ٩٩).

(١) طرطوس بلد بالشام، مشرفة على البحر قرب عكا. معجم البلدان (٤/ ٣٠).

(٢) المعتصم، هو محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٨٠ هـ، بويع في عهد المأمون في ١٤ رجب سنة ٢١٨ هـ، وامتحن الناس بخلق القرآن، وشدد على الإمام أحمد وضربه بالسياط، وكتب إلى الأمصار يأمرهم بالقول بخلق القرآن، وبقي القول بخلق القرآن حتى أزاله المتوكل على الله (جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد) بعد أربعة عشر عاماً، مات المعتصم في ١١ ربيع أول سنة ٢٢٤ هـ، وله ٤٧ سنة وسبعة أشهر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦).

(٣) أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك المعتزلي، ولد سنة ١٦٠ هـ، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم الواثق، وأعلن مذهب المعتزلة وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأنّ الله لا يُرى في الآخرة، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين، وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح، توفي في محرم سنة ٢٤٠ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣١٩ ـ ٣٢٢).

والترهيب ليحمله على القول بخلق القرآن، فلم يُجِدْ ذلك شيئاً، فأنفذ فيه وعيده، فضربوه بالسياط مرة بعد مرة، في كل مرة لا يترك حتى يغمى عليه، وينخس بالسيف فلا يحس به، وتكرر ذلك مع حبسه نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، فلما استيأسوا منه أعادوه إلى بيته وقد أثخنته الجراح، وأثقله الضرب المبرح المتوالي. عاد الإمام أحمد إلى بيته وهو لا يقوى على السير، وقد انتصر لدين الله وحفظ للأمة عقيدتها، وظلّ الإمام أحمد منقطعاً عن الدرس والتحديث حتى التأمت جراحه، ورد الله عليه عافيته، واستطاع أن يخرج إلى المسجد، فأخذ يحدث ويدرس حتى مات المعتصم، فلما تولى الواثق[1] أعاد المحنة على الإمام أحمد، إلا أنه لم يتناوله بالضرب بالسياط كما فعل المعتصم، حيث رأى أنّ ذلك زاده منزلة عند الناس، كما زاد ذيوع فكرته، وسخط العامة، ونقمة من سماهم ابن أبي دؤاد حشو الأمة، ولقد كانت حجة الإمام أحمد دامغة بالغة القوة، حتى أنّ الحاشية الذين كانوا يستمعون إلى المناظرات أفحمتهم حجة الإمام أحمد، وولدت لديهم قناعات بصحة دعوة الإمام أحمد، فقد دخل عبادة المُضَحِّك على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين! أعظم الله أجرك في القرآن، قال: ويلك، القرآن يموت؟ قال: يا أمير المؤمنين! كل مخلوق يموت بالله يا أمير المؤمنين بم يصلي الناس التراويح. فضحك الواثق، وقال: قاتلك الله، أمسك!

ولما تولى الواثق الخلافة قال للإمام أحمد: (لا تَجْمَعَنَّ إليك أحداً، ولا تساكني في بلد أنا فيه). فأقام أحمد مختفياً، منقطعاً عن الدرس مدة تزيد على خمس سنوات، حتى مات الواثق، عاد بعدها إلى الدرس

---

(١) الواثق بالله، هو هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٩٦ هـ، وبويع بالخلافة بعد المعتصم في ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٣٠٦).

والتحديث عزيزاً مكرماً، ترفعه عزة التقوى وحسن البلاء وجلال السن والقناعة والزهد.

ما كان للإمام أحمد أن يتراجع، أو يستخدم التقية مع المعتزلة، لأنه إمام متبوع، وإلا لضلّ الناس وفسد اعتقادهم، لأنهم سيظنون أنّ ذلك حق، فتحمَّل ـ رحمه الله ـ الضرر الخاص في سبيل تحقيق المصلحة العامة العظمى، فما كان من سبيل إلى حماية الحق ونشره إلا بالخضوع للبلاء والامتحان في بدنه.

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية[1]:

الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي، ولد سنة ٦٦١ هـ بحرّان، ثم ارتحل إلى دمشق بعد الغزو التتري لحرّان، مات أبوه سنة ٨٨٢ هـ وهو في الحادية والعشرين من عمره، وعاشت أمه حتى رأته وقد أصبح المجاهد الأول في عصره لإحياء الشريعة ورفع الأوهام عنها، وقد عاونته أمه في جهاده ببرها وحَدَبِهَا وعطفها.

بلغ ابن تيمية من العلم شأناً عظيماً، حتى إنه كان يلقي دروسه من ذاكرته الواعية دون أن يستعين بقرطاس أو كتاب، وكان يتمتع بقوة حفظ وسعة إدراك وسرعة بديهة، وقوة حجته تدهش مناظره وتحيره.

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٤/٢٧٨)، البداية والنهاية (١٤/١٣٢ ـ ١٤١)، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٢)، البدر الطالع (١/ ٦٣ ـ ٧٢)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤ ـ ١٦٠)، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٠ ـ ٢٨)، الرد الوافر لابن ناصر الدين ص ٢٦ ـ ١٩٤، ابن تيمية حياته وعصره لأبي زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٠٠، العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لمحمد بن عبد الهادي، جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين لنعمان الآلوسي، معجم المؤلفين (١/ ٢٦١).

حفظ ابن تيمية القرآن صغيراً، وتوجه إلى طلب الحديث على كبار المشايخ، فسمع منهم دواوين الإسلام الكبيرة كمسند أحمد بن حنبل وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة والدارقطني، وحفظ الجمع بين الصحيحين للحميدي، كما توجه مع طلب الحديث إلى طلب الفقه الحنبلي، وحفظ كثيراً من المنظوم والمنثور وأخبار العرب، وبرع في النحو وعلوم اللغة العربية، كما ألم بآراء الفلاسفة ومناهجهم واتجاهاتهم، فنقدها ونقضها.

اتجه كثير من العلماء إلى أمراء مصر يشكون ابن تيمية بسبب موقفه من آراء أبي الحسن الأشعري في العقيدة، والتي كانت تقدس في مصر، فدعي إلى مصر بكتاب ظاهره الخير، فعزم الشيخ على الرحيل فحذره السلطان الناصر بن قلاوون[١] في دمشق بما يُبيَّتُ له بمصر، إلا أن ابن تيمية كان من طبيعته أن يواجه الأمور ويركب الصعب للذب عن الدعوة السلفية، فأبى إلا الذهاب إلى مصر. وصل الشيخ مصر سنة ٧٠٥ هـ، واستعد خصومه في مصر لاستقباله لتدبير ما سينزلون به، فناظره القاضي المالكي زين الدين بن مخلوف[٢]، فقال: تقول: «إن الله فوق العرش حقيقة، وأنه يتكلم بحروف

---

(١) السلطان الملك الناصر محمد بن سيف الدين قلاوون الصالحي النَّجمي الألفي، سلطان مصر والشام، ولد سنة ٦٨٤ هـ، وكانت ولايته الأولى على مصر سنة ٦٩٣ هـ، واستمرت سنة واحدة إلا أياماً، أما ولايته الثانية عليها فكانت سنة ٦٩٨ هـ، واستمرت إلى سنة ٧٠٨ هـ، حيث ذهب إلى الحج ثم ثنى عزمه عن الحج وتوجه إلى الكرك وخلع نفسه، وتسلطن بعده بيبرس الجاشنكير، وفي سنة ٧١٠ هـ عاد الملك الناصر إلى ملك مصر مرة ثالثة، واستمرت ولايته حتى توفي سنة ٧٣٢ هـ. انظر: النجوم الزاهرة (٨/ ٤١، ١١٥، ٢٣٣)، (٩/ ٣، ٣٢٥).

(٢) قاضي القضاة زين الدين أبو الحسن علي بن رضي الدين مخلوف بن تاج الدين ناهض المالكي النويري، ولد سنة ٦٢٠ هـ، ولي القضاء بمصر سنة ٦٨٥ هـ، واستمرت مدة ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة تقريباً، توفي في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٧١٨ هـ. انظر: النجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٢).

وصوت»، فحمد ابن تيمية الله وأثنى عليه، فقيل له: أجب ولا تخطب، فعلم أنها محاكمة وليست مناظرة، فقال ابن تيمية: من الحاكم؟ فقيل له: القاضي المالكي، فقال له الشيخ: كيف تحكم وأنت خصمي؟! فغضب القاضي غضباً شديداً، وأمر بحبس الشيخ، وشارك ابن تيمية في السجن أخواه، شرف الدين ومجد الدين اللذان حضرا معه إلى مصر، ولم يستطع القاضي الحنبلي ـ القاضي الرابع في مجلس القضاة الذي يمثل المذاهب الأربعة ـ الدفاع عن ابن تيمية والحنابلة لضعفه، فأدى ذلك إلى نزول أشد الأذى بالحنابلة بمصر، يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «حصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة، وذلك لأن قاضيهم كان قليل العلم مزجي البضاعة، فلذلك نال أصحابه ما نالهم»[(١)]، ومكث الشيخ في السجن سنة، بعدها رأى حا كم القاهرة أن ذلك ظلم لا يتفق مع الدين، حيث إن ابن تيمية هو الذي قاد الجموع وحرك الجيوش وتقدم للموت في مواجهة التتار.

وما أن خرج ابن تيمية من السجن حتى باشر عمله الدعوي، فأخذ يدرس العامة والخاصة في المساجد، ويخطب على المنابر، ومكث على ذلك ستة أشهر، حتى صار له في مصر مُحِبُّون كما كان له في الشام.

وما أن انتهت محنة ابن تيمية الأولى حتى ابتلاه الله بالصوفية في مصر، الذين تصدى لهم ولأفكارهم المخالفة لشرع الله وصريح نصوص الكتاب والسنة، كوحدة الوجود[(٢)] التي نادى بها محي الدين بن عربي[(٣)] ومن بعده

---

(١) البداية والنهاية (٤/٣٨).

(٢) وحدة الوجود مذهب صوفي فلسفي ظهر في التصوف في القرن السادس الهجري على يد محي الدين بن عربي بصورته المتكاملة، وغاية المذهب هو الوصول إلى الله والاتحاد به والفناء فيه، ولهذا وجه المتصوفة سلوكهم نحو تحقيق هذه الغاية. وتتلخص فلسفة ابن عربي في وحدة الوجود في قوله: (سبحان من أظهر الأشياء وهو عيناها). تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر: فلسفة وحدة الوجود ص ١٧، ١٦١.

(٣) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المكنى بأبي =

ابن الفارض[1] الشاعر المصري المتوفى سنة ٦٣٢ هـ، وكالفناء[2] والاتحاد[3] والشهود[4] بتربية النفس وتهذيب الروح، فيتصلون بالذات العلية وترفع عنهم التكاليف.

فتقدم ابن عطاء الله السكندري[5] ـ وهو صوفي له مكانته عند العامة ـ

= بكر، والمشهور بمحي الدين بن عربي، والملقب بالشيخ الأكبر. ولد في مرسيه جنوب شرق الأندلس سنة ٥٦٠ هـ، ثم انتقل مع أهله إلى إشبيلية سنة ٥٩٨ هـ، وزار قرطبة وحفظ فيها القرآن والحديث والفقه على بعض تلاميذ ابن حزم الظاهري، والتقى ابن رشد، ثم توجه إلى مكة، ثم زار مصر وسوريا وبغداد والموصل وآسيا الصغرى، وألّف الفتوحات المكية وفصوص الحكم. ثم استقر في دمشق وأقام فيها حتى وفاته سنة ٦٢٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)، لسان الميزان (٣١١/٥)، شذرات الذهب (١٩٠/٥)، معجم المؤلفين (٤٠/١١).

(١) شرف الدين أبو حفص عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المعروف بابن الفارض، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ، اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عن الحافظ المنذري، ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة والخرابات، وذهب مكة في غير أشهر الحج، فجعل يكثر العزلة في واد بعيد عن مكة، وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، توفي بالقاهرة سنة ٦٣٢ هـ. انظر: لسان الميزان (٤٨٣/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢٢)، شذرات الذهب (١٤٩/٥ ـ ١٥٣)، معجم المؤلفين (٣٠١/٧).

(٢) للفناء ثلاث مراتب عند الصوفية: الأولى: فناء الصوفي عن نفسه وصفاته، ببقائه بصفات الحق. والثانية: فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق. والثالثة: فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق. انظر: فلسفة وحدة الوجود ص ٣٤.

(٣) الاتحاد بالله هدف الصوفية، ومعناه عندهم: شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق فيتحد به، من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به، فإنه محال. وقيل الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً. انظر: المصدر السابق ص ٣٤، التعريفات للجرجاني ص ٦.

(٤) الشهود رؤية الحق بالحق. التعريفات للجرجاني ص ١٣٥.

(٥) تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السّكندري المالكي =

بالشكوى على ابن تيمية، وكانت شكوى الصوفية جماعية، فأمر الحاكم بعقد مجلس بدار العدل، وحضر ابن تيمية يشق الجموع ثابت الجنان، مع أنه قد قيل له: «إن الناس قد جمعوا لك»، فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، مصداقاً لقوله ـ جل ذكره ـ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فتناقش ـ رحمه الله ـ مع الخصوم بالحجة الظاهرة، والبينات القاهرة، دون تعقيد أو تلبيس، فانتصر عليهم. وتكاثرت اجتماعات الصوفية ضد الشيخ، وأخذوا يثيرون الشبه حوله، حتى ضاقت الدولة ذرعاً من كثرة المجادلات، ولم تجد سبيلاً إلى إسكات ذلك إلا بإسكات الضيف، فخيروه بين: الذهاب إلى الإسكندرية أو العودة إلى دمشق على ألا يعلن ما يراه من عقيدة السلف، أو السجن، فقال: «السجن أحب إلي»، لأنه يرى الحرية حرية الفكر الصحيح ولو كان قامعاً في سجنه، لا حرية البدن مع تقييد الفكر الصحيح وحبسه. وحاول تلاميذه رده عن عزمه ليختار الرحيل إلى دمشق، فأبى الشيخ. فأعيد ابن تيمية إلى المحاكمة، إلا أن القضاة والفقهاء في هذه المرة نظروا إلى ابن تيمية نظرة تقدير واحترام، لأنهم لا يرون وحدة الوجود والفناء في الذات الإلاهية، فكان في نظرهم مدافعاً عن الإسلام، باذلاً نفسه لحماية عقيدة الإسلام. لم يلبث ابن تيمية في السجن إلا قليلاً، حتى خرج بقرار من مجلس للقضاة والفقهاء. فبعد أن خرج من سجنه أكب الناس على مجلس علمه، وما كانت محنته مع الصوفية إلا انتصاراً للحق وابن تيمية.

وبدأت معركة ابن تيمية الحقيقية بعد أن عزل السلطان الناصر بن قلاوون نفسه، وتولى الأمر من بعده الملك المظفر بيبرس الجاشنكير[1]،

= الصوفي الواعظ، يدعي علم أهل الحقائق وأرباب الطرق، توفي سنة ٧٠٩ هـ. النجوم الزاهرة (٨/ ٢٨٠).

(١) السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير، أصله من مماليك المنصور قلاوون البُرْجية، وكان جَرْكَسي الجنس، تسلطن على مصر في =

حديث كان نصر المنبجي[1] شيخ بيبرس من أتباع ابن عربي، وكان له تأثير عظيم على تفكيره وتوجهاته، علاوة على أن بيبرس كان يرى ابن تيمية حليف غريمه السابق الناصر قلاوون، فوجد السلطان وشيخه أن أفضل وسيلة للتخلص من ابن تيمية نفيه إلى الإسكندرية، إذ قد صار له أتباع وأنصار في القاهرة، وحتى الفقهاء أخذوا يناصرونه، أما في الإسكندرية، فلا ولي له ولا نصير، ورجوا أن يقتل غيلة، إلا أن أخبار ابن تيمية وفضله سبقته إلى الإسكندرية، فالعلم نور يصل شعاعه إلى كل مكان ما لم تحجبه الظلمات، وكان سفره إلى الإسكندرية سنة ٧٠٩ هـ، فأخذ يعقد المجالس للدرس والوعظ والتوجيه، ومكث على ذلك سبعة أشهر، إلى الوقت الذي عاد فيه الناصر بن قلاوون إلى الحكم بعد الاعتزال، إلا أنه وجد له خصماً عنيداً في الإسكندرية يقال له ابن سبعين[2]، ينهج منهجاً بين الفلسفة والتصوف، حيث كان فيلسوفاً صوفياً. عاد الشيخ مكرماً إلى مصر بعد أن جلس الناصر على عرش مصر، فأراد الناصر أن ينتقم من العلماء والقضاة الذين آذوه، فجاء ابنَ تيمية الذين أساؤوا إليه يعتذرون، فأفتى أن دماءهم حرام عليه،

= شوال سنة ٧٠٨ هـ، وكان الملك المظفر ملكاً ثابتاً كثير السكون والوقار، جميل الصفات، وحسنت سيرته، وانتهت سلطنته في رمضان سنة ٧٠٩ هـ. النجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٢)، (٨/ ٢٧٦).

(١) أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المَنْبِجِيّ الحنفي، ولد سنة ٦٣٨ هـ، كان عالماً زاهداً متقشفاً معتزلاً عن الناس، برع في الفقه والتصوف، وأقبل عليه ملوك عصره، توفي بزاويته (زاوية نصر خارج باب النصر من القاهرة) في جمادى الآخرة سنة ٧١٩ هـ بالقاهرة، ودفن خارج الزاوية. انظر: خطط المقريزي (٢/ ٤٣٢)، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٤).

(٢) قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي المرسي القزوطي العكي، الشهير بابن سبعين، ولد سنة ٦١٤ هـ، انتحل التصوف، وقال بوحدة الوجود، وكان ضليعاً فيه، وقدم القاهرة، ثم حج وتوفي بمكة سنة ٦٦٩ هـ. انظر: العبر في خبر من غبر (٣/ ٣٢٠)، لسان الميزان (٣/ ٣٩٢)، شذرات الذهب (٥/ ٣٢٩).

وأنه لا يحل إنزال الأذى بهم، فقال السلطان: «إنهم قد آذوك، وأرادوا قتلك مراراً»، فقال ابن تيمية: «من آذاني فهو حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، ولا أنتصر لنفسي».

في هذه المرحلة بدأ خصوم ابن تيمية من الفقهاء والصوفية بتحريض العامة عليه وتحريشهم به، ولكنهم نسوا أن ابن تيمية قد آتاه الله من الحكمة والبلاغة وقوة الحجة ما يمكنه من استيعاب العوام قبل الخواص.

بعد أن أدى الشيخ رسالة العلم والتقوى في مصر، فوعظ وعلم وجاهد في سبيل الحق، وتحمل الأذى لحماية شرع الله، ولكنه عاد أيضاً لداعي الجهاد سنة ٧١٢ هـ، حيث أعدَّ الناصر جيشاً كثيفاً لملاقاة التتار الذين قصدوا دمشق ليعثوا في الأرض مفسدين، فطلب الناصر من ابن تيمية أن يصحبه في هذا الجهاد، وما كان الشيخ ليتلكأ عن الجهاد، فعاد إلى دمشق طلباً للجهاد وقد تجاوز الخمسين، إلا أن التتار رجعوا عن عزمهم، وكفى الله المؤمنين القتال.

استقر ابن تيمية في دمشق مشتغلاً بالعلم ونشره، ويلاحظ أنه في الفترة الأولى من حياته بالشام ومصر كان اتجاهه إلى بيان العقيدة السلفية، وكان يستند في معظم آرائه الفقهية إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أما في هذه الفترة فقد كانت عنايته الكبرى بالفروع، فأقبل على الفروع بعقل سلفي وفكر صحيح ومنهج قويم، فوصل باجتهاده في بعض المسائل إلى نتائج خالف فيها المشهور من أقوال الأئمة الأربعة، وما كان يختاره من الفقه بناه على بينة من الكتاب أو السنة، حيث كانت ثروته فيهما عظيمة، فلا يُعْوِزه[1] النص إذا احتاجه، ولا يعوزه القياس الفقهي المستقيم الذي يؤيد به ما ينتهي إليه. وتقسيم حياته إلى تلك الفترتين، لا يعني أنه في الفترة الأولى لم يكن معنياً بالفقه، بل المقصود نسبة العناية في كل فترة، فيعتبر الدارسون لحياة

---

(١) يُعْوِزهُ احتاج إليه فلم يجده. انظر المصباح المنير (٢/ ٤٣٧).

ابن تيمية أن سنة ٧١٢ هـ كانت بداية فترة الإنتاج الفقهي العظيم لابن تيمية، بالإضافة إلى دراسة العقائد والرد على البدع الصوفية التي كانت تظهر من آن لآخر، إلا أن حظ الفقه كان أكبر.

فبسبب آراء ابن تيمية الفقهية في الفروع بدأ المتعصبون من أصحاب المذاهب يكيدون لابن تيمية، فنصحه بعضهم بالامتناع عن الفتوى، فتوقف حينا لتردده، ثم عاد إلى الإفتاء، حتى جاءه المنع من الناصر بالإفتاء في المسائل التي يخالف فيها الأئمة الأربعة، لا سيما مسائل الطلاق التي أفتى فيها أن الطلاق المعلق ـ إن لم يُقْصَدْ منه الطلاق ـ فإنه يمين، حكمه كمن حنث في حلفه بالله، فيكفِّر عن يمينه بعتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، وكذلك فتواه أن الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث لا يقع لا واحدة، وفتواه أن الطلاق في الحيض لا يقع، إلا أن ابن تيمية أصر على الإفتاء، ولم يقبل هذا المنهج المتخاذل ـ الذي لا يستند إلى كتاب أو سنة ـ بعدم مخالفة غيره من المجتهدين السابقين في مسائل الاجتهاد الفرعية. فأرسل السلطان له كتاباً يؤكد فيه المنع، وعاتبه على ما صدر منه، وقُرِىء عليه الكتاب في جمع من الفقهاء والقضاة والمفتين، ولم يمتنع الشيخ عن دعوته، فكرر له السلطان المنع والعتاب. فحبس في سجن قلعة دمشق سنة ٧٢٠ هـ لمدة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، عاد بعدها ابن تيمية إلى درسه واجتهاده وفتواه، والتصنيف في الأصول والفروع.

إلا أن المتربصين بابن تيمية من الفقهاء والصوفية والروافض لم يدعوه، فأجمعوا كيدهم على النيل من ابن تيمية، فاستغلوا فتواه بمنع زيارة قبور الصالحين للتبرك، وشد الرحال لقبر النبي ﷺ، وفتواه هذه كان قد قالها منذ سبع عشرة سنة، ولم تتحرك لأجلها فتن، ولم يحاول أحد أن يتخذ منها سبيلاً لنكاية ابن تيمية وإيذائه لمكانته عند السلطان أبان ذلك.

فلما كانت الجفوة بينه وبين السلطان بسبب فتاويه لا سيما الطلاق،

انتهز أعداؤه الفرصة، فحركوا السلطان والعامة عليه، فرأى السلطان حبسه في سجن القلعة بما يليق به سنة ٧٢٦ هـ، وخصصوا له مرتباً أثناء إقامته في السجن، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان. ونزل البلاء بتلاميذ الشيخ، فحبس جماعة منهم وعزر آخرون بإركابهم على الدواب والمناداة عليهم، ثم أطلقوهم ما عدا صفيه وحامل اللواء من بعده شمس الدين ابن قيم الجوزية. لقد كان اعتقال ابن تيمية موضع ألم المخلصين، وموضع شماتة الحاسدين والمبتدعين، لذلك اشتدت البدع، وكان المخلصون من العلماء في شدة، ولم يكن الألم مقصوراً على دمشق وعلمائها المخلصين، بل تجاوزه إلى علماء بغداد، فكتبوا إلى الناصر كتاباً يبينون فيه النازلة التي نزلت بالمسلمين بعد إغماد ذلك السيف الذي سلطه الله على أعدائه، وجاء في الكتاب «لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقية والنواحي العراقية التضييق على شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ سلمه الله ـ عَظُمَ ذلك على المسلمين، وشق على ذوي الدين، وارتفعت رؤوس الملحدين، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين، ولما رأى علماء هذه الناحية عِظم هذه النازلة من شماتة أهل البدع والأهواء بأكابر الأفاضل والأئمة العلماء، أنهَوا حال هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع إلى الحضرة الشريفة السلطانية زادها الله شرفاً، وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب به الشيخ ـ سلمه الله ـ في فتاويه، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه، وحملوا ذلك بين يدي مولانا ملك الأمراء. أعز الله أنصاره وضاعف اقتداءه، غيرة منهم على هذا الدين، ونصيحة للإسلام وأمراء المؤمنين»[1].

وكان تأييد ابن تيمية قد جاء من مختلف أئمة المذاهب المالكية والحنفية والشافعية، وهذا يدل على أن ما دعا إليه قد وصل إلى العلماء في

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٣٦٠.

مصر والشام والعراق، وأثر فيهم سجنه وإيذاؤه، وكان برداً وسلاماً على أهل الأهواء والبدع.

وزاد تضييق الخناق على ابن تيمية وهو في سجنه، ففي سنة ٧٢٨ هـ أخرج كل ما كان لدى الشيخ من كتب وأوراق ومحابر وأقلام، ومنع منعاً باتاً من المطالعة، وحملت كتبه التي كان يكتبها أو يراجعها إلى المكتبة الكبرى، وكانت نحو ستين مجلداً وأربع عشرة ربطة كراريس.

ولم يطل تضييق الخناق على ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فإنه قد أسلم روحه الطاهرة إلى بارئها سنة ٧٢٨ هـ بعد مرض نزل به، وزاره في مرض موته وزير دمشق يعتذر إليه ويلتمس منه أن يحلله مما عساه يكون قد وقع منه تجاهه، فقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إني قد أحللتك وجميع من عاداني، وهو لا يعلم أني على الحق، وأحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي، لكونه قد فعل ذلك مقلداً معذوراً، ولم يفعله لحظ نفسه، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله»، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

الخلاصة:

١ ـ كما أن على الدعاة إقامة دعائم الفقه الإسلامي في الأمة، عليهم أن يتحملوا مسئولياتهم في متابعة التطبيق ومدى موافقته للنصوص الشرعية، مع التقويم المستمر، خشية أن يطرأ على التطبيق انحراف عن الجادة.

٢ ـ وكما أن على الدعاة حماية شرع الله وحراسته من الإهمال في التطبيق، عليهم حراسة الدين من العابثين بنصوصه ومفاهيمه، ولا يكفي أن يواجه ما نشر وبث في الأمة من التلاعب بنصوص الشرع بالرد عليه نظرياً، بل لا بد من التحرك على كافة الأصعدة التي وصل إليها الباطل لرد الشبهات وبيان الحق.

٣ ــ لحماية الدين من الفرق الضالة والمبتدعة على الفقيه الداعية ـ إن كان متبوعاً ـ أن لا يتراجع عن الحق الثابت، مهما كان البلاء شديداً، لا سيما في مسائل العقيدة، فلو تراجع الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن موقفه بعدما نزل به ما نزل من العذاب والأذى، لتخبط الناس ولأفسدت المعتزلة على الأمة عقيدتها، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ويحفظ دينه بالأئمة الأفذاذ.

٤ ــ حماية الفقه ليست بحماية مسائله الفرعية فحسب، ولكن بحماية المنهج القويم في فهم النصوص على طريقة سلف الأمة، من العدول عنه إلى غيره أو محاربته أو الجمود على منهاج المتأخرين المخالفة لمنهجهم، وهكذا كان موقف ابن تيمية عندما أُمر بالعدول عن منهجه الاجتهادي، الذي كان يرى أنه على طريقة السلف، فلم يرده عن منهجه تهديد أو حبس.

٥ ــ طالما أن الفقيه الداعية قادر على إنقاذ أمته من الفهم الخاطىء لدين الله، فليس له أن يعدل عن ذلك إلى غيره. فابن تيمية ـ رحمه الله ـ خُيِّرَ بين النفي إلى الإسكندرية أو العودة إلى دمشق أو السجن، فاختار السجن للبقاء في هذا الوسط الذي رأى من مسئوليته أن يقوِّمه، والسجن ليس مانعاً من قيامه بأعباء دعوته، بل على العكس من ذلك فقد أشهر ذلك موقفه في الناس، الذين أخذوا يبحثون عن أقواله وآرائه التي أودعته السجن، مع علمه وفضله.

٦ ــ مع حب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ للناصر ومودته له، لم يقدمه على منهج السلف، بل ارتضى منه اللوم والحبس على أن يجامله على حساب دينه، وحلله من كل ما ألحقه به من أذى، فكانت حمايته الدعوية للفقه الإسلامي متحررة من قيود السلطة ومصالحها، ومقيدة بتحقيق مصالح الشرع الحنيف، فلما تعارضتا لم يعبأ إلا بمصالح الشرع، وتحرر من إلتزاماته النفسية تجاه الناصر الذي يواليه.

المبحث الثالث
دور الدعوة في تحقيق الرسالة الأصلية للفقه الإسلامي

رسالة الفقه الأصلية إنزال معاني نصوص الكتاب والسنة على مقصود الشارع وفق الضوابط الشرعية، ومن ثم تطبيق شرع الله كما يحب ربنا ويرضى، ودعوة الأمة إلى تطبيقه في جميع المجالات وعلى المستويات كافة، ومتابعة هذا التطبيق، ومدى موافقته للنصوص، وتعديل مساره كلما حاد عن الجادة، فإن صحة التطبيق وموافقته لمراد الشارع جزء من الفهم الصحيح والتبليغ الصحيح.

ولا شك أن الأصالة خصيصة من خصائص شريعة الإسلام، وكذلك الفقه الإسلامي فهو مبني على نصوص الكتاب والسنة، وإنما نعني أن طلب الفقه وحفظه ومذاكرته ومعرفة أدلته واستنباط أحكامه من الأدلة الشرعية المتعبرة وفق الضوابط الشرعية، وإن كان عبادة يتقرب بها أهل العلم إلى الله، لكن هذا ليس منتهى المطاف وإلا لتحول الفقه إلى ترف علمي لا ثمرة له، فلا بد من العمل بمقتضى هذا العلم، وتأدية أمانته بتبليغه ونشره وحراسته من كل متربص، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويخطىء كثيراً من يظن أن الفقه يبلغ كماله بمعزل عن الدعوة إلى الله، بل لا يتحقق الفقه إلا بتحقيق

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ الآية، فلا يتم الفقه إلا بالدعوة.

والفقه في الدين أعم من معرفة المسائل، بل يشمل فهم أصل رسالة الإسلام وموضوعها وأهدافها ومقاصدها وكيفية تبليغها ونشرها وأداء أمانتها والدفاع عنها وحراستها وإقامة شرائعها على المستويات كافة. فما جعل الله طلب العلم عبادة إلا لأهمية ما يؤول إليه العلم من تحقيق مرضاة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

مقاصد الشريعة التي تحققها الدعوة:

١ ـ إن مقاصد الأحكام الفقهية لا يمكن تحقيقها بحال من الأحوال إلا بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، وأسمى أهداف الشريعة الإسلامية ـ على الإطلاق ـ تحقيق العبودية لله ـ تعالى ـ وحده، قال ـ جل ذكره ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقال ـ تقدست أسماؤه وصفاته ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وما من حكم من أحكام الشريعة إلا وانطوت تحته المطالبة بالعبودية لله وحده، وكل فروع الإسلام مبنية على أصوله القويمة، فاعتبر الشارع النية أساساً لقبول الأعمال الصالحة وثواب الله، وذلك بأن تكون نية العمل خالصة لله وحده، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[1]، ويبقى نشر هذه المبادىء السامية، وبثها في الناس، وإخراج العباد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/٩)، وأيضاً في (كتاب الإيمان ـ باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرىء ما نوى ١/١٣٥)، وأيضاً في (كتاب النكاح ـ باب من هاجر =

من عبودية المخلوق، وإدخالهم في عبودية الخالق وحده، أمانة في أعناق الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ، لذلك ربط النبي ﷺ تمكين العبودية لله وحده في الأرض ببقاء الفئة الداعية إليه ـ تعالى ـ، فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف[1] بربه: «اللهم! انجز لي ما وعدتني. اللهم! آت ما وعدتني. اللهم! إن تَهْلِكْ[2] هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من

= أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى ٩/ ١١٥)، وأيضاً في (كتاب مناقب الأنصار ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٢٦)، وأيضاً في (كتاب العتق ـ باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق، ولا عتاقة إلا لوجه الله ـ تعالى ـ ٥/ ١٦٠)، وأيضاً في (كتاب الأيمان والنذور ـ باب النية في الأيمان ١١/ ٥٧٢)، وأيضاً في (كتاب الحيل ـ باب في ترك الحيل، أن لكل امرىء ما نوى في الأيمان وغيرها ١٢/ ٣٢٧)، ورواه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ٣/ ١٥١٥)، وأبو داود في سننه (كتاب الطلاق ـ باب فيما عُني به الطلاق والنيات ٢/ ٦٥١)، والترمذي في سننه (كتاب فضائل الجهاد ـ باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا ٤/ ١٧٩)، والنسائي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب النية في الوضوء ١/ ٥٨)، وأيضاً في (كتاب الطلاق ـ باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه ٦/ ١٥٨)، وأيضاً في (كتاب الأيمان والنذور ـ باب النية في اليمين ٧/ ١٣)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب النية ٢/ ١٤١٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥ ـ ٤٣).

(١) هتف صاح ودعا. المصباح المنير (٢/ ٦٣٣).

(٢) ضبطوا تهلك بفتح التاء وضمها، فعلى الأول ترفع العصابة لأنها فاعل، وعلى الثاني تنصب لأنها مفعول. تحقيق صحيح مسلم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٣/ ١٣٨٤).

ورائه، وقال: يا نبي الله! كذاك[1] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله ـ عز وجلّ ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٩]، فأمدَّه الله بالملائكة[2].

فالرسالة العقدية التي يحملها الفقهاء في طيات النصوص الفقهية، تضيف عبأً دعوياً على عاتق الفقيه الداعية، بأن يُبَلِّغَ مع الفقه، الإخلاص لله ـ تعالى ـ في تطبيق الأحكام الفقهية، والرجاء والخوف والتوكل والخشية، ليكون تطبيق العمل وفق مرضاة الله، لأن العمل كما يجب أن يكون صحيحاً منضبطاً بالمتابعة للكتاب والسنة، كذلك لا بد أن يكون خالصاً لله وحده.

٢ ـ ومن مقاصد الشريعة تهذيب السلوك وتحقيق الأخلاق السامية في الأمة، لذلك شرع الله ـ عز وجل ـ لعباده من العبادات ما ينقي نفوسهم ويزيل الران عن قلوبهم، حتى إن الشريعة الإسلامية كلها مبنية على تهذيب الأخلاق، وتنقية النفوس من أدران الحقد والحسد والضغينة وكل فحشاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[3]، والصلاة بهيئاتها

---

(١) هكذا وقع لجماهير رواة مسلم: كذاك، ولبعضهم: كفاك، وكل بمعنى واحد. تحقيق صحيح مسلم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٣/ ١٣٨٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد والسير ـ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ٣/ ١٣٨٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠ ـ ٣٢).

(٣) رواه مالك في الموطأ (كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في حسن الخلق ٢/ ٩٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨١) واللفظ له. قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. تحقيق الموطأ لمحمد فؤاد عبد الباقي (٢/ ٩٠٤).

واجتماع الناس لها تهذيب فردي واجتماعي، وكذلك الصوم والحج والزكاة، كلها تهذيب للأخلاق وبث لروح التعاون والتنظيم والتكافل الاجتماعي[1]، لذلك قال النبي ﷺ في جمع الزكاة وتوزيعها: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»[2]، كما تقوم الشريعة على الإيثار وإنكار الذات وتوثيق العلائق الاجتماعية الفاضلة بين المسلمين، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3].

لكننا نجد أننا لا نستطيع تحقيق شيء من ذلك دون عمل دعوي جاد مخلص، لأن تهذيب سلوك الأمة أمر شاق يحتاج إلى متابعة وعمل دؤوب.

---

(١) انظر أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٤٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ٣/٣٥٧)، وأضاً في (كتاب المغازي ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٣/ ٦٠)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠)، وأبو داود في سننه (كتاب الزكاة ـ باب في زكاة السائمة ٢/٢٤٣)، والترمذي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة ٣/ ١٢)، والنسائي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة ٥/ ٢)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزكاة ـ باب فرض الزكاة ١/٥٦٨)، والدارمي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب في فضل الزكاة ١/٣١٨)، وأحمد في مسنده ١/ ٢٣٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٥٧)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير ١/ ٦٧ ـ ٦٨)، والترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب (٥٩) ٤/ ٦٦٧)، والنسائي في سننه (كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب علامة الإيمان ٨/ ١١٤، وباب علامة المؤمن ٨/ ١٢٥)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب في الإيمان ١/ ٢٦)، والدارمي في سننه (كتاب الرقائق ـ باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٢/ ٢١٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٦ ـ ٢٠٦ ـ ٢٥١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨٩).

٣ ـ كما جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق الرحمة للناس في دنياهم وأخراهم[(١)]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ـ جل ذكره ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وكثير من الناس يرى أن المبادىء السامية مثاليات بعيدة عن أرض الواقع يصعب تحقيقها، لكن الدعوة إلى الله كانت ـ دائماً ـ تثبت أن الأمر في الإسلام خلاف ذلك، فطالما بثت الدعوة الإسلامية الرحمة والتراحم بين أتباعها الذين يجمعهم فكر واحد وعقيدة واحدة، على مختلف ألوانهم وأجناسهم.

ولقد كانت الدعوة منذ مهد الرسالة رحمة لكل الوافدين عليها، ترحمهم وتعلمهم الرحمة والتراحم فيما بينهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[(٢)].

فالرحمة مبدأ سامي ومقصد أساسي من مقاصد الفقه الإسلامي، كانت

---

(١) انظر أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجنائز ـ باب قول النبي ﷺ: «يُعَذَّبُ الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته» ٣/ ١٥١)، وأيضاً في (كتاب الإيمان والنذور ـ باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [الأنعام: ١٠٩] ١١/ ٥٤١)، وأيضاً في (كتاب المرضى ـ باب عيادة الصبيان ١٠/ ١١٨)، وأيضاً في (كتاب التوحيد ـ باب ما جاء في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] ١٣/ ٤٣٤)، ومسلم في صحيحه (كتاب الجنائز ـ باب البكاء على الميت ٢/ ٦٣٦)، وأبو داود في سننه (كتاب الجنائز ـ باب في البكاء على الميت ٣/ ٤٩٢)، والنسائي في سننه (كتاب الجنائز ـ باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة ٤/ ٢٢)، وابن ماجة في سننه (كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في البكاء على الميت ١/ ٥٠٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

الدعوة وحدها القادرة على تحقيقه على أرض الواقع، فلقد جاب الدعاة من سلف الأمة الأرض يرفعون القهر والاستبداد عن الشعوب والأمم، وينشرون شرع الله ودين الرحمة والمساواة، ويبذلون في سبيل تحقيق ذلك النفس والنفيس.

٤ ــ ومن مقاصد الفقه الإسلامي إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً في ظل شريعة الإسلام، دون ظلم لأحد أو محاباة لأجل دين أو طبقة اجتماعية أو أسرة أو لغنى أو فقر أو لون أو لغة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٧][1]، فلم يرض الله ـ عز وجل ـ ظلم يهودي بريء، لصالح أقوام منتسبين للإسلام ظاهراً[2]، لذلك يقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]، والعدل في الإسلام مقصد أسمى، تحققه الدعوة على المستوى القضائي والاجتماعي، فتقيم دعائمه على مستوى الدولة بالعدل في الأحكام والأقضية والشهادات،

---

(١) انظر شريعة الإسلام ليوسف القرضاوي ص٥٣، وأصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٤٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٦٤)، والقصة رواه بطولها الترمذي في سننه (كتاب تفسير القرآن ـ باب (٥) من سورة النساء ٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧)، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحرَّاني، وروى يونس بن نكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، مرسل لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، وقتادة هو أخو أبو سعيد الخدري لأمه، وأبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان، انتهى كلام الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٢ ـ ٤٤).

وعلى مستوى الأفراد في المعاملات وتأدية حقوق الآخرين قبل المطالبة بالحقوق الشخصية، والدعوة تعلم أفراد المجتمع المبادرة إلى إنصاف الآخرين من النفس دون الحاجة إلى اللجوء إلى القضاء، حتى لو حكم له القضاء بما ليس له تركه ولم يأخذه، فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[1]، بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[2].

ولا سبيل لتحقيق العدالة الاجتماعية إلا إذا سادت الفضيلة والمحبة واعتبر كل فرد مصلحة أخيه مصلحة له، وأجمع آية في ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) اللَّحَنُ بفتحتين الفطنة، ولَحِنَ فطن، والْحَنُ من زيد أي أسبق فطنة منه، أما لَحَنَ لَحْناً أي أخطأ في العربية. المصباح المنير (٢/ ٥٥١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الشهادات ـ باب من أقام البينة بعد اليمين، وقال النبي ﷺ «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» ٥/ ٢٨٨)، وأيضاً في (كتاب الأحكام ـ باب موعظة الإمام للخصوم ١٣/ ١٥٧)، وأيضاً في (كتاب الحيل ـ باب (١٠) ١٢/ ٣٣٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب الأقضية ـ باب الحكم في الظاهر واللحن في الحجة ٣/ ١٣٣٧)، وأبو داود في سننه (كتاب الأقضية ـ باب في قضاء القاضي إذا أخطأ ٤/ ١٢)، والترمذي في سننه (كتاب الأحكام ـ باب ما جاء في التشديد على من يُقضى له بشيء ليس له أن يأخذه ٣/ ٦١٥)، والنسائي في سننه (كتاب آداب القضاة ـ باب بالحكم الظاهر ٨/ ٢٣٣، وباب ما يقطع القضاء ٨/ ٢٤٧)، وابن ماجة في سننه (كتاب الأحكام ـ باب قضية الحاكم لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ٢/ ٧٧٧)، ومالك في الموطأ (كتاب الأقضية ـ باب الترغيب في القضاء بالحق ٢/ ٧١٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٩٠ ـ ٣٠٨ ـ ٣٢٠). ورواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ابن ماجة في سننه (كتاب الأحكام ـ باب قضية الحاكم لا تحل حراماً وتحرم حلالاً ٢/ ٧٧٧).

٥ ـ المقصد العام للتشريع الإسلامي تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم.

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: «أما المصلحة فهي عبارة ـ في الأصل ـ عن جلب منفعة أو دفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، ونعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»(١).

فما من أمر شرعه الإسلام سواء في الكتاب أو السنة أو ما بني عليهما إلا لتحقيق مصالح حقيقية، وإن خفيت تلك المصالح على من غشيه الهوى. والمصالح التي يسعى الفقهاء لتحقيقها ليست من الهوى في شيء، وإنما هي مصالح معتبرة شرعاً لأنها ترجع إلى المحافظة على الدين والنفس والمال والعقل والنسل وذلك لأن حياة الإنسان تقوم على هذه الأمور الخمسة، ولا تتحقق الحياة الكريمة إلا بها، فكان لا بد من المحافظة عليها تكريماً لابن آدم، وهذه المصالح التي تسعى الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها من خلال النصوص الفقهية، تحققها الدعوة إلى الله بالتطبيق العملي في الأمة، فمن أجل التدين وحمايته وتحصين النفس به شُرعت العبادات كلها، فهي تزكية للنفس وتنمية لورح التدين، وتقوم الدعوة بترسيخ التدين في الأمة(٢).

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: «وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح، ومثاله قضاء الشرع بقتل الكافر المضل، وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته، فإن هذا

(١) المستصفى للغزالي (١/ ٢٨٧).
(٢) انظر: علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٩٧.

يفوت على الخلق دينهم، وقضاؤه بإيجاب القصاص إذ به حفظ النفوس، وإيجاب حد الشارب إذ به حفظ العقول، التي هي ملاك التكليف، وإيجاب حد الزنا إذ به حفظ النسل، وإيجاب زجر النصاب والسراق، إذ به يحصل حفظ الأموال التي هي معاش الناس وهم مضطرون إليها»[1].

والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ تحقق مقاصد الشريعة كلها من الحفاظ على الدين والعقل والنفس والمال والنسل بنشر الفضيلة والمثل العليا التي تقي الأمة العثرات، وبالضرب على أيدي العابثين والمعتدين على الأعراض والأرواح والأموال، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتقل نسبة الجريمة في الأمة، فالدعوة عمل وقائي لحماية الضروريات والحاجيات والتحسينات الشرعية، كما أنها علاج للأمة من أسقامها إذا وقع المحظور واعْتُدِي على الأصول الخمسة.

لقد طاف الدعاةُ الفقهاءُ بالفقه الإسلامي الآفاقَ شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ونزلوا به السهول والوديان، والجبال والصحاري ـ أربعة عشر قرناً ـ وبذلوا كل ما في وسعهم لتحقيق مقاصده، ولاقوا بفقههم مختلف العادات والتقاليد، وتقلبوا في جميع البيئات قروناً متطاولة، وعاصروا الرخاء والشدة، والسيادة والاستعباد، والحضارة والتخلف، وواجهوا به مشاكل الأمة في جميع هذه الأطوار، وكان على مستوى الأحداث، وقد حكمت الشريعة الإسلامية في أزهى العصور، فما قصرت عن الحاجة ولا قعدت عن الوفاء بأي مطلب، ولا تخلفت بأهلها في أي حين، وكانت ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها استوعبت جميع قضايا الأمة[2].

---

(١) انظر: المستصفى (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٢) انظر: شريعة الإسلام «خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان» ليوسف القرضاوي ص ١٦.

المبحث الرابع
ثمرة الدعم الفقهي للدعوة الإسلامية

إن الدعوة القويمة تقوم على فقه راسخ للكتاب والسنة، بعيداً عن تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين المبطلين، لتحقيق مقاصدها وأهدافها على ما يرضي الله ـ تعالى ـ، كما أن الدعوة تستمد قوتها وثباتها واستمرارها من فقه القائمين عليها، وقد يصعب تصور دعوة تقوم على جهل محض، فإن ذلك لا يولد عملاً دعوياً، ولكنها قد تقوم على أصحاب فكر ضحل أو ضال، وهؤلاء يخطئون أكثر مما يصيبون، ويفسدون أكثر مما يصلحون، ويلحقون أضراراً بالغة بالدعوة والدعاة، ويحاولون ـ غالباً ـ إبطال دعوة غيرهم، مما يلحق الوهن والخور بالدعوة، فلا تستطيع أن تحقق ما تصبو إليه من هداية الناس وإرشادهم إلى خيري دنياهم وأخراهم ـ لا سيما إن كانت هذه الفئة كثرة غالبة ـ، ويتمكن أعداء الإسلامِ من تحقيق مآربهم والنيل من الإسلام وأهله.

ما تحققه الدعوة بالفقه الصحيح:

١ ــ مرضاة الله ـ تعالى ـ:

الدعوة الصحيحة القائمة على فهم صحيح لنصوص الكتاب والسنة تحقق مرضاة الله، قال ـ جل ذكره ـ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أما

الدعوة بلا فقه وعلم، جهل وتخبط، ولا تحقق مرضاة الله بحال من الأحوال لعدم صحة العمل الدعوي، لأن الدعوة لا بد أن تكون هداية للحق والصواب، ولا يدرك ذلك بعيداً عن الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة.

٢ ــ استمرارية نشر الحق والصواب في الناس:

إن الدعوة التي تستند إلى الفقه الصحيح في نشر الرسالة، تكون قادرة على تجاوز العقبات ونشر الحق وبثه في الأمة في أصعب الظروف وأقساها، لأن العلم الراسخ والفقه الصحيح يولد قناعة ثابتة لدى الداعية يصعب أن يتزحزح عنها، مما يُمَكّنُ الداعية من استيعاب المدعوين واجتذابهم للدعوة بيسر وسهولة.

فالفقه يعطي الدعوة قوة ومنعة تجعل الداعية يقف على أرض صُلبة في دعوته، بما يكفل لها الاستمرار والثبات، والتخطيط لمستقبلها والتنظيم لكل عمل دعوي، بعيداً عن العشوائية والارتجالية، كما تحظى بثقة واحترام الآخرين من القائمين على العمل الدعوي، فيفد عليها العلماء وطلبة العلم للتعاون معها، فتتضافر الجهود الدعوية وتؤتي ثمارها.

٣ ــ الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية:

من له فقه في دين الله يحذر الكذب والفرية على رسول الله ﷺ في دعوته، فعن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة قالا: قال رسول الله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذِبِيْنَ»[(١)]، وقد تخصص

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (المقدمة ـ باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١/٩)، ورواه عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ فقط الترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء فيمن يروي حديثاً وهو يرى أنه كذب ٥/٣٦)، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح، وحديث سمرة عند أهل الحديث أصح، وقال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن، =

لهذه الأحاديث الموضوعة من علماء الأمة من كشف حقيقتها وأبان باطلها وفضح عورات الواضعين والمزيفين، قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة! فقال: تعيش لها الجهابذة[1]. ولقد كُدِّرَت الثقافة الإسلامية بكثير من الأحاديث الواهية والمكذوبة حتى دخلت كثيراً من فروع الدين، وتسللت إلى كثير من الكتب في مختلف الفنون الشرعية مثل التفسير والرقائق، حتى كتب الفقه والأحكام، وكتب الحديث نفسها، ومن هنا دخلت على الدعاة، لا سيما الذين يؤثرون إلهاب العواطف على أي نص صحيح، لما فيها من الغرائب والمبالغات التي ترضي أذواق العوام، فقلما تسمع خطيباً من خطباء الجمع، أو مدرساً يدرس في المسجد، أو محدثاً يحدث في الإذاعة، إلا ويروى شيئاً من هذه الأحاديث المردودة عند علماء الحديث، وتتسرب الموضوعات إلى الأمة من خلال دعوة لا تعتمد انتقاء الأحاديث المقبولة، ولا تعزوها إلى مصادرها المعتبرة عند أهل الحديث، ومما يؤسف له أن كثيراً من الدعاة ينقلون من كتب الوعظ والتصوف والتفسير ونحوها، ظانين أن هذا يعفيهم من البحث عن درجة الحديث، ولا يسوغ ذلك لمن له فقه في دين الله، فإن كتب الوعظ والرقائق والتفسير لا تخلو من الأحاديث المردودة، حتى كتب الحفاظ الناقدين فإنهم إذا ألفوا في الوعظ والرقائق تساهلوا فيما يرونه إلى درجة يجمعون فيه الغث والسمين،

= فقلت له: من روى حديثاً وهو يعلم أن إسناده خطأ، أيخاف أن يكون قد دخل في حديث النبي ﷺ، أو إذا روى الناس حديثاًمرسلاً فأسنده بعضهم أو قلب إسناده، يكون قد دخل في هذا الحديث، فقال: لا، إنما معنى هذا الحديث إذا روى الرجل حديثاً ولا يعرف لذلك الحديث عن النبي ﷺ أصل، فحدث به، أخاف أن يكون قد دخل في هذا الحديث). قلت: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي الدارمي، صاحب سنن الدارمي، ولد سنة ١٨١ هـ، ثقة فاضل متقن، مات سنة ٢٥٥ هـ، وله أربع وسبعون سنة. روى له مسلم وأبو داود والترمذي. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤٢٩).

(١) انظر: الكفاية في علم الرواية ص ٣٧، **السنة قبل التدوين ص ٢٢٠**.

فالإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ صاحب «الموضوعات» و «العلل المتناهية»، نجده في كتاب «ذم الهوى» غلبت عليه عاطفة الواعظ على عقلية الناقد الحافظ، وكذل الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ تساهل كثيراً في كتابه «الكبائر»[1].

٤ ـ عدم إلحاق الضرر بالدعوة من خلال الدفاع عنها:

يحاول بعض الدعاة خلال عملهم الدعوي الدفاع عن الأحكام الشرعية ـ مع عدم فقههم ـ بتعليل حكمة التشريع بأمر غير جامع، لا ينطبق على كل الحالات، ولا مانع ينطبق على مالا يأخذ الحكم، كحصر بعض الدعاة الحكمة في تحريم لحم الخنزير أنه يأكل القاذورات، فقد يردُّ رادٌّ بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، بخلاف الخنازير التي تربى في الحظائر الخاصة ويشرف عليها مختصون يعنون بأمرها، وكحصر حكمة تحريم الزنا في منع اختلاط الأنساب، فقد يُرَدُّ: بأن لا حرج ـ على هذا التعليل ـ أن تزني الحامل أو المرأة العقيم أو التي تتناول أقراص منع الحمل، إذ لا خوف عليها أن تحمل وتلد فتختلط الأنساب، وكحصر علة تحريم الربا باستغلال الأغنياء حاجة الفقراء لتحقيق مصالحهم، فهذا التعليل إنما ينطبق على صورة معينة من الربا، يعرفها الناس منذ القدم وإلى يومنا هذا، وهي صورة الإنسان الذي تنزل به حاجة وفاقة، فلا يستطيع سدها إلا بالاقتراض والاستدانة، ولا يجد من يقرضه إلا المرابي الغني، الذي يشترط عليه الزيادة في السداد، إلا أنك تجد في عصرنا الحاضر من المقترضين بالربا الأغنياء والأثرياء كالمصارف وبيوت المال وكبار التجار، الذين يريدون أن يوسعوا تجاراتهم ويزيدوا من ثرواتهم، وهذا ما جعل الذين حصروا حكمة التحريم فيما أشرنا إليه، يجترئون على الله بالقول بأن الفوائد البنكية ليست من الربا المحرم، لما تحققه من مصالح للفقراء بالاستفادة من الأغنياء، وهكذا تجد

---

(١) انظر: ثقافة الداعية ليوسف القرضاوي ص ٧٨.

تخبط من لا فقه له عندما يعرض الفكر الإسلامي، ويحاول بيانه أو الدفاع عنه، فيسيء إلى الشريعة ويشوه تعاليمها بجهله، وغالباً ما يكون ذلك في مسائل القضاء والقدر في العقيدة، والزهد في الرقائق، والطلاق وتعدد الزوجات في نظام الأسرة، والجهاد في نظام الدولة، والحدود في نظام العقوبات[1]. دعي أحد الدعاة في إيرلندا إلى مدرسة حكومية لعرض دعوة الإسلام على الطلبة النصارى، فاستنكر أحد الطلبة تعدد الزوجات في الإسلام، فأجاب الداعية أن هذا أمر قد كان في السابق ثم نسخ، فَأُخرِجَ الدعاةُ المرافقون له بسبب هذا الرد، وطلبوا الانصراف[2]. أما الداعية الفقيه الحريص على إقناع المدعوين، إذا ثبت الأمر والنهي في الكتاب أو السنة قال: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ويدرس تعليلات الأحكام التي تبين حكمة التشريع، والتي يسأل عنها غالباً، ولا يقولها للناس إلا بعد التثبت منها بصورة جامعة مانعة، وإلا اكتفى بالحكم الإجمالي العام، اقتداء بالقرآن الكريم في مثل تعليل النهي عن الزنا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢][3].

٥ ــ الاهتمام بالثقافة الواقعية وحال المدعوين:

إن الدعوة لا يمكن أن تنجح بحال من الأحوال حتى تتعرف على حال المدعوين، وكيفية دعوتهم وماذا يُقَدَّمُ لهم وماذا يُؤَخَّرُ، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم

(١) انظر: ثقافة الداعية لعبد الله علوان ص ٧٠.

(٢) هذه الحادثة وقعت في إيرلندا ـ دبلن، أثناء قيام المركز الإسلامي بدبلن بعمله الدعوي في المدارس الحكومية النصرانية سنة ١٤٠٠ هـ، وكان الداعية المذكور رئيساً للمركز الإسلامي آنذاك.

(٣) ثقافة الداعية ليوسف الرقاضوي ص ٨٤.

إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[1]، فدل على أنهم لو كانو مجوساً أو وثنيين أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى، تتلاءم مع فكرهم وطبيعة كفرهم، فالدعوة المتحصنة بالعلم والفقه تضطلع بمعرفة البيئة التي يعمل فيها الداعية، وعاداتها وتقاليدها، وتاريخها ولغتها المحلية ومشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونفسيات أهلها وما يؤثر فيهم، وذلك لا يستمد من الكتب فحسب، بل لا بد أن تكون ثقافة متنامية ومتجددة ومستمرة، ومستمدة من أرض الواقع، ومن الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية التي تخبر عن حال هذه البيئة، بهذا تكون الدعوة على مستوى المسئولية المناطة بها، فتستطيع أن تستوعب المدعوين وتحتضنهم على مختلف ثقافاتهم وميولهم، وتقدم لهم ما يرشدهم إلى ربهم ويهديهم سواء السبيل بحسب أحوالهم، كما لا بد من معرفة أوضاع المسلمين المعاصرة، جغرافياً واقتصادياً وسياسياً وسكانياً، وأسباب تخلفهم وتفرقهم، والعوامل الممكنة لتقدمهم ووحدتهم، وإمكانات تكامل العالم الإسلامي اقتصادياً، وتضامنه سياسياً وعسكرياً، وتقاربه اجتماعياً وثقافياً، مع دراسة حال الأقليات الإسلامية المضطهدة في كل مكان: كالفلبين وقبرص والحبشة وأوروبا الشرقية وألبانيا والصين والهند وغيرها، وما يمكن تقديمه لنجدتهم[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٢.

(٢) انظر ثقافة الداعية ليوسف القرضاوي ص ١٤٠ ـ ١٤٦.

٦ ـ حماية الدعوة وصيانتها من المتربصين بها:

من الفقه في الدين تحصن الدعوة بمعرفة العدو المعاصر، كاليهودية والصليبية والشيوعية، ودراسة حقيقة دوافعهم للكيد للإسلام وأهله، ووسائلهم في حروبهم السياسية والاقتصادية والفكرية، لا سيما أجهزة الصليبيين التبشيرية، وما سخروا لها من أموال وعدة وعتاد ومؤسسات هائلة لتحقيق أهدافها وأغراضها، وما أعدوا من مخططات لتنصير المسلمين في إفريقية وأندونيسيا والعالم العربي، وكذلك الاستشراق وأهدافه ووسائله وسمومه الفكرية التي تحاول أن تشكك في دور الإسلام التاريخي والحضاري والفكري الرائد، وتثير الشبهات والشكوك حول عقيدة الإسلام، وتجند العقول المواطنة لخدمة أهدافهم، وللقيام بأعمالهم بعد رحيلهم، فترى بعضهم يطعن في كبار الصحابة، ويشكك في دواوين السنة مثل البخاري ومسلم، ويرد الصحيح اتباعاً للهوى، ويفسر النصوص الثابتة على غير مراد الشارع، ولقد صادف الغزو التبشيري والاستشراقي فراغاً ثقافياً وتخلفاً فكرياً في أمتنا، ففرض نفسه وفكره المشكك، حتى تجرأ المستشرقون على دين الله، منتحلين ثوب الدراسة العلمية المجردة، وهم أبعد ما يكونون عنها، وتبعهم على ذلك أقوام هم من أهل ملتنا وبني جلدتنا.

وكذلك الغزو الشيوعي استطاع بث فكره العقيم في الأمة عن طريق الخبراء والمؤسسات الثقافية والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعية، وتأييد الأحزاب الشيوعية داخل ديار الإسلام بالتمويل والتوجيه، وكذلك متابعة المؤسسات المشبوهة كالماسونية[1]

---

(١) الماسونية لغة: البناؤون الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم. يعرف المستشرق الهولندي دوزي الماسونية =

والروتاري[1] وأساليبهم الماكرة للتغلغل في الطبقات الثرية في المجتمع الإسلامي.

والدعوة المدعمة بالفقه واعية لحملات التشكيك التي يشنها أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين وملحدين وغيرهم على الكتاب والسنة، فهذا الغزو الفكري لا يؤثر إلا على دعوة ضحلة. كما تتابع الدعوة القويمة دارسة واقع الأديان المعاصرة والمعادية للإسلام مثل: اليهودية وتوراتها المحرفة ونظرتهم إلى الأمميين وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل، والنصرانية وطوائفها وكنائسها والصراع بينهم، ومحاولات تقربهم من اليهود، على حساب المسلمين، كإعلان وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح، والهندوكية الوثنية وعقائدها وطوائفها وموقفها من المسلمين، والبوذية ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى، وأثرها في حياة أتباعها، وذلك لتتقي شرورها، وتضع خططاً لدعوتهم بما يتلاءم مع حالهم ويتناسب مع طريقة تفكيرهم.

٧ ـ تكامل العمل الدعوي وترابطه وتناسقه:

معرفة واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، كالجماعة الإسلامية في

= بأنها (جمهور كبير من المذاهب المختلفة يعملون لغاية واحدة: هي إعادة الهيكل ـ رمز دولة إسرائيل ـ)، تضم السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة والأثرياء والزعماء والقادة والمفكرين والمثقفين والقساوسة وأصحاب العمائم، يحملون شعار الحرية والعدالة والمساواة. والماسوني المبتدىء والمتوسط يعمل لغاية لا يعلمها، وإنما يظن أنه يعمل لصالح البشرية جمعاء. انظر: الماسونية في العراء ص ٩ ـ ٢٢، والموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة ص ٤٤٩.

(١) منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية، تعرف باسم «نادي الروتاري» ROTARY CLUB، هدفها إسقاط اعتبار الدين لتوفير الحماية لليهود وتسهيل تغلغلهم في المجتمعات. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

باكستان والهند، وحزب ماشومي في أندونيسيا، والحركة الإسلامية في تركيا، وحزب التحرير في الأردن وفلسطين، والإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي، وجماعة التبليغ في باكستان والهند وغيرهم. ومعرفة مؤسسات الدعوة الإسلامية في شتى بقاع العالم، ووسائلها وأهم وظائفها ودورها الدعوي وما ينقصها، ومعرفة الدعاة والمرشدين الإسلاميين، ومتابعة المؤتمرات الإسلامية العالمية لتوجيه الدعوة والدعاة وتوصياتها ودراساتها، والمدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية ووظيفتها، ووزارات الأوقاف والشئون الإسلامية، والمراكز الإسلامية في العالم الإسلامي وخارجه في أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا والاتحادات الطلابية، ومحاولة الاتصال بهم والتنسيق معهم، لأن العمل الدعوي عمل متكامل مترابط يكمل بعضه بعضاً، لا ينبغي أن تقوم دعوة إسلامية بمعزل عن دعوة إسلامية أخرى وكلاهما على نهج واحد، وإلا لتحولت الجهود الدعوية إلى عمل مبعثر غير قادر على التأثير في الأمة، والأعداء في هذا العصر قد تكاتفوا في سبيل تحقيق مصالحهم المشتركة[1]. لذا من الفقه في الدين إعداد دراسات للتنسيق والترابط بين كل هذه المؤسسات والهيئات الدعوية، لكي تعمل كوحدة واحدة فتؤتي الجهود الدعوية ثمارها، ولا ينقض الداعية ما يبنيه أخوه الداعية في سنين طوال، ونحن في عصر هيأ الله ـ عز وجل ـ فيه سرعة جمع المعلومات ودراستها وتحليلها.

٨ ـ الثقافة العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة[2]:

الدعوة التي تتمتع بفقه لدين الله، توجه الدعاة إلى اكتساب العلوم الكونية، فعن طريق هذه العلوم يضع الداعية النقاط على الحروف بالظواهر الكونية الدالة على عظمة الله وقدرته في مواجهة الماديين والملاحدة،

---

(١) انظر: ثقافة الداعية لعبد الله علوان ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٥ ـ ١٦.

ويدحض شبهاتهم، كما يؤيد بها من الأحكام الشرعية، ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد، فبالطب نثبت للناس أن الخمر أم الخبائث، وكذلك علل تحريم المخدرات والتدخين ولحم الخنزير والزنا وغيره. كما أن كثيراً من الحقائق الدينية تؤيدها حقائق العلم، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وعلوم التغذية والطب والأحياء تتحدث بسعة عن عسل النحل وألوانه وما فيه من شفاء، فالعلوم الكونية كلها تشهد لصنعة الله ـ عز وجل ـ بأنها في غاية الإتقان والإحكام.

الفصل الرابع

الفقيه الداعية

المبحث الأول: صفات الفقيه الداعية.

المبحث الثاني: أثر الفقيه الداعية في الأمة.

المبحث الثالث: مواقف الفقهاء الدعاة من سلف الأمة.

المبحث الأول
صفات الفقيه الداعية

الأصل أن يكون لكلّ داعية حظّ وافر من الفقه والعلم ليمارس عمله الدعوي، وكذلك أن يكون لكلّ فقيهٍ ممارسةٌ دعويةٌ يؤدي بها زكاة علمه وفقهه، إلا أن حدوث الانشطار بين الفقه والدعوة في هذه الأزمان المتأخرة، بتحمّل فئة شابة من الدعاة عبء الدعوة إلى الله على غير بصيرة، وانعزال فئة أخرى من أهل الفقه والعلم عن ممارسة العمل الدعوي كلياً أو جزئياً، جعل لكل منهما صفات تميزه عن غيره، تحمل في طياتها الإيجابيات، والسلبيات الناجمة عن هذا الانشطار.

أما الفقيه الداعية ـ الذي لا يعدم وجوده في الأمة ـ جمع الله له خيري الفئتين وإيجابياتهما، فآتاه الله مع العلم شرف تحمل مسئولية نشره وبثه في الأمة بما يحقق مرضاة الله ـ تعالى ـ. والعلم لا يكفي فيه محض الاكتساب، بل لا بد من الالتزام بِقِيَمِهِ وأخلاقه التي يفرضها على أهله، والتي غالباً ما يحققها العالم بممارسة العمل الدعوي، فالصبر والحلم والحكمة والرحمة صفات لا يكتسبها العالم بقراءة الكتب والاطلاع على تعريفاتها لغة واصطلاحاً فحسب، وإنما بمخالطة الناس ودعوتهم والصبر على أذاهم، وتدريب النفس على اكتسابها وفق الظروف والحوادث.

فالصفات التي سنتكلم عنها ـ إن شاء الله تعالى ـ نتاج تفاعل فقهي دعوي في نفس الفقيه الداعية، وصفات أهل العلم وأخلاقياتهم لا يستوعبها

كل فقيه داعية بحيث لا تتخلف عنه أبداً، ولكنها تكون غالبَ أحواله، وسمةً عامةً يتسم بها، لأنه بشر يصيب ويخطىء، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

والفقيه الداعية قدوة حسنة لأمته بِتَحَلِّيه بالصفات الحميدة ومحاسن الأخلاق التي شرعها الله ـ عز وجل ـ في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وبالابتعاد عن الصفات الذميمة المخالفة لمحاسن الأخلاق، كالحسد والحقد والضغينة والكذب والسب والشتم واللعن والغيبة والنميمة والظلم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤]، وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ، وأقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم منِّي مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون»، قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: «المتكبرون»[2].

صفات الفقيه الداعية[3]:

١ ـ الإخلاص، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[4]، فالفقيه الداعية

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٤٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في معالي الأخلاق ٤/ ٣٧٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام. ورواه عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ أحمد في مسنده (٤/١٩٣ ـ ١٩٤)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١/ ٣٥١)، (٧/ ٤٣٤).

(٣) انظر: خلق المسلم لمحمد الغزالي، الحكمة في الدعوة إلى الله ص ١٢١ ـ ٢٢١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله =

حريص كل الحرص على نقاء سريرته، وصفاء عقيدته، ليقينه باطلاع الله على ما تخفي الصدور، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

٢ ـ **الصدق**، قال ـ جل ذكره ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]، وربط الله ـ عز وجل ـ بين الصدق والنبوة والدعوة في قوله ـ جل ذكره ـ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥]، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً»[1].

٣ ـ **الحلم والعفو والصفح**، وهذه الصفة معلم بارز من معالم الفقيه الداعية، وإلا لكان خُلُقه عقبةً في طريق دعوته ورسالته. قال ـ تعالى ـ:

= واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٧)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب القناعة ٢/ ١٣٨٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٥ ـ ٥٣٩).

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب ـ باب قول الله ـ تعالى ـ: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** [التوبة: ١١٩]، وما ينهى عن الكذب ١٠/ ٥٠٧)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/ ٢٠١٢ ـ ٢٠١٣) واللفظ له، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في التشديد في الكذب ٥/ ٢٦٤)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الصدق والكذب ٤/ ٣٤٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٤ ـ ٣٩٣ ـ ٤١٠ ـ ٤٢٤ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ـ ٤٤٠).

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وأولى الناس بالحلم الفقيه الداعية، لما يلقى من أذى المدعوين ـ غالباً ـ مع حرصه على هدايتهم، قال ـ جل ذكره ـ: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٦ ـ ٦٨]. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال نبي الله ﷺ للأشجِّ[١] ـ أشجِّ عبد القيس ـ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلم والأناة»[٢]، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «فما تعدون الصُّرَعَةَ فيكم؟» قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: «ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب»[٣]، وعن

---

(١) المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث العَصَري، أشج عبد القيس، صحابي، نزل البصرة ومات فيها. تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه لمن لم يبلغه ١/ ٤٩)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحلم ٢/ ١٤٠١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٣)، ورواه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه لمن لم يبلغه ١/ ٤٨)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التأني والعجلة ٤/ ٣٦٦)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحلم ٢/ ١٤٠١)، ورواه عن زارع بن عامر ـ من وفد عبد قيس ـ أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في قبلة الرِّجل ٥/ ٣٩٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب كظم الغيظ ٥/ ١٣٨)، ورواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ البخاري في صحيحه (كتاب الأدب ـ باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٤)، ومالك في الموطأ (كتاب حسن =

معاذ بـن أنس الجهني[1] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء»[2]. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة[3] فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس[4]، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاوراته، كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: ساستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هِيْ[5] يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ به. فقال الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من

= الخلق ـ باب ما جاء في الغضب ٢/٩٠٦)، وأحمد في مسنده (٢/٢٣٦ ـ ٢٦٨ ـ ٥١٧).

(١) معاذ بن أنس الجهني الأنصاري، صحابي نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك. التقريب (٢/ ٢٥٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب كظم الغيظ ٥/١٣٧)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب في كظم الغيظ ٤/ ٣٧٢) وأيضاً في (كتاب صفة القيام ـ باب (٤٨) ٤/ ٦٥٦) وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحلم ٢/ ١٤٠٠)، وأحمد في مسنده (٣/٤٣٨ ـ ٤٤٠).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، أبو مالك الفزاري، من المؤلفة قلوبهم، شهد حنيناً والطائـف، دخل على النبي ﷺ بغير إذن، فصبر النبي ﷺ على جفوته وأعرابيته، ارتدّ وآمن بطليحة، ثم أسر، فمنَّ عليه الصديق، مات في آخر خلافة عثمان. تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/ ٤٣٢)، تاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٩٤.

(٤) الحُرُّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ابن أخي عيينة، كان من جلساء عمر فاستأذن لعمه، تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/ ١٢٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٢٤).

(٥) اسم فعل أمر، إذا طلب الاستزادة من الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٩٠).

الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. كان وقّافاً عند كتاب الله[1].

٤ ـ الصبر الذي يمكنه من الاستمرارية والثبات على الحق الذي يدعو إليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]، كما أمر الله ـ عز وجل ـ بالصبر، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[2]، والصبر على ثلاثة أضرب:

١ ـ صبر على الطاعة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢ ـ صبر عن المعصية: قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ـ سورة الأعراف (٧) ـ باب ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] ٨/ ٣٠٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ٣/ ٣٣٥)، وأيضاً في (كتاب الرقاق ـ باب وقال عمر: وجدنا خيرَ عَيشنا بالصبر ١١/ ٣٠٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الزكاة ـ باب فضل التعفف والصبر ٢/ ٧٢٩)، وأبو داود في سننه (كتاب الزكاة ـ باب في الاستعفاف ٢/ ٢٩٥)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الصبر ٤/ ٣٧٣)، والنسائي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ٥/ ٩٥)، والدارمي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ١/ ٣٢٦)، ومالك في الموطأ (كتاب الصدقة ـ باب ما جاء في التعفف عن المسألة ٢/ ٩٩٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢ ـ ٤٧ ـ ٩٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق ـ باب حجبت النار بالشهوات ١١/ ٣٢٠)، =

٣ ــ صبر على النوازل: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٧٥].

٥ ــ الرفق واللين الذي يمكنه من جذب قلوب العباد، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ومالا يعطي على ما سواه»[1]، وعنها ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون

= ومسلم في صحيحه (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب (١) ٤/ ٢١٧٤) بلفظ حفت بدل حجبت، والترمذي في سننه (كتاب صفة الجنة ـ باب ما جاء «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ٤/ ٦٩٣)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب في خلق الجنة والنار ٥/ ١٠٨)، والنسائي في سننه (كتاب الأيمان والنذور ـ باب الحلف بعزّة الله ـ تعالى ـ ٧/ ٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٠ ـ ٣٣٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٧٣ ـ ٣٨٠)، ورواه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ الدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب حفت الجنة بالمكاره ٢/ ٢٤٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٥٤ ـ ٢٨٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٤)، وابن ماجة في سننه (كتاب الأدب ـ باب الرفق ٢/ ١٢١٦) والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب في الرفق ٢/ ٢٣١)، ورواه عن عبد الله بن المغفل ـ رضي الله عنه ـ أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب الرفق ٥/ ١٥٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٧) ورواه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أحمد في مسنده (١/ ١١٢)، ورواه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله» البخاري في صحيحه (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ـ باب إذا عرَّض الذمي أو غيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح ١٢/ ٢٨٠)، وأيضاً في (كتاب الاستئذان ـ باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ١١/ ٤١)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ٤٤٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب السلام ـ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم ٤/ ١٧٠٦)، والترمذي في سننه (كتاب الاستئذان ـ باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة ٥/ ٦٠)، وابن ماجة في سننه (كتاب الأدب ـ باب الرفق ٢/ ١٢١٦)، والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ـ باب في الرفق ٢/ ٢٣١)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٧ ـ ٨٥ ـ ١٩٩).

في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فلا بد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال الثلاثة»[2].

٦ ــ الرحمة والتراحم، قال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[3]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[4]، وعن ابن عمر ـ رضي الله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٤)، وأبو داود في سننه (كتاب الجهاد ـ باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو ٣/ ٧)، وأيضاً في (كتاب الأدب ـ باب في الرفق ٥/ ١٥٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٥٨ ـ ١١٢ ـ ١٢٥ ـ ١٧١ ـ ٢٠٦ ـ ٢٢٢).

(٢) الحسبة في الإسلام ص ٨٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التوحيد ـ باب قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١٠٠] ١٣/ ٣٥٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك ٤/ ١٨٠٩)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/ ٣٢٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٥ ـ ٦٦٦).

(٤) رواه أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في الرحمة ٥/ ٢٣٢)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/ ٣٢٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠١ ـ ٤٤٢ ـ ٤٦١ ـ ٥٣٩).

عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبعد الناس من الله القلب القاسي»[1]، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شِجْنة[2] من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[3].

٧ ــ **أدب الحديث والكلام**: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣]، وقال ـ جل ذكره ـ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٨ ــ **سلامة الصدر والبعد عن الحقد والحسد والبغضاء والشحناء**، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال. فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته ـ أيضاً ـ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي ﷺ، تبعه عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، فقال: إني لاحيت[4] أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً. فإن رأيت أن

---

(١) رواه الترمذي في سننه (كتاب الزهد ـ باب (٦١) ٤/ ٦٠٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ومالك في الموطأ (كتاب الكلام ـ باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ٢/ ٩٨٦).

(٢) الشجر المتلف. المصباح المنير (٢/ ٣٠٦). أي قرابة مشتبكة. النهاية (٢/ ٤٤٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في الرحمة ٥/ ٢٣١)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/ ٣٢٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. واللفظ له.

(٤) لاحاه ملاحاة ولِحاء: نازعه، وتلاحوا تنازعوا. مختار الصحاح ص ٥٩٥.

تؤويني إليك حتى تمضي، فعلت! قال: نعم. قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار[1] وتقلب في فراشه، ذكر الله ـ عز وجل ـ وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليالي وكدت أحتقر عمله ، قلت: يا عبـد الله! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ـ ثلاث مرات ـ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك، لأنظر ما عملك فأقتدي به ،فلم أرك عملت كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

وفي رواية البزار: (قال: فطلع سعد)، يعني سعد بن معاذ[2]، بدل فطلع رجل، وفي آخره: (فقال سعد: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي، إلا أني لم أبت ضاغناً على مسلم)[3].

---

(١) تعارّ: هب من نومه واستيقظ. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٠).

(٢) سعد من معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، وأبو عمرو، سيد الأوس، شهد بدراً، واستشهد من سهم أصابه بالخندق، واهتزّ عرش الرحمن لموته، ومناقبه كثيرة. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٩)، تاريخ الصحابة لابن حبان ص ١١٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٦)، والبزار كما في كشف الأستار (كتاب الأدب ـ باب سلامة الصدر من الحقد ٢/ ٤١٠)، ورواه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ البزار كما في كشف الأستار (كتاب الأدب ـ باب سلامة الصدر من الحقد ٢/ ٤١٠)، وأيضاً في (كتاب علامات النبوّة ـ باب مناقب سعد ٣/ ٢٠٨).
قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي البزار. مجمع الزوائد (٨/ ٧٩).

٩ ـ الخشية وتقوى الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)[١]، وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: (إنما فضل العلم لأنه يتقى به الله)[٢].

١٠ ـ العمل بمقتضى علمه وما يدعو إليه، ليكون القدوة الحسنة لأمته بمقتضى حاله ومقاله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وعن أبي كبشة الأنماري[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا أفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً، لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء»[٤].

١١ ـ التمتع بروح الإخاء والتعاون والتكافل الاجتماعي، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

(١) تقدّم تخريجه ص ٦٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٥).

(٣) أبو كبشة الأنماري، هو سعيد بن عمرو، أو عمرو بن سعيد، وقيل عمر أو عامر بن سعد، صحابي نزل الشام. تقريب التهذيب (٢/ ٤٦٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٩٧).

(٤) رواه الترمذي في سننه (كتاب الزهد ـ باب ما جاء «مثل الدنيا مثل أربعة نفر» ٤/ ٥٦٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣١).

﴿إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(١)، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولايخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، ماله ودمه وعرضه»(٢).

١٢ ــ العدل والإنصاف ولو من نفسه أو أهله أو الوالدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]، وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب المظالم ـ باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٥/ ٩٧)، وأيضاً في (كتاب الإكراه ـ باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه ١٢/ ٣٢٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٦)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب المؤاخاة ٥/ ٢٠٢)، والترمذي في سننه (كتاب الحدود ـ باب ما جاء في الستر على المسلم ٤/ ٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في مسنده (٢/ ٩١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في الغيبة ٥/ ١٩٦)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ٤/ ٣٢٥)، ورواه عن واثلة بن الأسقع أحمد في مسنده (٤/ ٤٩١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، =

١٣ ــ الاعتزاز بالإسلام لا بالجاه والسلطان وبمتاع الدنيا الفاني، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وهي عزة بالعلم والإيمان تلتمس من الله في مواجهة الكفر والباطل، وليست عزة بالإثم والعدوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»(١).

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، سادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهَمَّ همّاً واحداً، همَّ آخرته كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك»(٢).

= والحثّ على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/١٤٥٨)، والنسائي في سننه (كتاب آداب القضاة ـ باب الحاكم العادل في حكمه ٨/ ٢٢١)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٠).

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق ـ باب الغنى غنى النفس ١١/ ٢٧١)، ومسلم في صحيحه (كتاب الزكاة ـ باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٢/ ٧٢٦)، والترمذي في سننه (كتاب الزهد ـ باب ما جاء أنّ الغنى غنى النفس ٤/ ٥٨٦)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب القناعة ٢/ ١٣٨٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٦١ ـ ٣١٥ ـ ٣٩٠ ـ ٤٣٨ ـ ٤٤٣).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١/ ٩٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٨٧)، والآجري في أخلاق القرآن ص ١٣٠ ـ ١٣١، وروى الجزء المرفوع منه فقط ابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الهمّ بالدنيا ٢/ ١٣٧٥)، وروى المرفوع منه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: (قلت: يحي ضعفوه)، ورواه مرسلاً من طريق محمد بن المنكدر مرفوعاً أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥١).

وقال الفضيل بن عياض: (ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق، إلى الخليفة فمن دونه، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه)، ويقول: (حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو)، ويقول: (إنما أنزل القرآن ليعمل به، أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويقفوا عند متشابهه، فاتخذ الناس قراءته عملاً)[1].

١٤ ــ الزهد والاستقامة والورع، والبعد عن الشبهات وكل ريبة ومظنة سوء، مع ملازمة شرع الله ومراقبته في السر والعلن، يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبتواضعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون)[2]، يعني إن كان الناس يفرحون ويضحكون ويخوضون في معصية الله.

١٥ ــ القصد والاعتدال والوسطية في المنهج، قا ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ ﴾ [الأعراف: ٣١]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حِلابها[3]، ثم أخرى

---

(١) رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن ص ١٠٣، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٢). وروى الجزء الأول منه ـ فقط ـ الآجري في أخلاق أهل القرآن ص ١٢٥.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٢٣٦، وأبو نعيم في الحلية من طريق أحمد بن حنبل (١/ ١٢٩)، والآجري في أخلاق أهل القرآن ص ١٠٢.

(٣) الحِلاب الوعاء الذي يحلب فيه. انظر: المصباح المنير (١/ ١٤٦).

فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه. ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى، فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب من سبعة أمعاء»[1]، وعن عبد الله بن سَرْجِس المزني ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «السَّمْتُ الحسن والتُّؤَدَة والاقتصاد جزءمن أربعة وعشرين جزءمن النبوة»[2].

١٦ ــ التآلف والاتحاد والعمل على وحدة الصف ولم شمل المسلمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وعن عَرْفَجة بن شريح الأشجعي[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هَنَاتٌ وهَنَاتٌ[4]، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان»[5].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الأشربة ـ باب المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء ٣/ ١٦٣٢)، ومالك في الموطأ (كتاب صفة النبي ﷺ باب ما جاء في معي الكافر ٢/ ٩٢٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التأني والعجلة ٢/ ٣٦٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أبو داود في سننه (كتاب الأدب ـ باب في الوقار ٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٣) عرفجة بن شريح الأسلمي، له صحبة، قيل اسم أبيه شراحيل أو شَريك أو ضريح، قال ابن حبان: والأول أصح، سكن البصرة. تاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٩٨، تقريب التهذيب (٢/ ١٨).

(٤) الهَنَات جمع هَنَة، وهي كناية عن كل اسم جنس، والمراد هنا الفتن والأمور الحادثة. انظر: المصباح المنير (٢/ ٦٤١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو =

١٧ ــ **الحكمة والحرص على إدراك الحق بالقول والعمل**، قال ـ تعالى ـ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١]، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فَسُلِّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[2].

١٨ ــ **قوة العزيمة وعلو الهمَّة**، بما يمكنه من الثبات والصمود أمام المحن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا

= مجتمع ٣/١٤٧٩)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة ـ باب في قتل الخوارج ٥/ ١٢٠)، والنسائي في سننه (كتاب تحريم الدم ـ باب قتل من فارق الجماعة ٧/ ٩٢ ـ ٩٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤١).

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ١٦٥)، وأيضاً في (كتاب الزكاة ـ باب إنفاق المال في حقه ٣/ ٢٧٦)، وأيضاً في (كتاب الأحكام ـ باب أجر من قضى بالحكمة ١٣/ ١٢٠)، وأيضاً في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ـ باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله ـ تعالى ـ ١٣/ ٢٩٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ١/ ٥٥٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٥ ـ ٤٣٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٥١)، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحكمة ٢/ ١٣٩٥). حسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٩٨)، وذكر له السخاوي طرقاً في المقاصد الحسنة ص ١٩٢، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ص ٣٤٣، وقال: ضعيف جداً.

﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله، وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان»[١]، وبوب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ لهذا الحديث في كتاب القدر من صحيح مسلم: باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله.

١٩ ــ التواضع لله ـ عز وجل ـ مهما بلغ علمه وكثر عمله، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تَعَلَّمون، وليتواضع لكم من تُعَلِّمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم)[٢]، أي فلا تقوم قائمة لعلمكم في الأمة بسبب جهلكم لحق العلم وآدابه.

ويقول أيوب السختياني[٣] ـ رحمه الله ـ: (ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعاً لله ـ عز وجلّ ـ)[٤]، وهذا كناية عن منتهى التواضع لله مع

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب القدر ـ باب في الأمر بالقوّة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله ٤/ ٢٠٥٢)، وابن ماجة في سننه (المقدّمة ـ باب في القدر ١/ ٣١)، وأيضاً في (كتاب الزهد ـ باب التوكل واليقين ٢/ ١٣٩٥).

(٢) رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن ص ١٢٢، وأحمد في الزهد ص ١٢٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٣٥)، ورُوي ذلك عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤١).

(٣) أيوب بن أبي تميمة، كيسان السَّختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد، مات سنة ١٣١ هـ، وله خمس وستون. تقريب التهذيب (١/ ٨٩).

(٤) رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن ص ١٣٥، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤٢).

كثرة العلم، لأن العالم يدرك بعلمه عظيم فضل الله عليه ومدى تقصيره في حق ربه، بخلاف الجاهل، وليس المقصود حقيقة سكب الرماد على الرؤوس. والعالم الحق لا يركبه الغرور، ولا يستبد به العُجب، لأنه يدرك بيقين أن العلم بحر لا شطآن له، ولا يصل إلى قراره عالم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأكثر الناس ادعاء للعلم أنصاف المتعلمين، الذين لا يعرفون من العلم إلا القشور. فالعالم إذا رزق التواضع، وقف عند حده، وأنصف غيره، وعرف له حقه، ولم يتطاول على الناس بالادعاء الباطل(١).

٢٠ ــ **الوفاء بالعهود والمواثيق**، قال ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه»(٢).

٢١ ــ **إيثار الآخرين وإنكار الذات**، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٩]، وعن عبادة بن الصامت(٣) ـ رضي الله عنه ـ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة

---

(١) انظر: الرسول والعلم ص ٦٥ ـ ٦٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في المراء ٤/ ٣٥٩)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة ٣٤ هـ، وله اثنتان وسبعون، وقيل عاش إلى خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ. تقريب التهذيب (١/ ٣٩٥).

في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم»[1].

٢٢ ـ **الحياء المانع لصاحبه من انتهاك حرمات الله**، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء»[2]، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ١٣/ ٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ٣/ ١٤٧٠) واللفظ له، والنسائي في سننه (كتاب البيعة ـ باب البيعة على الأثرة ٧/ ١٣٩)، وابن ماجة في سننه (كتاب الجهاد ـ باب البيعة ٢/ ٩٥٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٤١)، (٥/ ٣١٨ ـ ٣٢١).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحياء ٢/ ١٣٩٩)، ومالك في الموطا (كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في الحياء ٢/ ٩٠٥)، حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٤٠٦). ورواه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحياء ٢/ ١٣٩٩)، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٤٠٦)، وضعف الحديثين (حديث ابن عباس وأنس) السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٩٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب ـ باب من لم يواجه الناس بالعتاب ١٠/ ٥١٣ ـ وباب الحياء ١٠/ ٥٢١)، وأيضاً في (كتاب المناقب ـ باب صفة النبي ﷺ ٦/ ٥٦٦)، ومسلم في صحيحه (كتاب الفضائل ـ باب كثرة حيائه ﷺ ٤/ ١٨٠٩)، وابن ماجه في سننه (كتاب الزهد ـ باب الحياء ٢/ ١٣٩٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٧١ ـ ٧٩ ـ ٨٨ ـ ٩١ ـ ٩٢).

إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

٢٣ ــ الجود والكرم، وبذل المعروف للآخرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت: يا رسول الله! إنه ليس لي من بيتي إلا ما أدخل عليَّ الزبير، أفأعطي؟ قال: «نعم، ولا توكي فيوكى عليكِ»، يقول: لا تحصي فيُحصى عليك[2].

٢٤ ــ النظافة والتجمل، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة: ٦]. فأمر الله المؤمنين بالوضوء للصلوات كي لا يبقى من درنهم شيء.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب أمور الإيمان ١/ ٥١) دون بيان أفضلها وأدناها، ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان ١/ ٦٣) واللفظ له، وأبو داود في سننه (كتاب السنّة ـ باب في الرد على الإرجاء ٥/ ٥٦)، والنسائي في سننه (كتاب الإيمان ـ باب شعب الإيمان ٨/ ١١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الزكاة ـ باب التحريض على الصدقة ٣/ ٣٠٠) مختصراً، وأبو داود في سننه (كتاب الزكاة ـ باب في الشح ٢/ ٣٢٤)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في السخاء ٤/ ٣٤٢) واللفظ له، والنسائي في سننه (كتاب الزكاة ـ باب الإحصاء في الصدقة ٥/ ٧٤)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٤٤ ـ ٣٥٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الجمعة ـ باب الطيب والسواك يوم الجمعة ٢/ ٥٨١)، وأبو داود في سننه (كتاب الطهارة ـ باب في الغسل يوم الجمعة =

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي ـ أو على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[1].

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره، فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره؟»، ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟»[2].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْرُ

= ١/ ٢٤٦)، والنسائي في سننه (كتاب الجمعة ـ باب الأمر بالسواك يوم الجمعة ٣/ ٩٢ ـ وباب الهيأة للجمعة ٣/ ٩٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠ ـ ٦٦ ـ ٦٩).

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة ـ باب السواك يوم الجمعة ٢/ ٣٧٤)، وأيضاً في (كتاب التمني ـ باب ما يجوز من اللّو ١٣/ ٢٢٤)، ومسلم في صحيحه (كتاب الطهارة ـ باب السواك ١/ ٢٢٠)، وأبو داود في سننه (كتاب الطهارة ـ باب السواك ١/ ٤٠)، والترمذي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في السواك ١/ ٣٤)، والنسائي في سننه (كتاب الطهارة ـ باب الرخصة في السواك بالعشي للصائم ١/ ١٢)، وابن ماجة في سننه (كتاب الطهارة ـ باب السواك ١/ ١٠٥)، والدارمي في سننه (كتاب الصلاة والطهارة ـ باب في السواك ١/ ١٤٠)، ومالك في الموطأ (كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في السواك ١/ ٦٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٨٠ ـ ١٢٠)، (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥٩ ـ ٢٨٧ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٣ ـ ٤٦٠ ـ ٥٠٩ ـ ٥١٧ ـ ٥٣١).

(٢) رواه أبو داود في سننه (كتاب اللباس ـ باب في غسل الثوب وفي الخُلْقان ٤/ ٣٣٣)، والنسائي في سننه (كتاب الزينة ـ باب تسكين الشعر ٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٦) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٧/ ٤١٠). رمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير (١/ ٦٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٦٦)، وصحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٦٤).

بَطَرُ[1] الحق وغَمْطُ[2] الناس»[3] فجعل الشارع التنظف والتطيب ديناً يتقرب به المؤمن إلى ربه، فإنه محبب إلى نفس البشر، ومن العناصر التي تجذب المدعوين إلى استماع كلمة الحق.

٢٥ ـ الثقة بالله والتوكل عليه، والشعور بمعيته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٣].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم تَوَكَّلُون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصاً[4] وتروح بطاناً[5]»[6].

٢٦ ـ التدرج في تحقيق كل المقصود بالبدء بالأهم فالمهم، كما فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن، قال ﷺ: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم،

---

(١) البطر الطغيان عند تناول النعمة وطول الغنى. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٥).

(٢) الغمط: الاستهانة والاستحقار. المصدر السابق (٣/ ٣٨٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣)، والترمذي في سننه (كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الكبر ٤/ ٣٦١)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٩).

(٤) خَمُصَ الرجل خمْصاً، إذا جاع. المصباح المنير (١/ ١٨٢).

(٥) بِطَاناً أي ممتلئة البطون. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٦).

(٦) رواه الترمذي في سننه (كتاب الزهد ـ باب في التوكل على الله ٤/ ٥٧٣)، وابن ماجة في سننه (كتاب الزهد ـ باب التوكل واليقين ٢/ ١٣٩٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠ ـ ٥٢). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[1].

٢٧ ـ المنهجية في الفهم، وعدم تغليب النظرة الجزئية، مع العناية بالقواعد والضوابط التي تجعل الدعوة مسددة وقويمة[2]، ومن ذلك:

قول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة)[3].

ويقول سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: (لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه)[4].

٢٨ ـ الشعور بمسئولية تبليغ العلم والدعوة إلى الله على بصيرة، وشدة الحرص على الأمة من أن تَزِلَّ في دينها وعقيدتها، فالعلماء ورثة الأنبياء في

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٠.

(٢) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٣/١٦).

(٤) رواه أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٦.

تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، ولا رتبة أعلى من النبوة، ولا درجة بعدها أعلى من الوارثين لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: (إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠]. إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق[1] بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون)[2]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[3]، وعن أبي برزة

---

(١) الصفق التبايع. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب حفظ العلم ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، وأيضاً في (كتاب البيوع ـ باب ما جاء في قوله ـ تعالى ـ: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾** [الجمعة: ١٠]، وأيضاً (كتاب الحرث والمزارعة ـ باب ما جاء في الغرس ٥/ ٢٧ ـ ٢٨)، وأيضاً في (كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب جعفر بن أبي طالب ٧/ ٧٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ٤/ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب من سئل عن علم فكتمه ١/ ٩٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٠ ـ ٣٨٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه (كتاب العلم ـ باب كراهية منع العلم ٤/ ٦٧ ـ ٦٨)، والترمذي في سننه (كتاب العلم ـ باب ما جاء في كتمان العلم ٥/ ٢٩) قال أبو عيسى الترمذي: (حديث أبي هريرة حديث حسن)، وابن ماجة في سننه (المقدمة ـ باب من سئل عن علم فكتمه ١/ ٩٦)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١/ ١٥٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠١)، بنحوه وقال: هذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الأسلمي[1] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه فيما فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»[2]، وكلما اتسعت دائرة علم الداعية عظمت مسئولياته وازدادت تبعاته.

فالفقيه الداعية يصون العلم ويحفظه ويحققه ويضبطه بالضوابط الشرعية، ويعمل بمقتضاه حتى يثمر، ويقوم بتعليمه لطلابه، وبثه ونشره في الأمة حتى يعمَّ نفعه وخيره، ويُعدّ من يرث علمه من بعده، حتى يدوم اتصال حلقاته.

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يشعر بمسئولية عظمى تجاه أمته، وأموال رعيته، فكان يقول: (لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن الله سائلي عنها يوم القيامة)[3]، كما كان حريصاً كل الحرص على صلاح رعيته، ويخشى عليهم الزلل، فكان ـ رضي الله عنه ـ إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: (إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة)[4]، لأن الناس ينظرون إلى مدى تطبيق الداعية العملي والقولي

---

(١) نضلة بن عبيد، أبو برزة الأسلمي، صحابي مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح، وغزا سبع غزوات، ثم نزل البصرة، وغزا خراسان، ومات بها سنة ٦٥ هـ على الصحيح. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب صفة القيامة ـ باب في القيامة ٤/ ٦١٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ البزار كما في كشف الأستار (كتاب البعث ـ باب في الحساب ٤/ ١٥٨)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣)، وأبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم ص ٢٢، ورواه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٦٩).

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٨٥.

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٦٨)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٣١).

لما يدعو إليه، كما ينظرون إلى تطبيق ذلك في أهله ومن تحت يده، فيُخشى أن يقتدوا بزلتهم[1].

٢٩ ــ الأمانة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨ ﴾ [الأنفال: ٢٧ ـ ٢٨]، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[2]. كما نهى النبي ﷺ عن خيانة من يخون، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[3].

كما أن الأمانة العلمية مما يلزم الفقيه الداعية، فلا إيمان لمن لا يُؤَمَّنُ على دين الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾ [المؤمنون: ٨]، والخيانة من لوازم النفاق وعلاماته، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[4].

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله ص ٢٢٧.

(٢) روا أحمد في مسنده (٣/ ١٣٥ ـ ١٥٤ ـ ٢١٠ ـ ٢٥١)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١/ ٢٠٨). رمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ١٩٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه (كتاب البيوع والإجارة ـ باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ٣/ ٨٠٥)، والترمذي في سننه (كتاب البيوع ـ باب (٣٨) ٣/ ٥٥٥)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، والدارمي في سننه (كتاب البيوع ـ باب في أداء الأمانة واجتناب الخيانة ٢/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦)، وصححه. ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (١/ ١٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم ـ باب علامة النفاق ١/ ٨٩)، وأيضاً في (كتاب المظالم ـ باب إذا خاصم فجر ٥/ ١٠٧)، وأيضاً في (كتاب الجزية ـ باب إثم من عاهد ثم غدر ٦/ ٢٧٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان ـ باب بيان خصال =

فالفقيه الداعية أمين على العلم والفقه فلا ينسب القول إلا لقائله، ولا يستفيد من الغير ثم ينسب الفضل لنفسه، فإن هذا ضرب من الغش والتزوير، لهذا نجد كتب السلف المتقدمين موثقة بالأسانيد التي عن طريقها وصلت إلينا آراؤهم وأقوالهم، والإسناد لم يكن في الحديث وعلوم الدين وحدها، بل شمل العلوم الأخرى كالتاريخ واللغة والأدب وغيرها.

والعالم الأمين على علمه يقف حيثما لا يعلم، ويقول لا أعلم، ولا يخجل من ذلك أمام الناس، كما يتقبل كل حقيقة أو فائدة علمية صائبة تأتيه من الغير، ولو على يد من هو دونه علماً أو سناً أو منزلة. سأل رجل علياً ـ رضي الله عنه ـ، فقال الرجل: ليس هكذا يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: (أصبتَ وأخطأتُ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦])[١].

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (أيها الناس من علم منكم شيئاً فليقل لما لا يعلم الله أعلم، فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم الله أعلم)[٢].

قال عبد الرحمن بن مهدي[٣]: كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل، فقال له: يا أبا عبد الله! جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسل! فسأله الرجل عن المسألة. فقال: لا

= النفاق ١/٧٨)، والترمذي في سننه (كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في علامة المنافق ٥/١٩ ـ ٢٠)، والنسائي في سننه (كتاب الإيمان ـ باب علامة المنافق ٨/١١٦)، وأحمد في مسنده (٢/١٨٩ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠).

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/١٣١).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٥١).

(٣) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت، حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ١٩٨ هـ. تقريب التهذيب (١/٤٩٩).

أحسنها. قال: فبهت الرجل، كأنه جاء إلى من يعلم كل شيء. فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم. قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن[1].

فأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة، لم يهابوا أن يقولوا: لا ندري فيما لا يدرون، وأن يردهم من دونهم إلى الصواب، فيرجعوا جهرة غير متأففين ولا مستكبرين، وأن يغيروا فتواهم إذا تغير اجتهادهم غير خزايا ولا متحرجين[2].

٣٠ ـ لا ينتظر ثناء من الخلق، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٩ ـ ١٠]، فطلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له، ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن مدحهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النعم كلها منه. وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ شديد العناية بذلك، فكتب إلى أهل الموسم كتاباً يقرأ عليهم، وفيه الأمر بالإحسان إليهم وإزالة المظالم التي كانت عليهم، وجاء في الكتاب: (ولا تحمدوا على ذلك كله إلا الله، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري)[3]. فالمحبون لله ـ تعالى ـ غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه ويفردوه بالعبودية والألوهية، ويشفقون عليهم من عذاب الله، ويفدونهم من عذابه بأذى أنفسهم من الدنيا ولو بلغ الضرر غايته، ولا يريدون من الخلق جزاء ولا شكوراً، وإنما يرجون ثواب أعمالهم من الله ـ تعالى ـ. وهذه الصفات وإن تداخلت، أو كمل بعضها بعضاً، أو كان بعضهاثمرة ونتيجة لبعضها الآخر، فإن مجموعها أو غالبها سمة عامة للفقيه الداعية.

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٥٣).

(٢) الرسول والعلم ص ٦٣.

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٧٤).

المبحث الثاني
أثر الفقيه الداعية في الأمة

الفقيه الداعية لا يفتأ يؤثر في أمته ويتفاعل معها، ويبث فيها من علمه وفقهه، متكبداً مشاق الدعوة في سبيل تحقيق غايته من تبليغ الرسالة التي جعل الله عبأها الأكبر في أعناق علماء الأمة. فلا شك أن حرص الفقيه الداعية ـ الراسخ في العلم والضالع فيه ـ الشديد على هداية الأمة إلى طريق الرشاد في شتى جوانب الحياة، مع بذل غاية الجهد في سبيل تحقيق ذلك، كفيل بتحقيق المقاصد الدعوية في الأمة. قد لا يكون كلُّ فقيه داعية قادراً على التأثير على الأمة جملة، بحيث يغيِّر مجرى التاريخ، ويحقق للأمة الإسلامية دولتها الشامخة التي تطبق شرع الله جملة وتفصيلاً، مهما بلغ علمه وعطاؤه، فإن نجاح العمل الدعوي، كما أنه مرتبط بقدرات الداعية ومهاراته وعلمه وبذله وعطائه والظروف المحيطة بالدعوة، فإن توفيق الله ـ عز وجل ـ للعمل الدعوي، وسَبْقَ قَدَرِهَ وعِلْمِهِ فيما هو كائن هو الفيصل في تحقيق ما سبق، فقد حقق الله ـ تعالى ـ على أيدي دعاة مخلصين ما لم يحققه على أيدي أشباههم، حتى على مستوى النبوة، فقد قال ـ تعالى ـ في حق نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ [هود: ٤٠]، وقال ـ سبحانه ـ في حق نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ [النصر: ٢]، ولا يعني ذلك أن نوحاً ـ عليه السلام ـ قصر في دعوته إلى الله ـ تعالى ـ، ولكنه فضل الله ـ عز وجل ـ يؤتيه من يشاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾ [الجمعة:

٤]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]، إلا أن الداعية الفقيه لا يكتئب وينطوي على أحزانه إن تقاعس الناس عن الاستجابة لدعوته، مع حرصه عليهم ورغبته في هدايتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس: ٩٩]، كما لا يعدم التأثير على أفراد الأمة والتفاعل معهم، إن أخلص لله في دعوته، وبذل الوسع في سبيل تبليغ رسالته. ويتضح ذلك بدراسة لأحد علماء العصر ممن جددوا للأمة دينهم، وأثروا في الأمة على مستوى الحاكم والمحكوم، وغيروا مجرى التاريخ، ألا وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] ـ رحمه الله ـ:

الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن

---

(١) رواه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر في القرن المائة ٤/ ٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢). رمز له السيوطي بالصحة، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٠٩).

(٢) انظر: تاريخ نجد «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لحسين بن غنام (١/ ١٠ ـ ٧٢)، الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب لمحمود مهدي استانبولي، السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمود عبد الحليم، عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر (١/ ١٩)، الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ لعبد الله بن سعد الرويشد، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لمحمد بن عبد الله سلمان، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية لمحمد كمال جمعة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه لأحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي ص ٢٢ ـ ٤٣ ـ ٤٧، الإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوته وسيرته للشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ص ١٢، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية لمحمد بن أحمد العقيلي، أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لإبراهيم بن =

أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بريد بن مشرف. ولد سنة ١١١٥ هـ بالعيينة من بلدان العارض في شمالي الرياض، قصبة نجد الحاضرة، ونشأ في بيت علم وفضل ودين ومجد، فوالده قاضي العيينة، وجده سليمان من أشهر علماء نجد، وعمه إبراهيم بن سليمان فقيه واسع الاطلاع على علوم الدين. قرأ الشيخ القرآن مبكراً، واجتهد في الدراسة والتفقه على أبيه، وظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة منذ صباه، وانصرف إلى تحصيل العلم والنهم فيه انصرافاً خالصاً[١].

بعد أن أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب علومه الأولية عن والده حرص على الاستزادة بالرحلة في طلب العلم، فسافر عام ١١٣٦ هـ إلى مكة حاجاً لله ـ تعالى ـ، حيث التقى هناك ببعض العلماء، ثم ارتحل إلى المدينة، والتقى فيها الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي ـ وكان عالماً بالفقه الحنبلي والحديث الشريف ـ وعرَّفه بالشيخ محمد حياة السندي، كماالتقى الشيخ علي أفندي داغستاني والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ عبد اللطيف العفاليقي الإحسائي والشيخ محمد العفاليقي الإحسائي. وقد تأثر الشيخ ـ رحمه الله ـ بمنهج مشايخه في المدينة تأثراً بالغاً، ولا سيما عبد الله بن إبراهيم بن سيف ومحمد حياة السندي، لا في التحصيل العلمي فحسب، بل في اتجاهاته الإصلاحية من عدة جوانب، منها:

أ ـ تحقيق العقيدة الخالصة، ومحاربة الشرك.

= عثمان بن فارس، علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البسام (١/ ٣١ ـ ٤٠ ـ ٤٣)، بحوث أسبوع محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٠٤ ـ ٢٦٤ ـ ٢١٨ ـ ٢٥٨ ـ ٣٣١)، إمام التوحيد ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ الدعوة والدولة لأحمد القطان ومحمد الزين ص ٤٥.

(١) انظر: الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ لعبد الله بن سعد الرويشد ص ٣٤ ـ ٣٥.

ب ــ محاربة البدع في الدين بكل صورها.
ج ــ الدعوة إلى الاجتهاد في الدين.
د ــ نبذ التعصب المذهبي.

كما تأثر الشيخ أيضاً بمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الذي كان له منزلة رفيعة في نفوس مشايخه في المدينة.

فقفل الشيخ راجعاً إلى نجد، معاوداً تشديد النكير على المنكرات المتفشية فيها آنذاك. ثم ما لبث أن رحل الشيخ إلى العراق طلباً للعلم ونشراً للدعوة، فاتجه إلى البصرة قاصداً الشام، حيث أقام ببلدة الزبير من أعمال البصرة حيناً، وبالبصرة حيناً، وأخذ هناك عن الفقيه محمد المجموعي، فقرأ عليه كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث، كما رافق الشيخ أنس بن درويش وقاضي البصرة شهاب الدين الموصلي، وقام الشيخ بنشر دعوته هناك، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وحارب البدع والخرافات، إلا أن أهل البصرة كذبوه وآذوه، وأخرجوه من بلدهم وقت الهاجرة في شدة الرمضاء، وألحقوا بشيخه محمد المجموعي الأذى.

فقصد الشيخ الزبير، إلا أن نفقة الشيخ نفذت فانثنى عن عزمه بالرحيل إلى الشام، وعاد أدراجه إلى نجد. فنزل في الإحساء على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الشافعي الإحسائي، فأخذ عنه وقرأ عليه العلم.

وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب قد عزل عن قضاء العيينة سنة ١١٣٩ هـ، وانتقل إلى حريملاء، وتولى القضاء فيها.

فاتجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى حريملاء ليلتحق بأبيه، ويشتغل عليه في علمي التفسير والحديث وغيرهما[1].

---

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي ص ١٧ ـ ٢٠.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لقد كانت نجد مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة، فكان الناس يحجون إلى قبور الصحابة والصالحين، ويستغيثون بها لدفع الكربات، ويطلبون منها حوائجهم، فلما عاد الشيخ من رحلته العلمية باشر عمله الدعوية في حريملاء.

الدعوة في حريملاء:

ابتدأ الشيخ دعوته في حريملاء آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، حتى توفي والده سنة ١١٥٣ هـ، فأخذ يسلك بالدعوة طريقاً أكثر إيجابية، فاشتد إنكاره على تظاهر البدع والشرك والأباطيل والخرافات في حريملاء، فبين الحق للناس وعاقب المخالفين، فالتف حوله بعض أهالي البلدة، وشدوا من أزره، لكن طلاب الشهوات المبتذلة والمنافع الرخيصة لم يقبلوا أقوال الشيخ لأنه يفسد خططهم ويعطل مصالحهم الدنيوية، فهمت طائفة منهم أن يفتكوا بالشيخ، حيث تسوروا عليه من وراء الجدار ليقتلوه، فشعر بهم بعض الناس فصاحوا بهم فهربوا[١].

لذلك قرر الشيخ الانتقال إلى العيينة مسقط رأسه، التي نشأ فيها وتعود عليها، لا سيما أن أميرها عثمان بن معمر قبل دعوة الشيخ.

الدعوة في العيينة:

انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العيينة سنة ١١٥٤ هـ، فأحسن أميرها استقباله وأكرم وفادته، وزوَّجه عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن معمر: (إني لأرجو إن أنت قمت

---

(١) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية لمحمد بن أحمد العقيلي ص ٢٦ ـ ٢٧، وبحوث أسبوع محمد بن عبد الوهاب (١/ ٢٦٤)، (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

بنصر لا إله إلا الله، أن يظهرك الله، وتملك نجداً وأعرابها)، فأيده أمير العيينة، وقال له: (إني لأرجو أن ينصرنا الله نصراً مؤزراً).

وهكذا أخذ الشيخ يعلن دعوته، وينشرها في نجد بتأييد من أمير العيينة، فقام مع أتباعه بقطع الأشجار التي يتوسل بها الناس، كشجرة (الذيب)، وهذه قطعها الشيخ بنفسه، وهدم القباب المبنية على القبور، والتي يزورها الناس للتبرك بها ووفاء نذورهم عندها، كالقبة المبنية على قبر بالجبيلة، يعتقد كثير من الجهلة أنه قبر زيد بن الخطاب[1] ـ رضي الله عنه ـ، وعاقب الذين لا يؤدون الصلاة في جماعة في المسجد، كنزع غطاء رأسه وحرقه أمام باب المسجد، ليرجع إلى بيته حاسر الرأس، أو سكب ماء البئر على رأسه أمام الناس حتى تبتل ثيابه، فيعرف الناس أنه عوقب لتخلفه عن الجماعة.

كما قام بإرسال الدعاة إلى القرى المجاورة، وباشر تنفيذ الحدود التي عطلها الناس، فرجم زانية قامت البينة على جريمتها، وكان عثمان بن معمر أول من رجمها.

كما راسل الشيخ الأمراء والعلماء يطلعهم على حقيقة دعوته السلفية، وضرورة مشاركة الجميع في دعوة التوحيد لتحقيق مرضاة الله ـ تعالى ـ.

وكان طلابه النجباء يجوبون البلدة لتوجيه الناس ونصحهم وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزّى بن رياح العدوي، الصحابي المجاهد، أخو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، قديم الإسلام، كان طويلاً جداً، وكان أسنَّ من عمر، وأسلم قبله واستشهد قبله، شهد بدراً والمشاهد، واستشهد في ربيع الأول سنة ١٢ هـ باليمامة، قال عمر بن الخطاب: أسلم قبلي واستشهد قبلي.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٦٥)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٧)، تهذيب التذهيب (٣/ ٤١١)، تقريب التهذيب (١/ ٢٧٤).

ولما عجز المعارضون للشيخ عن مواجهته والقضاء على دعوته، حرضوا عليه أمير الإحساء زعيم بني خالد سليمان بن محمد آل حميد، الذي كان يفرض للأمير عثمان بن معمر مخصصات سنوية من خزينته، ويسهل تجارته إلى موانيء الإحساء.

فأرسل حاكم الإحساء والقطيف زعيم بني خالد إلى أمير العيينة يأمره بقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإلا قطع عنه معونته ومنع تجارته وأعلن عليه الحرب.

فخوفاً من بطش زعيم بني خالد، أمر ابن معمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يغادر العيينة إلى أي جهة يريد، وحاول الشيخ إقناعه بالصمود أمام تهديدات الحاكم الإحسائي، إلا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب اضطر في نهاية المطاف لمغادرة العيينة. فبعث معه ابن معمر رجلين لمرافقته في طريقه، هما الفريد بن حمد وطوالة الحمراني، فطلب الشيخ منهما السير معه إلى الدرعية، أما طوالة فعاد من بداية الطريق، وأما الفريد فواصل المسير حتى وصلا الدرعية. وما يذكره بعض المؤرخين، أن ابن معمر أمر الفريد بقتل الشيخ في منتصف الطريق فلا صحة له[1].

الدعوة في الدرعية:

نزل الشيخ في الدرعية (عام ١١٥٨ هـ) ضيفاً على محمد بن سويلم العريني، فخاف على نفسه من حاكمها محمد بن سعود، فهدأ الشيخ من روعه وقال له: (سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً)[2].

---

(١) نظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية لمحمد بن أحمد العقيلي ص ٣٠ ـ ٤٨، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/ ٢١ ـ ٢٤)، تاريخ نجد لابن غنام ص ٧٨ ـ ٨١، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته لأحمد بن حجر آل بو طامي ص ٢٢.

(٢) انظر: الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ لعبد الله بن سعد رويشد (١/ ٢٧ ـ ٤٩).

ولما علم الناس بقدوم الشيخ إلى الدرعية وفدوا إليه، إلا أنهم هابوا أن يذكروا ذلك للأمير محمد بن سعود، وأخبروا زوجته موضي بنت وطيان بالأمر، وكانت ذات عقل ودين، فتعلقت بدعوة الشيخ وما يقرره من عقائد السلف، وقذف الله في نفسها محبة الشيخ ونصرته، فأخبرت زوجها خبر قدومه، وقالت: (إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه، واغتنم نصرته)، فاستجاب محمد بن سعود إلى نصيحة الزوجة الصالحة، وذهب إليه في دار محمد بن سويلم، فرحب به وقال له: (أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعزة والمنعة)، فعرض عليه الشيخ دعوته وعزيمته على الإصلاح، فشرح الله صدر الأمير لدعوة التوحيد، فقال له الشيخ: (وأنا أبشرك بالعزة والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها العباد والبلاد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعضاً، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك)، وتعاهدا على نصرة الدين، ومجاهدة الشرك والعقائد الفاسدة، واشترط محمد بن سعود شرطين:

١ ـ أن لا يرحل عنه إذا فتحت لهم البلدان، ولا يستبدل به غيره.

٢ ـ أن يستمر بأخذ ما اعتاد أخذه من أهل الدرعية وقت الثمار.

فعاهد الشيخ على الأول، وقال: (أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك)، فشرح الله صدر الأمير محمد بن سعود لذلك، فبسط يده وبايعه الشيخ على دين الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

---

(١) انظر: من بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد الرحمن عميرة (٣٨/٢ ـ ٣٨).

طور الجهاد في الدعوة:

ومكث الشيخ في الدرعية سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويرسل برسائله ومناظراته إلى أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وعلمائهم، فمنهم من تبع الحق، ومنهم من أبى وعارض. ولم يستمر الأمر على هذا الحال طويلاً، حتى قام أولئك المعارضون على الشيخ ودعوته بالعدوان، وأعلنوا تكفير الشيخ وأتباعه، واستباحة دمائهم. فأمر الشيخ حينئذ أتباعه بالجهاد، لإزاحة حجر العثرة أمام طريق الدعوة الإسلامية، وبذلك تدخل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب طوراً جديداً، يتمثل بحمل الناس على الحق بالجهاد بالسيف[1].

استمرت الحروب سنين عديدة، وكان النصر فيها حليف محمد بن سعود في غالبها، وكانت القرى تسقط واحدة تلو الأخرى بيد ابن سعود، ودخل البعض في الطاعة عن اختيار وطواعية، حتى فتحت الرياض سنة ١١٨٧ هـ، على يد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، واتسع ملكه، واستقرت الدعوة وقويت شوكتها، ودخلت نجد حظيرة التوحيد.

وبعد نجاح الدعوة وانتشارها، قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب اعتزال الريادة في العمل السياسي، فلزم بيته وأحال شئون الدولة كلها إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، وانصرف إلى العبادة والإرشاد والتعليم.

وبعد جهاد استمر خمسين عاماً في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وإحياء معالم الدين في الأمة بِرَدِّهَا إلى منهج السلف الصالح، وإزالة الشرك والبدع، توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الثلاثين من شهر ذي القعدة سنة ١٢٠٦ هـ، رحمه الله ـ تعالى ـ رحمة واسعة.

---

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لمحمد بن عبد الله بن سلمان ص ٣١ ـ ٣٢.

استخلاص أثر الفقيه الداعية في الأمة من خلال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لا تزال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة تؤثر في الأمة إلى يومنا هذا تأثيراً بالغاً في شبه جزيرة العرب وخارجها. ولا تزال المملكة العربية السعودية تنعم بالأمن والسلام والحرية والوحدة والازدهار العلمي والفقهي وسيادة منهج السلف وعقيدتهم، وكل ذلك ببركة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية. ويمكن بيان أثر الفقيه الداعية في الأمة بما يلي:

١ ــ يقضي لهم على الخرافات والأوهام، والعقائد الفاسدة كعبادة القبور وتعظيمها والنذر لها وشد الرحال إليها، والتبرك بالأحجار والأشجار، ويبث فيهم العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص من شوائب الوثنية والشرك، لأن فروع الدين لا تصح أبداً ما لم تقم على أصول صحيحة، وعقيدة صافية.

٢ ــ نشر علوم الشريعة، فبعد أن كانت جزيرة العرب قد عمها الجهل، ما استطاع أن يخرجها مما هي فيه، إلا فقيه داعية بذل حياته وكرسها لخدمة الإسلام والمسلمين، فنشر علوم الكتاب والسنة وقمع البدعة، فعاد الناس إلى فطرتهم ينكرون البدعة بعد أن كانوا قد ألفوها.

٣ ــ يوحد كلمتهم، ويقضي لهم على نزاعاتهم وخلافاتهم، ويبث بينهم المحبة والمودة والوئام ويزيل الشحناء والبغضاء، فتكون أمة لها كيانها، تطبق مناهج سامية ومبادىء ربانية، فيُحسب لها حسابها. فقد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجمع شمل الأمة في جزيرة العرب، وتوحيد صفوفهم تحت راية التوحيد، وإخضاعهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بعد أن كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة الشريعة ومبادئها، بل مختلفين في مشاربهم وعقائدهم، متنازعين متناحرين على الكلأ والماء،

يسفكون دماء بعضهم، ويستحلون الأموال والأعراض، فصارت أمة لها هيبة في الأمم، تفرغت لإصلاح أمورها، وتربية أبنائها على المثل والفضائل الإسلامية.

٤ ــ يحقق لهم بدعوته الأمن والاستقرار والطمأنينة في الدنيا والآخرة، فبعد أن كانت جزيرة العرب يخوِّف أبناؤها بعضهم بعضاً، تحولت إلى أرض أمن وأمان، تجوبها الأسرة الواحدة من أدنها إلى أقصاها مطمئنة آمنة على المال والعرض، وقد حقق الله ذلك للأمة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصحبه، الذين بذلوا النفس والنفيس لأمتهم.

٥ ــ كما يُصلح للأمة حكامها ورؤساءها ودولتها، فبصلاحهم تصلح الرعية. ويحثهم على تطبيق شرع الله، وإقامة حدوده، ويشد من أزرهم في طلب الحق، وكان ذلك واضحاً في موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأمير عثمان بن معمر ثم الأمير محمد بن سعود ثم الأمير عبد العزيز بن سعود، فما كان يشملهم بتوجيهه ونصحه، ثم يخوض الغمرات معهم إلى الحق.

٦ ــ يأمر أفراد أمته بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وينشر بينهم الأخلاق السامية والفضيلة ويكافح الرذيلة، ويشارك في قيام نظام الحسبة فيهم، فيجوب الأسواق والأماكن العامة مع الدعاة، لتوجيه المسلمين وتقويم سلوكهم، وإرشادهم إلى ما يرضي ربهم.

٧ ــ يهتم بالعامة، ويؤثر فيهم مهما كانت أحوالهم، ويعلمهم معنى الشهادتين، ويحثهم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وسائر شعائر الإسلام، ويلزمهم بذلك على قدر طاقته، ولا يحتقر شأنهم لقلة علمهم وجهلهم، فإن الأمم تهلك بفساد العامة، وهذا كان منهجاً واضحاً في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكم من العامة يحققون بصلاحهم وجهودهم ـ على قلة علمهم ـ ما لا يحققه الخاصة.

٨ ــ يصلح لهم مناهج التعليم، ويتابعها في جميع مراحلها، ويعتبر نفسه مسؤولاً أمام الله ـ عز وجل ـ عن هذه المناهج، لأنهاتقوم على تربية أجيال، ولا سيما أن الغرب قد استطاع أن يبث سمومه في المواد العلمية التي تدرس لأبناء المسلمين، ولن يستطيع تنقية هذه المناهج إلا الفقيه الداعية الحريص على الأمة، والقادر على المواجهة والصمود والبذل والعطاء والتضحية في سبيل دعوة الإسلام.

٩ ــ يجدد للأمة دينها، فيتابع مستجدات العصر، ويعايش مشاكل أمته، ويعرضها على نصوص الكتاب والسنة وفق منهج السلف، ليبين لهم حكم الشرع في كل ما يستجد لهم أو يطرأ على حياتهم، لينالوا رضي الله ـ عز وجل ـ، ويستفيدوا من كل جديد طيب، ويحذروا كل خبيث مهما كانت ألوانه زاهية، كما يزودهم بالفكر والعقيدة التي تمكنهم من مواجهة مغريات العصر وفتنه التقنية والفكرية، فيحقق للأمة بفقهه ودعوته مصالح الدنيا والآخرة، ويظل علمه وتأثيره متجدداً في الأجيال اللاحقة إلى ما شاء الله. كما يضبط لهم العلم الشرعي، ويحقق نصوصه، ويبين الصحيح من السقيم، ليكون الناس على بينة من دينهم، ولا يكتفي بكتابته في الكتب، بل يبثه في الأمة بتلقينه عامة الناس في المساجد والأسواق والقرى والمدن، والبلوغ به إلى وسائل الإعلام ما أمكنه ذلك، فإنها لغة هذا العصر التي لا يسمع كثير من الناس ولا يفهمون إلا بها.

١٠ ــ يرفع عن أمته غشاوة الجهل وكابوس التقليد الأعمى، ويحقق لهم منهج الاتباع القائم على فهم نصوص الكتاب والسنة على منهج السلف، ففي رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف: (لست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أوَّل أمته وآخرهم، وأرجو ألا أَرُدَّ الحق إذا أتاني، بل أُشهد الله

وملائكته وجميع خلقه، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنَّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق).

١١ ــ ترسيخ دعائم الجهاد في الأمة لإعلاء كلمة التوحيد، وبث العزيمة والإرادة القوية فيهم لنشر الدعوة ومواجهة الباطل بالموعظة الحسنة والصبر والمصابرة، ففي رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى ابن سويلم: (وذلك إني لا أعرف شيئاً يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله ﷺ، فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان).

١٢ ــ التأثير على الأمة خارج وسط دعوته، بالقدوة الحسنة والأسوة التي يحتذي بها الدعاة، ولا سيما عندما تحقق دعوته أهدافها النبيلة على نطاق واسع.

فتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بصورة أو بأخرى:

أ ــ الحركة السنوسية (في ليبيا) لمحمد بن علي السنوسي الكبير، المولود سنة ١٢٠٢ هـ.

ب ــ الحركة المهدية (في السودان) لمحمد بن عبد الله المهدي السوداني، ت: ١٣٠٢ هـ.

ج ــ دعوة الشيخ محمد عبده، ت: ١٣٢٣ هـ (في مصر).

د ــ دعوة صديق حسن خان، ملك بهوبال، مؤسس حركة أهل الحديث في الهند.

وقد تأثرت هذه الدعوات بفكر محمد بن عبد الوهاب الإصلاحي، ونبذه للبدع والخرافات[1].

---

(١) انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية لمحمد كمال =

١٣ ــ تُحفظ الأمة بدعاء الفقهاء الدعاة ودعوتهم وصالح أعمالهم، ويرفع الله عنهم البلاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧٧].

= جمعة ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور وهبة الزحيلي (٢/٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

المبحث الثالث
مواقف الفقهاء الدعاة من السلف الصالح

لقد كان لسلف الأمة الصالح من الفقهاء الدعاة مواقف مشرفة، تنم عن فقه راسخ في دين الله وإيمان عميق، فكانوا القدوة التي يحتذى بها، والنبراس الذي يهتدي به الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكما كانوا يحرصون كل الحرص على طلب العلم وحفظه وضبطه، كانوا يُعْمِلُونَه في واقع أمتهم، ويبذلون كل ما يستطيعون في الدعوة إليه، والامتثال لأحكامه، وتنفيذ شرائعه على مستوى الحاكم والمحكوم، ولا يخشون في الحق لومة لائم، أو فقدان مال أو جاه. فلما صانوا العلم صانهم وأعزهم، ووقرت هيبتهم في نفوس العامة والخاصة. فمن مواقف سلفنا الصالح الدعوية:

أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ:

من أحرص الناس على الدعوة وحماية رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، فقد بذل نفسه وأهله وماله لله ورسوله ﷺ، وكان العون للدعوة في أشد المحن، كموقفه من المرتدين ومانعي الزكاة بعد موت النبي ﷺ، حيث أعاد للإسلام سيادته على جزيرة العرب في غضون سنتين، فكان أصحاب النبي ﷺ يعرفون فضله عليهم، فلما بلغ عمر ـ رضي الله عنه ـ أن أقواماً يفضلونه على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، قال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج

رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر! ما لك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟»، فقال يا رسول الله! أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر! لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بك دوني؟»، قال: نعم، والذي بعثك بالحق. فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرىء لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجِحَرَةَ(١)، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر(٢).

مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ(٣):

أرسل رسول الله ﷺ بعد بيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة من

---

(١) جِحَرَة جمع جُحْر، وهو للضب واليربوع والحية. المصباح المنير (١/ ٩١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح مرسل. قلت: لأنه من مراسيل محمد بن سيرين. قال ابن جرير: (أجمع التابعون بأسرهم على قبول المرسل، ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين). قال ابن عبد البر: (كأنه يعني أن الشافعي أول من رده، وبالغ بعضهم فقواه على المسند وقال: من أسند فقد أحالك ومن أرسل فقد تكفل). وقال النووي: (المرسل ضعيف عند جماهير المحدثين والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول، وقال مالك وأبو حنيفة في طائفة صحيح). قال السيوطي: (ومن الطائفة أحمد في المشهور عنه). انظر: تدريب الراوي (١/ ١٩٨). وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٣)، وذكره: ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٨٠)، والكندهلوي في حياة الصحابة (١/ ٣٣٩).

(٣) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي البدري، قاتل دون رسول الله ﷺ في أحد، حتى قتله ابن قَمِئة الليثي، يظنه =

البعثة مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ إلى يثرب، ليكون أول سفير لرسول الله ﷺ في الإسلام، ليدعو المشركين إلى دين الله، ويعلم المسلمين في يثرب شرائع دينهم. نزل مصعب بن عمير رضي الله عنه في يثرب على أسعد بن زرارة[1]، ابن خالة سعد بن معاذ، فخرج به أسعد بن زرارة يوماً إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فسمع بهما أسيد بـن حضير[2] وسعد بن معاذ، وهما سيدا بني عبد الأشهل، وكانا مشركين، فقال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين الرجلين، قد أتيا دارينا، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته، وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد، قال لمصعب: هذا سيد قومه، قد جاءك فاصدق الله فيه، فقال مصعب: إن يجلس أكلمه. وجاء أسيد فوقف عليهما مُتَشَتِّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقا له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم

= رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٢١)، حلية الأولياء (١/ ١٠٦ ـ ١٠٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ١٤٥)، العبر (١/ ٥).

(١) أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، نقيب بني النجار، أبو أمامة الأنصاري الخزرجي، من كبار الصحابة، مات والنبي ﷺ يبني المسجد، قال البغوي: بلغني أنه أول من مات من الصحابة بعد الهجرة، وأنه أول من صلى عليه النبي ﷺ. انظر: تاريخ الصحابة لابن حبان ص ٢٧، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٤)، العبر في خبر من غبر (١/ ٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٤)، شذرات الذهب (١/ ٩).

(٢) أسيد بن الحضير بن سِماك بن عَتيك بن نافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أرَّخَ البغوي وفاته سنة ٢٠ هـ. وصلى عليه عمر ـ رضي الله عنه ـ ودفنه في البقيع. انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٤٧)، الجرح والتعديل (٢/ ٣١٠)، العبر في خبر من غبر (١/ ٢٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٩).

ركز حربته، وجلس إليهما. فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتَسَهُّلِه، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل، وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي. فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن يتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت. فألحَّ أسيد بن حضير على سعد بن معاذ أن يذهب إليهما، ليسمع منهما ما سمع، راجياً أن يدخل فيما دخل فيه من دين الإسلام.

وهذا يدل على صدق دعوة مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ وعمق تأثيره في نفس أسيد بن حضير، حيث أدرك حقيقة هذه الدعوة لحظة دخوله في الإسلام، فانطلق داعية إلى الله من توه.

فقام سعد بن معاذ مغضباً، وأخذ الحربة، فلما رأياه قادماً، قال أسعد بن زرارة لمصعب: جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك ما تخلف عنك منهم اثنان. فلما رآهما سعد بن معاذ مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف مُتَشتِّماً لهما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة! والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمتَ هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ فقال مصعب لسعد: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. فقال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا والله

في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً[1]، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية، وخطمة ووائل وواقف وهم من الأوس بن حارثة، فإنهم أطاعوا أبا القيس الشاعر، وهو ابن الأسلت، واسمه صيفي، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق[2]. فدعوة رسول رسول الله ﷺ مصعب بن عمير - رضي الله عنه - في يثرب قدوة يحتذي بها كل فقيه داعية كرس نفسه للعمل الدعوي، لما أظهره من حكمة وصدق دعوة وصبر وحلم ورفق وأناة في دعوة أهل يثرب، فلم يهب - رضي الله عنه - ما بلغه من سخط سادة القوم على دعوة الإسلام، فذلل الله له قلوبهم، بل جعلهم عوناً له على أداء المهمة التي كلفه بها رسول الله ﷺ، حتى أسلم جمع غفير من الأنصار في يوم واحد، بفضل الله ثم بفضل دعوته المباركة.

---

(١) نقب على القوم، فهو نقيب أي عريف، والجمع نقباء، والمنقبة الفعل الكريم. المصباح المنير (٢/ ٦٢٠).

(٢) انظر: البداية النهاية (٣/ ١٥٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٢١)، سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣)، سير أعلام النبلاء (١/ ١٤٥)، حياة الصحابة (١/ ١٨٧).

الحسن البصري[1] ـ رحمه الله ـ:

عندما ولي عمر بن هبيرة[2] العراق أرسل إلى الحسن فقدم عليه، فقال له: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك[3] يُنْفِذُ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة، واستفتاه ماذا يصنع أمام هذه الكتب؟ فقال الحسن: يا عمر بن هبيرة! يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله ـ تعالى ـ فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة! إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله ـ عز وجل ـ، يا عمر بن هبيرة! لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة! لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة، كانوا ـ والله ـ على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة! إني أُخَوِّفك مقاماً خَوَّفَكَهُ الله ـ تعالى ـ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤]، يا عمر بن هبيرة! إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته[4].

الإمام المنذر بن سعيد البَلُّوطي[5] ـ رحمه الله ـ:

كان المنذر بن سعيد ـ قاضي قضاة الأندلس ـ جامعاً لصنوف الخير،

---

(١) انظر ترجمته ص ٤١.

(٢) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سُكَين، الأمير أبو المثنى أمير العراقيين، مات سنة ١٠٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٢).

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان، بعد عمر بن عبد العزيز، ولده سنة ٧١ هـ، وكانت خلافته أربعة أعوام، توفي سنة ١٠٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠ ـ ١٥٢).

(٤) رواه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية (٢/ ١٤٩).

(٥) المنذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النَّفْزي، أبو الحاكم البلوطي، قاضي =

لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يحفظ عليه قضية جور مدة ولايته، وله مكانة وهيبة في نفوس العامة والخاصة.

دخل المنذر ذات يوم على الناصر لدين الله[1] وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها، حيث ساق إليها أنهاراً، ونقب لها الجبل، وأنشأها مدورة، وعِدَّة أبراجها ثلاث مائة برج، شرفاتها من حجر واحد، وقسمها أثلاثاً: فالثلث المسند إلى الجبل قصوره، والثلث الثاني دور المماليك والخدم، والثلث الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلساً مشرفاً على البساتين، صَفَّحَ عُمَدَهُ بالذهب، ورَصَّعَهُ بالياقوت، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوش الرخام، وصنع قُدَّامَه بحرة مستديرة ملأها زئبقاً، فكان النور ينعكس منه إلى المجلس، وقعد في هذه القبة المزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يسبق إليه، وجلس عنده جماعة من الأعيان رؤوس دولته وأمراؤه، فقال لهم: هل بلغكم أن أحداً بنا مثل هذا البناء؟ فقال له الجماعة: لم نر ولم نسمع بمثله، وجعل جميع من حضر يثنون على ذلك البناء ويمدحونه، وأثنوا وبالغوا، ومنذر بن سعيد القاضي ساكت مطرق لا يتكلم. فالتفت إليه الملك وقال: ما تقول أنت يا أبا الحكم؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته، وقال: والله ما أظن يا أمير المؤمنين، أن الشيطان ـ أخزاه الله ـ يبلغ منك هذا المبلغ المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولا أنك تُمَكِّنُهُ من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلّك به على كثير من الناس، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. فقال له الخليفة: انظر ماذا تقول! وكيف أنزلني منازل

= قضاة الأندلس، ولد سنة ٢٦٥ هـ، صاحب زهد وتقوى وعدل، وله كتب وتصانيف منها «الإبانة عن حقائق أصول الديانة»، توفي سنة ٣٥٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣)، شذرات الذهب (٣/ ١٧)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٩٤).

(١) الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، سلطان الأندلس، توفي سنة ٣٥٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦٥).

الكافرين؟ فقال: قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥]. فنكس الناصر رأسه طويلاً، وبكى، ثم قال: جزاك الله عنا خيراً وعن المسلمين، وأكثر في المسلمين مثلك، الذي قلت هو الحق. ثم قام على المجلس وأمر بنقض سقف القبة، ونزع الذهب والجواهر[(١)].

العز بن عبد السلام[(٢)] ـ رحمه الله ـ:

دخل العز بن عبد السلام مرة على السلطان أيوب كامل[(٣)] في يوم عيد، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، وقد خرج على قومه في زينته، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه، والعز بن عبد السلام يرى هذا الموكب العظيم، فالتفت ـ رحمه الله ـ إلى السلطان، وناداه: يا أيوب! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوِّىء لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟! فقال: هل جرى هذا؟ فقال العز بن عبد السلام: نعم الخانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة المملكة. ناداه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون. فقال السلطان أيوب: يا سيدي! أنا ما

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٧/ ٨٢)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦٧ ـ ٢٨٦) (١٦/ ١٧٧).

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشافعي، سلطان العلماء، ولي الخطابة في دمشق ثم سافر إلى مصر ودَرَّسَ بها وخطب، وأعزَّ الله به أهل العلم، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ناصحاً للحكام والملوك، لم تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة ٦٦٠ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٨٠ ـ ١٠٢)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢١).

(٣) الملك الصالح أيوب، ابن السلطان الكامل محمد بن العادل (٦٠٣ هـ ـ ٦٤٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٨٧ ـ ١٩٢).

عملته، هذا من زمان أبي. فقال العز: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فرسم السلطان بإبطال تلك الخانة، ومنع بيع الخمور.

ورجع العز منتصراً مسروراً لتغيير هذا المنكر، فقال له بعض تلاميذه: يا سيدي! كيف الحال؟ فقال العز بن عبد السلام: يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه، لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. فقال له: يا سيدي! أما خفته؟ فقال: والله يا بني لقد استحضرت هيبة الله ـ تعالى ـ فصار السلطان قدّامي كالقط[1].

ولا يعني أن يفعل ذلك كل داعية، فإن العز بن عبد السلام كان له منزلة وهيبة في نفوس هؤلاء، كما أنهم قوم فيهم خصال من الدين وإن ذبلت بعض الشيء، فكان سلطان العلماء يستثمر ما فيهم من نزعات الخير، مستغلاً مكانته الاجتماعية. فدعوته لم تكن وليدة موقف، وإنما بنيت على ماسبقها من جهاد وعلم دؤوبين، فكان إذا أمرهم ونهاهم في أصعب المواقف غلب على ظنه امتثالهم، مع احتمال تعرضه للمهالك على أيديهم، إلا أن هذه الموازنة الصعبة كانت غالباً تُرَجِّح مصلحة امتثالهم على مفسدة إهلاكه، لِتَمَكّنِهِ من إدراك أغوار نفوسهم وما يُصْلِحُهَا مع إتقانه لبضاعته العلمية والدعوية ومهارته في عرضها.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٨١ ـ ٨٢).

الخاتمة

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى النتائج التالية:

١ ـ ضرورة الدعوة للأمة، لتتمكن من تحقيق الريادة والسيادة الشرعية على الأمم، وأهميتها البالغة في تحقيق أهداف الرسالة، وإصلاح العقائد والسلوك والأخلاق، وبث الفضيلة ومكافحة الرذيلة.

٢ ـ ضرورة التفقه في الدين، لتحقيق صواب العمل ومشروعيته، إذ صحة العمل أحد شرطي قبوله بجانب الإخلاص.

٣ ـ الدعوة هي الجانب التطبيقي والمنهج العلمي لِبَث العلوم الشرعية في الأمة، فتصحح العقائد، وتُنَفِذ شرائع الله في جميع مجالات الحياة.

٤ ـ قوة الوشائج والروابط بين الفقه والدعوة، واستحالة الفصل بينهما في أي مرحلة من مراحل الدعوة أو أي جانب من جوانبها. فسلف هذه الأمة لم يعرفوا فقهاً لا دعوة فيه، أو دعوة لا فقه لها، بل تحركوا بفقههم على كافة الأصعدة تحركاً دعوياً.

٥ ـ المشرب الدعوي الذي ينشأ عليه الفقيه له بالغ الأهمية في إدراك الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، وكما أن المشرب الدعوي القويم يشكل حاجزاً مانعاً من الزلل في الفهم ودافعاً قوياً لحمل النصوص على مراد

الشارع، فإن المشرب الدعوي السلبي قد يجعل الفقيه عاجزاً عن حمل النصوص على وجهها الصحيح ردحاً من الزمن، بل ربما الدهر كله.

٦ ــ الحاجة إلى تضافر الجهود الدعوية والفقهية لتحقيق أهداف كل منهما، فلا يمكن أن تؤتي جهود العاملين في الحقلين ثمارها بمعزل أحدهما عن الآخر.

٧ ــ حاجة الأمة الماسة إلى ممارسة الفقهاء للعمل الدعوي، إذ هم العارفون بصحيح الأعمال من سقيمها، فتقع المسئولية العظمى عليهم في بيان شريعة الإسلام للناس، بل سوقهم إليها وحثهم حثاً دؤوباً على الامتثال لأحكامها، مع التخطيط والتنظيم للعمل الدعوي، ومتابعة النتائج وتقويمها.

٨ ــ حاجة الأمة إلى تكامل الجهود الدعوية في الأمة، بحيث يُكَمِّل كل داعية جهود أخيه، ولا يكون حجرة عثرة في طريق دعوته بسبب تنافس أو تحزُّب أو تحاسد أو تباغض، لأن ذلك يسبب تساقط الجهود الدعوية، وإضعاف أثرها في الأمة. والدعاة العاملون في الساحة لم يستوعبوا بعد حجم الأمة الهائل بالنسبة لقلة أعدادهم، فليس من الحكمة ولا من مصلحة الدعوة أن يزيد الداعيةُ الدعوةَ ضعفاً وخوراً بإبطال دعوة الآخرين، والتي لها وجهة شرعية مقبولة.

٩ ــ عمق تأثير الممارسة الدعوية على الفقيه، في علمه وتقواه وورعه وحسن أخلاقه وتواضعه وثقته بربه وغيرته على دينه ومهاراته في أداء رسالته، إذ الدعوة مدرسة للداعية والمدعو.

١٠ ــ حساسية الفقيه وشفافيته لنداء ربه، ودعوة غيره لامتثال أوامر الله ونواهيه، فالفقه والعلم سبب للوقوف عند حدود الله، لا لتعديها، فإذا نُهي الفقيه عن منكر لم يستنكف أن ينزجر عنه، وإذا أُمِرَ بمعروف لم يتعال أن يرجع إليه.

١١ ــ حاجة الدعوة الملحة لتفقه الدعاة القائمين عليها، خشية أن يلحقوا بها الأضرار من حيث لا يشعرون، ولتحقق أهدافها ومقاصدها من هداية الناس إلى طريق الحق والرشاد، ولتتمكن من الاتساع والانتشار والاستمرار والثبات والصمود أمام المحن والشدائد.

ويمكن ذلك بإعداد الدورات والمؤمرات الفقهية والدعوية المستمرة، ودعوة الدعاة من جميع أنحاء العالم على شتى مشاربهم وأهدافهم لحضورها، لتقريب وجهات النظر، وإزالة الجفوة بينهم، وبث الألفة والمحبة في نفوسهم، مع الحوار الهادىءالبناء، والتوجيه الكريم من كبار العلماء.

١٢ ــ عظم أثر التفقه على قدرات الداعية في تأدية مهمته على الوجه الذي يرضي الله ـ تعالى ـ، إذ به يستوعب المدعوين في الإسلام، ويبشرهم ولا ينفرهم، ويجمعهم ويؤلف بينهم ولا يفرقهم، وينصرهم ولا يخذلهم، ويُكْرِمهم ولا يحتقرهم، فيحقق لهم خيري الدنيا والآخرة، كما يكون الفقه عوناً له على وقاية الزلات والعثرات، فلا يتخبط في دين الله بالتقول على الله ورسوله بغير علم، أو الغلو في الدين والتشدد فيه.

١٣ ــ أهمية الدعوة البالغة في تنمية الفقه الإسلامي كمّاً وكيفاً، لا بتكاثر مسائله تكاثراً نظرياً محضاً، بل بانتشار الفقه المنهجي القادر على حل مشاكل المسلمين ومخاطبتهم بلغة عصرهم وواقع حياتهم، وزيادة من يطبقه في الأمة لكل ما يعرض لهم من أمور دينهم ودنياهم، وتحكيمه في كل المجالات وعلى المستويات كافة.

والتنمية الفقهية بممارسة العمل الدعوي تنمية مستمرة باستمراره، تُنَقِّح الفقه وتصحح مساره بحيث يتفاعل مع الواقع، وتتطالبه ببيان شرع الله في كل ما يستجد في حياة المسلمين، وعدم الوقوف على ما انتهى إليه السابقون.

١٤ ــ الدعوة وحدها قادرة على حماية شرع الله من التعطيل والإهمال، كما تحرسه من العابثين بنصوصه ومفاهيمه ومناهجه القويمة، ولا يكون ذلك إلا على أيدي دعاة مخلصين أَكْفَاء باعوا أنفسهم لله واشتروا الآخرة.

١٥ ــ مقاصد الشريعة الإسلامية لا يمكن تحقيقها بحال من الأحوال إلا بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، فالعبودية لله وحده وتهذيب السلوك والأخلاق والرحمة والتراحم والعدل وتحقيق مصالح العباد مبادىء سامية رفيعة، استطاعت الدعوة وحدها تحويلها إلى واقع عملي ملموس في حياة الناس.

١٦ ــ الدعوة الواعية المتحصنة بالفقه قادرة على تحقيق مرضاة الله ـ تعالى ـ، والحذر من المتربصين بالدعوة، والمشككين في مصداقيتها.

١٧ ــ الفقيه الداعية جمع الله له صفات أهل الفقه وأهل الدعوة، فآتاه الله مع العلم شرف تَحَمُّل مسئولية نشره وتبليغه، فصفاته نتاج تفاعل فقهي دعوي، فالصبر والحلم والحكمة والرحمة والصدق والإخلاص والرفق صفاته التي لا يكتسبها بقراءة الكتب وحفظ معانيها لغة واصطلاحاً فحسب، بل بدعوة الناس ومخالطتهم والصبر على أذاهم، وتدريب النفس على اكتسبها، فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم.

١٨ ــ الفقيه الداعية يصحح للمسلمين عقيدتهم ويقضي لهم على الخرافات والأوهام، وينشر فيهم العلم والفقه، ويضبط لهم نصوص الشرع ويحققها، ويرفع عن أعينهم غشاوة الجهل والتقليد الأعمى، كما يوحِّد كلمتهم ويبث فيهم روح المحبة والأخوة والوئام، ويحقق لهم الأمن والاستقرار بنشر الفضيلة ومكافحة الرذيلة، ويصلح لهم حُكَّامَهُم ورؤساءَهم، ويجدد لهم فقه دينهم ليكونوا قادرين على حل مشاكل عصرهم، ويبث فيهم دعائم الجهاد ويغرسه في نفوسهم.

١٩ ــ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، بتحقيق سلامة الاعتقاد والتوحيد الخالص، واتباع منهج السلف في فهم نصوص الكتاب والسنة وتطبيق أحكامهما، والاعتزاز بهما، والصبر على أداء أمانتهما.

والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نبذة مختصرة عن عملي في بحث الماجستير
العلاقة بين الفقه والدعوة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد...

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي في كلية الدعوة بالمدينة المنورة، على كل ما بذلوه من علم وجهد ونصيحة لي ولزملائي في مرحلة الماجستير، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ/الدكتور علي بن سعيد الغامدي ـ المشرف على البحث ـ لاعتنائه بمتابعة هذا البحث من مهده ولتوجيهاته الكريمة، كما أشكر فضيلة الشيخ/الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، وفضيلة الشيخ/ الدكتور عبدالله الزايد لتفضلهما بالمشاركة في مناقشة هذا البحث، وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن تبقى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نبراساً للدين والعلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... آمين.

جعلت البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، ثم ختمته بخاتمة لبيان النتائج التي توصلت إليها، وفهارس تسهل البحث فيه.

قدمت للبحث بذكر أسباب اختياره وأهميته في إبراز التفاعل الفقهي

الدعوي في العمل الإسلامي، وقمت بتحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة، وانتهجت الدراسة التأصيلية التحليلية كمنهج للبحث، ثم استعرضت الدراسات السابقة في العلاقة بين الفقه والدعوة.

وتمهيداً للبحث قمت بتعريف الفقه والدعوة لغة واصطلاحاً، والتعريف بالفقيه الداعية وعلاماته عند السلف، وبينت أهمية الدعوة وضرورتها للأمة، لتتمكن من تحقيق الريادة والسيادة الشرعية على الأمم، وأهميتها البالغة في تحقيق أهداف الرسالة، وإصلاح العقائد والسلوك والأخلاق، وبث الفضيلة ومكافحة الرذيلة، وضرورة التفقه في الدين، لتحقيق صواب العمل ومشروعيته، إذ صحة العمل أحد شرطي قبوله بجانب الإخلاص، ثم بينت صلة الدعوة بالعلوم الشرعية الأخرى، وأنها الجانب التطبيقي والمنهج العلمي لِبَث العلوم الشرعية في الأمة، فتصحح العقائد، وتُنفِذ شرائع الله في جميع مجالات الحياة، وعلى المستويات كافة، كما بينت قوة الوشائج والروابط بين الفقه والدعوة، واستحالة الفصل بينهما في أي مرحلة من مراحل الدعوة أو أي جانب من جوانبها، فسلف هذه الأمة لم يعرفوا فقهاً لا دعوة فيه، أو دعوة لا فقه لها، بل تحركوا بفقههم على كافة الأصعدة تحركاً دعوياً.

ثم تكلمت في الفصل الأول عن مجالات تأثر الفقيه بالدعوة، فجعلته في ثلاثة مباحث، بينت في المبحث الأول أثر المشرب الدعوي على فهم النصوص، وأن المشرب الدعوي الذي ينشأ عليه الفقيه له بالغ الأهمية في إدراكه الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، فكما أن المشرب الدعوي القويم يشكل حاجزاً مانعاً من الزلل في الفهم، ودافعاً قوياً لحمل النصوص على مراد الشارع، فإن المشرب الدعوي السلبي قد يجعل الفقيه عاجزاً عن حمل النصوص على وجهها الصحيح ردحاً من الزمن، بل ربما الدهر كله، مع سعة علمه ورجاحة عقله.

واستشهدت لأثر المشرب الدعوي على فهم النصوص بأحوال ثلاثة من الأئمة: الإمام أبي الحسن الأشعري، الذي نشأ في أحضان الاعتزال، ثم تبرأ منه ـ بعد أن أقام عليه أربعين سنة ـ وتحول إلى إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك، ثم تحول إلى منهج السلف في إثبات جميع صفات الباري ـ عز وجل ـ من غير تأويل أو تعطيل أو تشبيه أو تكييف أو تحريف، كما أثبت ذلك في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، إلا أن أتباعه تشبثوا في كل مرحلة من مراحل دعوته بنسبة مقالاتهم إلى أبي الحسن الأشعري مع رجوعه عما ينسبونه له، وتحوله إلى منهج السلف في هذا الباب، ثم الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي، الذي نشأ على منهج السلف، فكان المشرب الدعوي القويم حاجزاً مانعاً له من الزلات، ودافعاً قوياً لحمل النصوص على مراد الشارع، وسبباً لقدرته على مقاومة المخالف للمنهج القويم، وثباته وصموده أمام الاضطهاد والبلاء بالغير، ثم الإمام محمد بن علي الشوكاني، الذي نشأ على المذهب الزيدي، ثم انقلب على الزيدية، إلا أنه لم يشأ أن يسخطهم كل السخط، فاستدل بأدلتهم، ورد أقوالهم متسعيناً بمنهجهم، بما جعله يتنزل في الحجة تنزلاً خالف فيه منهج أهل السنة، كما يستشعر القارىء البصمات الزيدية في طيات فقهه، وما سبب ذلك إلا المشرب الدعوي الزيدي الذي نشأ عليه الإمام الشوكاني.

وفي المبحث الثاني بينت عمق أثر الممارسة الدعوية على الفقيه في علمه وتقواه وورعه وحسن أخلاقه وتواضعه وثقته بربه وغيرته على دينه ومهاراته في أداء رسالته، إذ الدعوة مدرسة للداعية والمدعو، وتزيد الفقيه فضلاً إلى فضله.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن تأثر الفقيه بدعوة غيره، ومدى

حساسيته وشفافيته لنداء ربه، ودعوة غيره لامتثال أوامر الله ونواهيه، فالفقه والعلم سبب للوقوف عند حدود الله، لا لتعديها، فإذا نُهي الفقيه عن منكر لم يستنكف أن ينزجر عنه، وإذا أُمِرَ بمعروف لم يتعال أن يرجع إليه. كما أنه بالمقابل يدرك خطورة الدعوة الفاسدة وضررها على الأمة أكثر من غيره، فيتصدى لها ـ بقدر خطورتها وفسادها ـ ليحفظ للإمة دينها وعقيدتها، بخلاف غيره الذي ربما لا يدرك أي فساد أو خطر من تلك الدعوة.

وفي الفصل الثاني تكلمت عن آثار التفقه على الداعية، وجعلته في ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن قدرة الداعية على استيعاب المدعو بالتفقه في الدين، وعرفت الاستيعاب لغة، ثم بينت أن المراد منه في البحث القدرة على أسر قلوب المدعوين واجتذابهم إلى الدعوة على اختلاف عقولهم وأمزجتهم وثقافاتهم ومشاربهم وطبقاتهم الاجتماعية، وبينت أهمية الاستيعاب في الدعوة، وأن نجاح الداعية مرتبط بقدرته على الإيغال في نفوس المدعوين، ومعرفة الوسيلة الأمثل لسوقهم إلى تطبيق شرع الله في حياتهم، وأن هذا يحتاج إلى علم راسخ ومهارة شخصية وخبرة وتجربة، وأن القدرة على الاستيعاب تختلف من داعية إلى آخر، إلا أن كل داعية لا بد أن يتمتع بحد أدنى من القدرة على استيعاب المدعوين، وإلا كان منفراً عن دين الله، فمهما كان حال المدعو من قوة أو سلطان أو ضعف أو فقر أو غنى أو صحة أو مرض أو كفر أو معصية أو إيمان يستطيع الداعية بفقهه ومهارته أن يستوعبه في دعوته، وأن يصل إلى أعماق نفسه، واستشهدت لذلك بقدرة سعيد بن المسيب على استيعاب الحجاج بن يوسف الثقفي مع قوته وجبروته، عندما أخذ يسابق الإمام في الركوع والسجود، ثم بينت حاجة الدعوة الملحة إلى تفقه الداعاة القائمين عليها، خشية أن يلحقوا بها الأضرار من حيث لا يشعرون، وعظم أثر التفقه على قدرات الداعية في تأدية مهمته على الوجه الذي يرضي الله ـ تعالى ـ، إذ به يستوعب المدعوين في الإسلام،

ويبشرهم ولا ينفرهم، ويجمعهم ويؤلف بينهم ولا يفرقهم، وينصرهم ولا يخذلهم، ويُكْرِمهم ولا يحتقرهم، فيحقق لهم خيري الدنيا والآخرة.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن وقاية الداعية العثرات والزلات بالتفقه في الدين، فلا يتخبط في دين الله بالتقول على الله ورسوله بغير علم، أو بالغلو في الدين والتشدد فيه، بما يخالف شرع الله، ولا يخذل أي دعوة ـ لها وجهة شرعية مقبولة ـ وإن كانت لا تروق له، وبينت حاجة الأمة إلى تكامل الجهود الدعوية، بحيث يُكَمِّل كل داعية جهود أخيه، ولا يكون حجرة عثرة في طريق دعوته بسبب تنافس أو تحزُّب أو تحاسد أو تباغض، لأن ذلك يسبب تساقط الجهود الدعوية، وإضعاف أثرها في الأمة، والدعاة العاملون في الساحة لم يستوعبوا بعد حجم الأمة الهائل بالنسبة لقلة أعدادهم، فليس من الحكمة ولا من مصلحة الدعوة أن يزيد الداعيةُ الدعوةَ ضعفاً وخوراً بإبطال دعوة الآخرين، والتي لها وجهة شرعية مقبولة.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن التخطيط والاستمرارية والثبات كثمرة من ثمرات التفقه في الدين، الذي يمكِّن الدعوة من تحقيق أهدافها ومقاصدها في هداية الناس إلى طريق الحق والرشاد، كما تتمكن من الاتساع والانتشار والصمود أمام المحن والشدائد.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن تبادل الدعم بين الدعوة والفقه، والحاجة الماسة إلى تضافر الجهود الدعوية والفقهية لتحقيق أهداف كل منهما، فلا يمكن أن تؤتي جهود العاملين في الحقلين ثمارها بمعزل أحدهما عن الآخر.

وجعلت الفصل الثالث أربعة مباحث، ففي المبحث الأول تكلمت عن دور الممارسة الدعوية في تنمية الفقه الإسلامي، وأهمية الدعوة البالغة في تنمية الفقه الإسلامي كمّاً وكيفاً، لا بتكاثر مسائله تكاثراً نظرياً محضاً، بل بانتشار الفقه المنهجي القادر على حل مشاكل المسلمين ومخاطبتهم بلغة

عصرهم وواقع حياتهم، وزيادة من يطبقه في الأمة لكل ما يعرض لهم من أمور دينهم ودنياهم، وتحكيمه في كل المجالات وعلى المستويات كافة، والتنمية الفقهية بممارسة العمل الدعوي تنمية مستمرة باستمراره، تُنَقِّح الفقه وتصحح مساره بحيث يتفاعل مع الواقع، وتتطالبه ببيان شرع الله في كل ما يستجد في حياة المسلمين، وعدم الوقوف على ما انتهى إليه السابقون.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن دور الدعوة في حماية الفقه الإسلامي، وأنها وحدها القادرة على حماية شرع الله من التعطيل والإهمال، كما تحرسه من العابثين بنصوصه ومفاهيمه ومناهجه القويمة، ولا يكون ذلك إلا على أيدي دعاة مخلصين أَكْفَاء باعوا أنفسهم لله واشتروا الآخرة، واستشهدت لذلك بصمود الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أما محنة خلق القرآن، حيث استطاع أن يحفظ للأمة عقيدتها بصموده وثباته، وما كان الإمام أحمد ليتراجع، أو يستخدم التقية مع المعتزلة، لأنه إمام متبوع، وإلا لضل الناس وفسد اعتقادهم، فتحمل ـ رحمه الله ـ الضرر الخاص في سبيل تحقيق المصلحة العامة العظمى، وما كان من سبيل إلى حماية الحق ونشره إلا بالخضوع للبلاء والامتحان في بدنه، كما استشهدت أيضاً بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وثباته على منهج السلف في الأصول والفروع، وحرصه الشديد على الدعوة إلى هذا المنهج دون التخلي عنه تحت أيّة ضغوط، فحماية الفقه ليست بحماية مسائله فحسب، ولكن بحماية المنهج القويم في فهم النصوص على طريقة سلف الأمة، من العدول عنه إلى غيره أو محاربته أو الجمود على مناهج المتأخرين المخالفة لمنهجهم، وهكذا كان موقف ابن تيمية عندما أُمر بالعدول عن منهجه الاجتهادي، الذي كان يرى أنه على طريقة السلف، فلم يرده عن منهجه تهديد أو حبس.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن دور الدعوة في تحقق الرسالة الأصلية للفقه الإسلامي، فمقاصد الشريعة الإسلامية لا يمكن تحقيقها

بحال من الأحوال إلا بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، فالعبودية لله وحده وتهذيب السلوك والأخلاق والرحمة والتراحم والعدل وتحقيق مصالح العباد مبادىء سامية رفيعة، استطاعت الدعوة وحدها تحويلها إلى واقع عملي ملموس في حياة الناس.

وفي المبحث الرابع تحدثت عن ثمرة الدعم الفقهي للدعوة الإسلامية، إذ أن الفقه يمكن الدعوة من تحقيق مقاصدها وأهدافها، كما أنها تستمد قوتها وثباتها واستمرارها من فقه القائمين عليها، فالدعوة الواعية المتحصنة بالفقه قادرة على تحقيق مرضاة الله ـ تعالى ـ، وعلى التصدي للمتربصين بالإسلام، والمشككين في مصداقيته.

وفي الفصل الرابع تكلمت عن الفقيه الداعية، وجعلته في ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن صفات الفقيه الداعية، وأن الله قد جمع له صفات أهل الفقه وأهل الدعوة، فآتاه الله مع العلم شرف تَحَمُّل مسئولية نشره وتبليغه، فصفاته التي لا يكتسبها بقراءة الكتب وحفظ معانيها لغة واصطلاحاً فحسب، بل بدعوة الناس ومخالطتهم والصبر على أذاهم، وتدريب النفس على اكتسابها، فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن أثر الفقيه الداعية في الأمة، ومدى حاجة الأمة الماسة إلى ممارسة الفقهاء للعمل الدعوي، إذ هم العارفون بصحيح الأعمال من سقيمها، فتقع المسئولية العظمى عليهم في بيان شريعة الإسلام للناس، بل سوقهم إليها وحثهم حثاً دؤوباً على الامتثال لأحكامها، مع التخطيط للعمل الدعوي، ومتابعة النتائج وتقويمها، واستشهدت لذلك بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ التي غيرت مجرى التاريخ، وأثرت تأثيراً بالغاً في شبه جزيرة العرب وخارجها، فأصبحت جزيرة العرب ـ بفضل دعوته المباركة ـ تنعم بالأمن والسلام والحرية والوحدة والازدهار العلمي والفقهي وسيادة منهج السلف وعقيدتهم، فالفقيه

الداعية يصحح للمسلمين عقيدتهم ويقضي لهم على الخرافات والأوهام، وينشر فيهم العلم والفقه، ويضبط لهم نصوص الشرع ويحققها، ويرفع عن أعينهم غشاوة الجهل والتقليد الأعمى، كما يوحِّد كلمتهم ويبث فيهم روح المحبة والأخوة والوئام، ويحقق لهم الأمن والاستقرار بنشر الفضيلة ومكافحة الرذيلة، ويصلح لهم حُكَّامَهُم ورؤساءَهم، ويجدد لهم فقه دينهم ليكونوا قادرين على حل مشاكل عصرهم، ويبث فيهم دعائم الجهاد ويغرسها في نفوسهم.

وفي المبحث الثالث ذكرت مواقف للفقهاء الدعاة من سلف الأمة الصالح، كاستبسال أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في حماية الدعوة من مهدها بماله ونفسه وكل ما يملك، وحرصه الشديد على سلامتها وسلامة رسول الله ﷺ، ومنهج مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ في دعوة أهل المدينة (مثل أسيد بن حضيروسعد بن معاذ ـ رضي الله عنهما ـ) عندما أرسله رسول الله ﷺ إليهم كأول رسول في الإسلام لدعوة أهلها، وموقف الحسن البصري ـ رحمه الله ـ من عمر بن هبيرة في طاعته لأوامر يزيد بن عبد الملك المخالفة لشرع الله، وموقف المنذر بن سعيد البلوطي ـ رحمه الله ـ من الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد عندما توسع في بناء وزخرفة قصوره، وموقف العز بن عبد السلام سلطان العلماء ـ رحمه الله ـ من السلطان أيوب كامل عندما خرج على الناس في زينته، والأمراء تقبل الأرض بين يديه، فعاتبه وأنبه على السكوت عن المنكرات والخمور في مصر.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها نتائج البحث وخلاصة ما توصلت إليه، وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، بتحقيق سلامة الاعتقاد والتوحيد الخالص، واتباع منهج السلف في فهم نصوص الكتاب والسنة وتطبيق أحكامهما، والاعتزاز بهما، والصبر على أداء أمانتهما.

ثم وضعت للبحث فهارس تسهل البحث فيه، وألحقته بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مفيد خالد عيد أحمد عيد

ثبت المصادر والمراجع (1)

١ ــ «القرآن الكريم».

٢ ــ «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل الأشعري، ط ٢، المدينة المنورة ـ السعودية، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥ هـ، تقديم الشيخ حماد محمد الأنصاري.

٣ ــ «أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي» لفتحي يكن، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٤ ــ «إبطال الحيل» لابن بطة، أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، ط ٢، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٥ ــ «اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية» لابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٦ ــ «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»، لابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، مركزالخدمات والأبحاث الثقافية.

٧ ــ «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٨ ــ «أحمد بن حنبل حياته وعصره وآراؤه» لمحمد أبي زهرة، بيروت ـ لبنان، دار الفكر العربي.

---

(1) لم يؤخذ بعين الاعتبار أثناء الفهرسة ما يلي: أل التعريف.

٩ ــ «إحياء علوم الدين» للغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م.
١٠ ــ «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» للصيمري، أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٧٦ م، مصورة عن النسخة الهندية ـ حيدر آباد، بمطبعة المعارف الشرقية، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.
١١ ــ «أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر» لعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، ط ٨، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
١٢ ــ «أخلاق أهل القرآن» للآجري، الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، حققه وخرج أحاديثه محمد عمرو بن عبد اللطيف، بإشراف المكتب السلفي.
١٣ ــ «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.
١٤ ــ «الأدب المفرد»، للبخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط ١، بيروت ـ لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، ترتيب وتقديم كمال الحوت.
١٥ ــ «الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ»، للإمام النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، بيروت ـ لبنان، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦ م.
١٦ ــ «الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية» لفتحي يكن، ط ١١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
١٧ ــ «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨ هـ.
١٨ ــ «أصول الدعوة» لعبد الكريم زيدان، ط ٣، بيروت ـ عمان، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة البشائر، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.
١٩ ــ «أصول الفقه» لمحمد أبي زهرة، بيروت ـ لبنان، دار الفكر.
٢٠ ــ «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث»

للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٢١ ـ «الأعلام» لخير الدين الزركلي، بيروت ـ لبنان، دار العلم للملايين.
٢٢ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، بيروت ـ لبنان، دار الجيل.
٢٣ ـ «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.
٢٤ ـ «الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ» لعبد الله بن سعد رويشد، الرياض ـ السعودية، ١٤٠١ هـ.
٢٥ ـ «الإمام محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته» لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٢٦ ـ «الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام، ط ١، دمشق ـ بيروت، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش.
٢٧ ـ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال، أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ـ عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا.
٢٨ ـ «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للوزير القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، ط ١، القاهرة ـ بيروت، دار الفكر العربي ـ مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
٢٩ ـ «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» لمحمد كمال جمعة، ط ٢، الرياض ـ السعودية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٣٠ ـ «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة» لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد البر، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.

٣١ ـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، بيروت ـ لبنان، دار الجيل.
٣٢ ـ «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» للدكتور يوسف القرضاوي، ط ١٣، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
٣٣ ـ «بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ط ١، السعودية ـ الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
٣٤ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مكتبة المعارف، ١٩٧٧ م.
٣٥ ـ «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.
٣٦ ـ «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، بيروت ـ لبنان، المكتبة العلمية، تحقيق محمد علي النجار.
٣٧ ـ «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بيروت ـ صيدا، المكتبة العصرية، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
٣٨ ـ «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي، لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، ط ١، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ هـ، تصوير دار مكتبة الحياة (بيروت ـ لبنان).
٣٩ ـ «تاريخ بغداد أو مدينة السلام» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي.
٤٠ ـ «تاريخ الأمم والملوك» للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ.
٤١ ـ «تاريخ التشريع الإسلامي» للخضري بك، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٤٢ ــ «تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم» لآدم عبد الله الألوري، القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٢، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٤٣ ــ «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمد فريد بك المحامي، ط ٥، بيروت ـ لبنان، دار النفائس، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، تحقيق الدكتور إحسان حقي.

٤٤ ــ «تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار» لابن حبان، أبي حاتم محمد بن حبان البستي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، تحقيق بوران الضناوي.

٤٥ ــ «تاريخ الفقه الإسلامي» لعمر سليمان الأشقر، ط ١، حولي ـ الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٤٦ ــ «التاريخ الكبير» للبخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.

٤٧ ــ «تاريخ المذاهب الإسلامية» لمحمد أبي زهرة، بيروت ـ لبنان، دار الفكر العربي.

٤٨ ــ «تاريخ عمر بن الخطاب» لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، دمشق ـ سوريا، مكتبة الإحسان، قدم له وعلق عليه أسامة عبد الكريم الرفاعي.

٤٩ ــ «تاريخ نجد، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، لحسين غنام، ط ٢، مطابع الشرق الأوسط، ١٤٠٢ هـ.

٥٠ ــ «تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» لابن عساكر، أبي القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٥١ ــ «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد عثمان بن قايماز الذهبي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

٥٢ ــ «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للمزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي، ط ١، بومباي ـ الهند، الدار القيمة، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٥٣ ــ «تدريب الراوي» للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
٥٤ ــ «تذكرة الحفاظ» للذهبي، أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، بيروت ـ لبنان، دار الفكر العربي، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.
٥٥ ــ «تذكرة الدعاة» للبهي الخولي، ط ٦، حولي ـ الكويت، مكتبة الفلاح، ١٣٩٩ هـ.
٥٦ ــ «ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام» للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حلب ـ سوريا، دار الوعي.
٥٧ ــ «الترغيب والترهيب» للمنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ط ٣، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٥٨ ــ «التعريفات» للجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، تحقيق إبراهيم الأبياري.
٥٩ ــ «تغليق التعليق على صحيح البخاري» لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١، بيروت ـ دمشق ـ عمان، المكتب الإسلامي ـ دار عمار، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزفي.
٦٠ ــ «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
٦١ ــ تفسير القرطبي راجع جامع أحكام القرآن.
٦٢ ــ «التفسير الواضح» لمحمد محمود حجازي، ط ٧، القاهرة ـ مصر، دار التفسير، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٦٣ ــ «تقريب التهذيب» لابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف.
٦٤ ــ «التقرير العلمي على المؤتمر العالمي للاقتصاد بمكة» للدكتور فاروق النبهان، مقدم لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة الكويت.

٦٥ ـ «تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» لابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م، عني بتصحيحه السيد عبد الله هاشم اليماني بالمدينة المنورة ـ الحجاز.
٦٦ ـ «التلخيص» للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بذيل المستدرك للحاكم، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي.
٦٧ ـ «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، القاهرة ـ مصر، طبعة الكوثري، ١٣٦٨ هـ.
٦٨ ـ «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.
٦٩ ـ «تهذيب التهذيب» لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، ط ١، حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥ هـ.
٧٠ ـ «تهذيب اللغة» للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروي اللغوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، مصر، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.
٧١ ـ «تهذيب تاريخ دمشق الكبير» لابن عساكر، الإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، وتهذيب الشيخ عبد القادر بدران، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار المسيرة، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٧٢ ـ «التوضيح لمتن التنقيح» لعبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، بهامش شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني.
٧٣ ـ «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط ٣، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧ هـ.
٧٤ ـ «الثقات» لابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، ط ١، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.
٧٥ ـ «ثقافة الداعية» للدكتور يوسف القرضاوي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٧٦ ــ «ثقافة الداعية» لعبد الله علوان، ط ٢، القاهرة ـ حلب ـ بيروت، دار السلام، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.
٧٧ ــ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٧٨ ــ «الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير» للسيوطي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.
٧٩ ــ «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، بيروت ـ لبنان، المكتبة العلمية، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، مصورة عن نسخة المطبعة المنيرية، توزيع دار الباز بمكة المكرمة.
٨٠ ــ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، مصورة عن الطبعة الهندية: ط ١، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارفة العثمانية، ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م.
٨١ ــ «جزء محمد بن عاصم الثقفي الأصبهاني» لمحمد بن عاصم، ط ١، الرياض ـ السعودية، دار العاصمة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، تحقيق وتخريج مفيد خالد عيد أحمد عيد.
٨٢ ــ «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للآلوسي، نعمان خير الدين الآلوسي البغدادي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.
٨٣ ــ حاشية ابن عابدين راجع رد المحتار على الدر المختار.
٨٤ ــ «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط ٢، مصر ـ القاهرة، المطبعة، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م، نشرها قصي محب الدين الخطيب.
٨٥ ــ «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى» للقحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط ٢، الرياض ـ السعودية، مطبعة السفير، ، توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.
٨٦ ــ «بينات الحل الإسلامي، شبهات العلمانيين والمتغربين» ليوسف القرضاوي، ط ١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٨٧ ـ «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي.

٨٨ ـ «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية» لمحمد بن أحمد العقيلي، ط ١، أبها ـ السعودية، ١٤٠٤ هـ.

٩٠ ـ «خصائص الدعوة الإسلامية» لمحمد أمين حسن، ط ١، الزرقاء ـ الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٩١ ـ «الخصائص العامة للإسلام» للدكتور يوسف القرضاوي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٩٢ ـ «الخطط المقريزية، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» بيروت ـ لبنان، دار صادر.

٩٣ ـ «خلق المسلم» لمحمد الغزالي، ط ٦، بيروت ـ دمشق دار القلم، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٩٤ ـ «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، بيروت ـ لبنان، دار الجيل.

٩٥ ـ «الدعوة إلى الإسلام» لأبي بكر ذكري، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

٩٦ ـ «الدعوة إلى الإصلاح» لمحمد الخضر حسين، القاهرة ـ مصر، المطبعة السلفية، ١٣٤٦ هـ.

٩٧ ـ «الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها» لأحمد أحمد غلوش، القاهرة ـ مصر، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٨ م.

٩٨ ـ «الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية في العصر الحديث» لسليمان مرزوق، ط ١، حولي ـ الكويت، مكتبة المنار، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٩٩ ـ «الدعوة الإسلامية دعوة عالمية» لمحمد الراوي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، الدار العربية.

١٠٠ ـ «الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغاياتها» لرؤوف شلبي، ط ٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م

١٠١ ــ «الدعوة الإسلامية، مفهومها وحاجة المجتمعات إليها» لمحمد خير رمضان يوسف، ط ٢، السعودية ـ الرياض، ١٤١٤ هـ.
١٠٢ ــ «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثارها في العالم الإسلامي» لمحمد بن عبد الله بن سلمان، الرياض ـ السعودية، مكتبة الفرقان، ١٤٠٧ هـ.
١٠٣ ــ «دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة» للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي.
١٠٤ ــ «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.
١٠٥ ــ «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.
١٠٦ ــ «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، تحقيق نور الدين العتر.
١٠٧ ــ «الرد الوافر» لابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، ، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٣ هـ.
١٠٨ ــ «رسالة التقليد» لابن القيم، أبي بكر محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ط ٢، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق محمد عفيفي.
١٠٩ ــ «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» للكتاني، الشريف محمد بن جعفر الكتاني، ط ٤، بيروت ـ لبنان، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.
١١٠ ــ «الرسول والعلم» للدكتور يوسف القرضاوي، ط ٣، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م.

١١١ ــ «الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة» للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرياض ـ السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٥ هـ.

١١٢ ــ «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول.

١١٣ ــ «الزهد الكبير» للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط ٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، تحقيق الدكتور تقي الدين الندوي.

١١٤ ــ «الزهد» لابن المبارك، عبد الله بن المبارك المروزي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

١١٥ ــ «الزهد» لهناد بن السري الكوفي، ط ١، الصباحية ـ الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق وتخريج عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.

١١٦ ــ «الزهد» لوكيع بن الجراح، ط ١، السعودية ـ المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.

١١٧ ــ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط٢، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩ هـ.

١١٨ ــ «السنة قبل التدوين» لمحمد عجاج الخطيب، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الفكر ١٣٩١ هـ.

١١٩ ــ «سنن ابن ماجة» لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٠ ــ «سنن أبي داود» لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ط ١، حمص ـ سوريا، الناشر محمد علي السيد، ١٣٩١ هـ، بتحقيق وتعليق عزت الدعاس.

١٢١ ــ «سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد بن سورة، ط ٢، القاهرة ـ مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، تحقيق أحمد شاكر.

١٢٢ ــ «سنن الدارقطني»، لشيخ الإسلام علي بن عمر الدارقطني، مصر ـ القاهرة، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م، اعتنى بتصحيحه السيد عبد الله هاشم يماني المدني بالمدينة المنورة.

١٢٣ ــ «سنن الدارمي» للدارمي، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، المدينة المنورة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، طبعة السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

١٢٤ ــ «السنن الكبرى» للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بيروت ـ لبنان، تصوير دار الفكر.

١٢٥ ــ «السنن الكبرى» للنسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

١٢٦ ــ «سنن النسائي»، للنسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط ١، بيروت ـ لبنان، تصوير دار الفكر، ١٣٤٨ هـ.

١٢٧ ــ «سير أعلام النبلاء» للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط ١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان.

١٢٨ ــ «سيرة الإمام أحمد بن حنبل» لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، ط ٢، الإسكندرية ـ مصر، دار الدعوة، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد.

١٢٩ ــ «السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون» لعلي بن برهان الدين الحلبي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

١٣٠ ــ «السيرة النبوية» لابن هشام، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م، علق عليه وخرج أحاديثه عمر عبد السلام تدمري.

١٣١ ــ «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» لمحمد بن محمد أبو شهبة، ط ١، بيروت ـ دمشق، دار القلم، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٣٢ ــ «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد» لابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، تحقيق نعيم زرزور.

١٣٣ ـ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.
١٣٤ ـ «شرح الأسنوي، نهاية السول» لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م، بذيل شرح البدخشي منهاج العقول.
١٣٥ ـ «شرح العناية على الهداية» للبابرتي، أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، بهامش فتح القدير للعاجز الفقير لابن همام.
١٣٦ ـ «شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان» ليوسف القرضاوي، ط ٣، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
١٣٧ ـ «شعب الإيمان» للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط ١، بيروت ـ لبنان دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
١٣٨ ـ «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه» لأحمد بن حجر آل بو طامي، ط ٣، الكويت، الدار السلفية، ١٣٩٤ هـ.
١٣٩ ـ «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
١٤٠ ـ «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط ٣، بيروت ـ لبنان، دار العلم للملايين، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
١٤١ ـ «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» للدكتور يوسف القرضاوي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
١٤٢ ـ «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» للدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة ـ المنصورة، دار الصحوة ـ دار الوفاء، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

١٤٣ ـ «صحيح ابن حبان» راجع الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان.
١٤٤ ـ «صحيح البخاري» للإمام البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (مع فتح الباري)، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، الطبعة السلفية.
١٤٥ ـ «صحيح سنن ابن ماجة» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٤٦ ـ «صحيح سنن أبي داود» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٤٧ ـ «صحيح سنن الترمذي» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٤٨ ـ «صحيح سنن النسائي» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٤٩ ـ «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ط ١، القاهرة ـ مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤ هـ، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
١٥٠ ـ «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي، أبي أحمد عبد الله بن عدي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.
١٥١ ـ «ضعيف سنن ابن ماجة» لمحمد بن ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٥٢ ـ «ضعيف سنن أبي داود» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
١٥٣ ـ «ضعيف سنن الترمذي» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤١١ هـ ـ ١١٩١ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

١٥٤ ـ «ضعيف سنن النسائي» لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م، بإشراف زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

١٥٥ ـ «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت ـ لبنان، دار مكتبة الحياة.

١٥٦ ـ «الطبقات الكبرى» لابن سعد، محمد بن سعد، بيروت ـ لبنان، دار صادر.

١٥٧ ـ «طبقات الحفاظ» للسيوطي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت ـ لبنان، مطبعة الاستقلال، ١٣٩٣ هـ.

١٥٨ ـ «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى، أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

١٥٩ ـ «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

١٦٠ ـ «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي، ط ١، بيروت ـ لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٦١ ـ «طبقات الفقهاء» للشيرازي، أبي إسحاق جمال الدين إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، بيروت ـ لبنان، دار القلم، تصحيح خليل الميس.

١٦٢ ـ «طبقات المفسرين» للداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٦٣ ـ «طبقات المفسرين» للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٦٤ ـ «ظهر الإسلام» لأحمد أمين، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي.

١٦٥ ـ «العبر في خبر من غبر» للذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن

أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي التركماني الدمشقي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية.

١٦٦ ــ «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد حامد الفقي.

١٦٧ ــ «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»، لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، تقديم وضبط الشيخ خليل الميس، واعتمد على النسخة الهندية بتحقيق إرشاد الحق الأثري.

١٦٨ ــ «علماء نجد خلال ستة قرون» لعبد الله بن صالح البسام، ط ١، مكة المكرمة ـ السعودية، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٣٩٨ هـ.

١٦٩ ــ «علم أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف، ط ١٢، الكويت، دار القلم، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

١٧٠ ــ «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر، عثمان بن عبد الله بن بشر، ط ٢، الرياض ـ السعودية، وزارة المعارف، ١٣٩١ هـ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ.

١٧١ ــ «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، ط ٣، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

١٧٢ ــ «غريب الحديث» لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي.

١٧٣ ــ «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط ٣، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم.

١٧٤ ـ «الفتاوي الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، والمسمى الفتاوي عالمكيرية، لجماعة من علماء الهند الأعلام، ط ٤، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.

١٧٥ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، الطبعة السلفية.

١٧٦ ـ «فتح القدير للعاجز الفقير» لابن همام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.

١٧٧ ـ «الفقه الإسلامي وأدلته» للزحيلي، الدكتور وهبة الزحيلي، ط ٢، دمشق ـ سوريا، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

١٧٨ ـ «فقه الدعوة الفردية» لعلي عبد الحليم محمود، ط ٢، المنصورة ـ مصر، دار الوفاء، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

١٧٩ ـ «فقه الواقع، مقوماته وآثاره ومصادره» لناصر بن سليمان العمر، ط ١، الرياض ـ السعودية، دار الوطن للنشر، ١٤١٢ هـ.

١٨٠ ـ «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

١٨١ ـ «فلسفة وحدة الوجود، أصولها وفترتها الإسلامية» لنظلة أحمد نائل الجبوري، ط ١، المحرق ـ البحرين، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩ هـ.

١٨٢ ـ «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات» للكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، باعتناء الدكتور إحسان عباس.

١٨٣ ـ «الفهرست» لابن النديم، أبي الفرج محمد بن إسحاق بن النديم، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

١٨٤ ـ «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي، بيروت ـ لبنان، دار صادر.

١٨٥ ـ «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» للمناوي، محمد بن عبد الرؤوف المناوي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

١٨٦ ــ «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، بيروت ـ لبنان، عالم الكتب.
١٨٧ ــ «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ١، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق الشيخ خليل محيي الدين الميس.
١٨٨ ــ «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة» للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
١٨٩ ــ «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ط ٦، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.
١٩٠ ــ «كتاب العلم» لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، ط ٢، بيروت ـ دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
١٩١ ــ «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة» للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط ١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة.
١٩٢ ــ «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» للعجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ط ٤، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق أحمد القلاش.
١٩٣ ــ «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، لحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
١٩٤ ــ «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، المكتبة العلمية، ١٣٥٧ هـ.
١٩٥ ــ «الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية» للكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي القاضي، حولي ـ الكويت، دار الكتب الثقافية، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد

القومي ـ دمشق، ١٩٧٤ م، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري.

١٩٦ ـ «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للمتقي الهندي، ط ٢، حيدر آباد الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.

١٩٧ ـ «اللباب في تهذيب الأنساب» لعز الدين ابن الأثير الجزري، بيروت ـ لبنان، دار صادر ١٤٠٠ هـ.

١٩٨ ـ «لسان العرب المحيط» لابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري المصري المعروف بابن منظور، بيروت ـ لبنان، دار لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط وقدم له الشيخ عبد الله العلايلي.

١٩٩ ـ «لسان الميزان» لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت ـ لبنان، دار الفكر.

٢٠٠ ـ «لقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة» للزبيدي، أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا.

٢٠١ ـ «المؤتلف والمختلف» للدارقطني، أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر.

٢٠٢ ـ «الماسونية في العراء» لمحمد علي الزعبي، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الزعبي.

٢٠٣ ـ «مالك، حياته وعصره وآراؤه وفقهه» لمحمد أبي زهرة، مصر، دار الفكر العربي.

٢٠٤ ـ «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، تحقيق محمود إبراهيم زايد.

٢٠٥ ـ «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» لعبد الله بن محمد بن سليمان بداماد أفندي، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٢٠٦ ــ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط ٣، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر.
٢٠٧ ــ «مجموع الفتاوى» لابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن القاسم، الرياض ـ السعودية، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٢٠٨ ــ «المجّموع شرح المهذب» للنووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، بيروت ـ لبنان، دار الفكر.
٢٠٩ ــ «مجموع فتاوي ومقالات متنوعة» لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط ١، الرياض ـ السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠ هـ.
٢١٠ ــ «المحصول في علم أصول الفقه» لفخر الدين الرازي، أبي عبد الله محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الرازي الشافعي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٢١١ ــ «مختار الصحاح» للرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٢١٢ ــ «مختصر منهاج القاصدين» لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، دمشق ـ بيروت، مكتبة دار البيان ـ مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م، قدم له محمد أحمد دهمان، وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.
٢١٣ ــ «المدخل إلى علم الدعوة» للدكتور محمد أبي الفتح البيانوني، ط ١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.
٢١٤ ــ «المدخل للفقه الإسلامي» لمحمود محمد طنطاوي، القاهر ـ مصر، دار النهضة، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٢١٥ ــ «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م، تحقيق علي محمد البجاوي، توزيع دار الباز ـ مكة المكرمة.

٢١٦ ـ «المستدرك على الصحيحين» للحاكم، الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، بيروت ـ لبنان، تصوير دار الكتاب العربي.
٢١٧ ـ «المستصفى» للغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت ـ لبنان، دار صادر، مصورة عن طبعة بولاق المصرية.
٢١٨ ـ «المسند» للإمام أحمد بن حنبل، ط ٤، مصر، دار المعارف، ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م، بتحقيق أحمد شاكر.
٢١٩ ـ «المسند» للإمام أحمد بن حنبل، ط ٢، بيروت ـ لبنان، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨ هـ.
١٢٠ ـ «مسند أبي داود الطيالسي» لسليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، توزيع مكتبة المعارف ـ الرياض.
٢٢١ ـ «مسند الشهاب» للقضاعي، أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، ط ١، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
٢٢٢ ـ «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي» للفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت ـ لبنان، المكتبة العلمية.
٢٢٣ ـ «مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة» لمحمد الغزالي، ط ١، دمشق ـ بيروت، دار القلم، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.
٢٢٤ ـ «المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها» لعواد عبد الله المعتق، ط ١، الرياض ـ السعودية، دار العاصمة، ١٤٠٩ هـ.
٢٢٥ ـ «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت ـ لبنان، دار الفكر.
٢٢٦ ـ «المعجم الأوسط» للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط ١، السعودية ـ الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، تحقيق الدكتور محمود الطحان.
٢٢٧ ـ «معجم البلدان» لياقوت الحموي، شهاد الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٢٢٨ ـ «المعجم الصغير» للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٢٢٩ ـ «المعجم الكبير» للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط ٢، بغداد ـ العراق، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٢٣٠ ـ «معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية» لعمر رضا كحالة، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م.

٢٣١ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف» للفيف من المستشرقين، ليدن، مطبعة بريل، الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، ١٩٦٩ م.

٢٣٢ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٢٣٣ ـ «المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز ﷺ» للسيد عبد الله ميرغني، ط ١، بيروت ـ لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٢٣٤ ـ «المعجم الوسيط» للدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوّالحي ومحمد خلف الله أحمد، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م، أشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين.

٢٣٥ ـ «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة، ط ٥، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٢٣٦ ـ «المعرفة والتاريخ» للفسوي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، بغداد ـ العراق، مطبعة الإرشاد، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م، تحقيق أكرم ضياء العمري.

٢٣٧ ـ «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للسخاوي، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م، صححه وعلق عليه عبد الله محمد الصديق، وقدم له وترجم للمؤلف عبد الوهاب عبد اللطيف.

٢٣٨ ـ «مقدمة تاريخ ابن خلدون» لعبد الرحمن بن خلدون، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٢٣٩ ــ «الملل والنحل» للشهرستاني، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط ٢، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٥ هـ.

٢٤٠ ــ «مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» لابن البزازي، حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردي البريقيني الخوارزمي الحنفي، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢١ هـ، مطبوع بذيل كتاب «مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة»، للإمام الموفق بن أحمد المكي.

٢٤١ ــ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، بيروت ـ لبنان، مصور عن الطبعة الهندية.

٢٤٢ ــ «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» لأبي اليُمن مُجير الدين عبد الرحمن بن محمد العُليمي، ط ٢، بيروت ـ لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٤٣ ــ «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٢، الندوة العالمية، ١٤٠٩ هـ.

٢٤٤ ــ «الموطأ» للإمام مالك بن أنس الأصبحي، بيروت ـ لبنان، تصوير دار إحياء التراث، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٤٥ ــ «ميزان الاعتدال» للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م.

٢٤٦ ــ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصرية مصورة عن طبعة دار الكتب.

٢٤٧ ــ «النظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني، أبي الفيض جعفر الحَسني الإدريسي، ط ١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، طبعة مأخوذة عن نسخة فاس المطبوعة سنة ١٣٢٨ هـ.

٢٤٨ ــ «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، القاهرة، المكتبة

الإسلامية للحاج رياض الشيخ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي.
٢٤٩ ــ «نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار» للشوكاني، القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت - لبنان، دار الجيل، ١٩٧٣ م.
٢٥٠ ــ «هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة» للشيخ علي محفوظ، ط ٩، دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ.
٢٥١ ــ «الوافي بالوفيات» للصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، جمعية المستشرقين الألمانية، باعتناء هلموت ريتر، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م.
٢٥٢ ــ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، القاهرة - مصر، المطبعة الأميرية، ١٣١٠ هـ.

فهرس الموضوعات